

الادب العربي و الايرانيون

(من بداية الفتح الاسلامي الى سقوط بغداد)

الدكتور عبدالغنى ايروانى زاده
الدكتور نصرالله شاملى

الادب العربي والایرانیون

(من بداية الفتح الاسلامی الى سقوط بغداد)

دکتر عبدالغنی ایروانی زاده
دکتر نصرالله شاملی

تهران

۱۳۸۴



سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها (سمت)

زبان و ادبیات عربی ۲۹

ایروانی زاده، عبدالغنی، ۱۳۲۲ -

الادب العربی و الایرانیون (من بدایة الفتح الاسلامی الی سقوط بغداد) / عبدالغنی
ایروانی زاده، نصرالله شاملی. - تهران: سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی
دانشگاهها (سمت)، ۱۳۸۴.

هشت، ۳۰۰ ص. - («سمت»؛ ۹۳۸. زبان و ادبیات عربی؛ ۲۹)

ISBN 964-459-984-5

بها: ۲۱۵۰۰ ریال.

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

Arab Literature and the Iranian.

پشت جلد به انگلیسی:

کتابنامه: ص. ۲۸۹ - ۲۹۴؛ همچنین به صورت زیرنویس.

۱. ادبیات عربی - ایران - ۱ - ۱۳۲ ق. - تاریخ و نقد. ۲. ادبیات عربی - ایران -

۱۳۲ - ۶۵۵ ق. - تاریخ و نقد. الف. شاملی، نصرالله، ۱۳۲۲. ب. سازمان مطالعه و

تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها (سمت). ج. عنوان.

۸۹۲/۷۰۹۰۰۲

PJA ۵۲۹۱/الف

۸۴۰۲۰۰۴۰

کتابخانه ملی ایران



سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها (سمت)

الادب العربی و الایرانیون (من بدایة الفتح الاسلامی الی سقوط بغداد)

دکتر عبدالغنی ایروانی زاده و دکتر نصرالله شاملی (ترتیب اسامی بر اساس حروف الفباست)

ویراستار: دکتر حامد صدقی

چاپ اول: پاییز ۱۳۸۴

تعداد: ۱۵۰۰

حروفچینی و لیتوگرافی: سمت

چاپ و صحافی: سازمان چاپ و انتشارات، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

قیمت: ۲۱۵۰۰ ریال. در این نوبت چاپ قیمت مذکور ثابت است و فروشندگان و عوامل

توزیع مجاز به تغییر آن نیستند.

آدرس ساختمان مرکزی: تهران، بزرگراه جلال آل احمد، غرب پل یادگار امام (ره)،

روبروی بمب گازه، کدپستی ۱۴۶۳۶، تلفن ۲-۴۴۲۴۶۲۵۰.

www.samt.ac.ir

info@samt.ac.ir

کلیه حقوق اعم از چاپ و تکثیر، نسخه برداری، ترجمه و جز اینها برای «سمت» محفوظ

است (نقل مطالب با ذکر مأخذ بلامانع است).

سخن «سمت»

یکی از اهداف مهم انقلاب فرهنگی، ایجاد دگرگونی اساسی در دروس علوم انسانی دانشگاهها بوده است و این امر، مستلزم بازنگری منابع درسی موجود و تدوین منابع مبنایی و علمی معتبر و مستند با در نظر گرفتن دیدگاه اسلامی در مبنایی و مسائل این علوم است.

ستاد انقلاب فرهنگی در این زمینه گامهایی برداشته بود، اما اهمیت موضوع اقتضا می‌کرد که سازمانی مخصوص این کار تأسیس شود و شورای عالی انقلاب فرهنگی در تاریخ ۶۳/۱۲/۷ تأسیس «سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها» را که به اختصار «سمت» نامیده می‌شود، تصویب کرد.

بنابراین، هدف سازمان این است که با استمداد از عنایت خداوند و همت و همکاری دانشمندان و استادان متعهد و دلسوز، به مطالعات و تحقیقات لازم بپردازد و در هر کدام از رشته‌های علوم انسانی به تألیف و ترجمه منابع درسی اصلی، فرعی و جنبی اقدام کند.

دشواری چنین کاری بر دانشمندان و صاحب‌نظران پوشیده نیست و به همین جهت مرحله کمال مطلوب آن، باید به تدریج و پس از انتقادهای و یادآوریهای پیاپی ارباب نظر به دست آید و انتظار دارد که این بزرگواران از این همکاری دریغ نوزند.

کتاب حاضر برای دانشجویان رشته عربی، در مقطع کارشناسی به عنوان منبع اصلی درس متون نظم و نثر عربی در ایران (۱) به ارزش ۲ واحد تدوین شده است. امید می‌رود که علاوه بر جامعه دانشگاهی، سایر علاقه‌مندان نیز از آن بهره‌مند شوند.

از استادان و صاحب‌نظران ارجمند تقاضا می‌شود با همکاری، راهنمایی و پیشنهادهای اصلاحی خود، این سازمان را در جهت اصلاح کتاب حاضر و تدوین دیگر آثار مورد نیاز جامعه دانشگاهی جمهوری اسلامی ایران یاری دهند.

فهرست الموضوعات

صفحة	عنوان
١	بين يدي الكتاب
	الباب الاول: اللغة العربية في ايران بعد الفتح الاسلامي
٩	الفصل الاول: كيفية انتشار اللغة العربية في ايران
١٥	الفصل الثاني: ايران بعد الفتح الاسلامي
١٦	العصر الاول (١٣٢هـ - ٢١١هـ)
١٦	العصر الثاني (١٣٢هـ - ٢٠٦هـ)
١٧	الحكومات الايرانية المستقلة وشبه المستقلة (٢٠٦هـ - ٦٥٦هـ)
١٨	الدولة الطاهرية (٢٠٦هـ - ٢٥٩هـ)
١٨	الدولة الصفارية (٢٤٧هـ - ٣٩٣هـ)
١٩	الدولة السامانية (٢٧٩هـ - ٣٨٩هـ)
٢٠	الدولتان الزيارية و البويهية (٣٢٣هـ - ٤٤٧هـ)
٢٠	الدولة الغزنوية (٣٥١هـ - ٤٣٣هـ)
٢١	الدولة السلجوقية (٤٢٩هـ - ٥٩٦هـ)
٢٢	الدولة الخوارزمية (الفترة الاولى) (٣٨٥هـ - ٤٠٧هـ)
٢٢	الدولة الخوارزمية (الفترة الثانية) (٥٢٢هـ - ٦٥٦هـ)

الباب الثاني: ازدهار الادب العربي في ايران

- ٢٥ الفصل الاول: اسباب الازدهار
- ٢٩ الفصل الثاني: الصراع بين العرب والموالي
- ٣٣ الشعوية
- ٣٥ تأثير النزعة الشعوية في الشعر
- ٣٧ الفصل الثالث: النهضة العلمية و حركاتها
- ٤٥ الحركة الاولى: تأثير آداب الفرس في العربية
- ٤٢ الحركة الثانية: تأثير الفرق الاسلامية في الادب العربي
- ٤٣ اهم الاسباب الداخلية
- ٤٤ اهم الاسباب الخارجية
- ٥٤ الحركة الثالثة: تأثير علماء الفرس في الحضارة الاسلامية
- ٥٧ الفصل الرابع: تفاعل اللغتين الفارسية والعربية
- ٥٧ الف) الادب الفارسي واثره في الادب العربي
- ٦٢ ب) تأثير الادب العربي في الادب والثقافة الفارسية
- ٦٧ ج) دور الفرس في اغناء العربية

الباب الثالث: حالة الشعر العربي في ايران حتى نهاية الخلافة العباسية

- ٧١ مقدمه
- ٧٣ الفصل الاول: الشعر العربي في ايران (الفترة الاولى)
- ٧٥ تطور الشعر العربي زمن السامانيين
- ٧٨ الشعر العربي زمن الغزنويين
- ٨٢ خلف بانو وشعراء العربية الفرس

٨٣	الشعر في ظل حكومة الديالمة
٨٣	الشعر في ظل الزياريين
٨٤	الشعر في ظل البويهيين (٥٣١٥ - ٥٤٤٧هـ)
٨٧	الفصل الثاني: الشعر العربي في ايران (الفترة الثانية)
٩١	الفصل الثالث: شعراء العربية الفرس
٩١	١. زياد الاعجم
٩٥	٢. اسماعيل بن يسار
١٠٠	٣. موسى شهوات
١٠٢	٤. ابوالعباس الاعمى
١٠٥	٥. بشار بن برد
١١٢	٦. ابونواس
١١٩	٧. القاضي الجرجاني
١٢٤	٨. عضدالدولة
١٢٦	٩. ابوالفتح البستي
١٢٩	١٠. مهيار الديلمي
١٣٣	١١. الابيوردى
١٣٨	١٢. الطغرائى
١٤٩	١٣. الارجاني
١٥٢	١٤. شهاب الدين السهروردى (م ٥٨٧هـ) «الشهيد»

الباب الرابع: النثر العربي في ايران حتى سقوط بغداد (٦٥٦هـ)

١٥٩	الفصل الاول: تطور النثر العربي في ايران
١٥٩	الف) النثر العربي في ايران منذ البداية و حتى نهاية القرن الثالث
١٦٦	ب) النثر العربي في ايران من القرن الرابع الى سقوط الدولة العباسية (٦٥٦هـ)

صفحة	عنوان
١٧٠	الفصل الثاني: كتاب العربية الفرس
١٧٠	١. عبدالحميد الكاتب
١٧٢	٢. ابن المقفع
١٨١	٣. محمد بن جرير الطبري
١٨٣	٤. ابوالفرج الاصفهاني
١٩١	٥. ابونصر العتبي
١٩٥	٦. الراغب الاصفهاني
٢٠١	الفصل الثالث: الشعراء الكتاب الفرس
٢٠١	١. سهل بن هارون
٢٠٥	٢. ابوالفضل ابن العميد
٢٠٨	٣. ابوبكر الخوارزمي
٢١٢	٤. الصاحب بن عباد
٢١٧	٥. ابو هلال العسكري
٢٢٢	٦. بديع الزمان الهمداني
٢٣٢	٧. شمس المعاني قابوس بن وشمكير
٢٣٨	٨. الثعالبي النيشابوري
٢٤٢	٩. الباخري
٢٤٦	١٠. الزمخشري
٢٤٩	١١. رشيدالدين الوطواط
٢٥٦	خاتمة المطاف
٢٥٧	فهرست الخرائط
٢٨٩	مسرد المصادر
٢٩٥	فهرست الاعلام و الاشخاص

بين يدي الكتاب

عهد اللّغة العربيّة وأدبها في إيران بعيداً جداً فالجميع يعلم أنّ الإيرانيين أعتنقوا الإسلام مخلصين عند وروده بلادهم، وأقبلوا على تعلّم القرآن الكريم مؤمنين به إيماناً صادقاً عميقاً، والعربية هي لغته ولغة الروايات والأحاديث لهذا فقد أحبّوها هي الأخرى أيضاً، بحيث إنهم أعتبروا تعلّمها وتعليمها مقدّمة لازمة لتعلّمه وتعليمه.

في سنة ٢١ للهجرة عندما أمهزمت الجيوش الإيرانية أمام الجيوش الإسلامية وأصبحت بلاد إيران الواسعة خاضعة للمسلمين، بدأ رواج اللّغة العربيّة وأدبها فيها لكنّ الناظر في تاريخ الأدب الفارسيّ يتبيّن له أنّ الإيرانيين بعد أن أسلموا بدؤوا بتعلّم اللّغة العربية بسرعة بحيث لم تمض عليهم مدّة طويلة حتّى أتقنوها جيّداً فكان نتيجة ذلك أن أتجهوا صوب أدبها، فتعلّموه وأتقنوه إضافة إلى إتقانهم ثقافة اللّغة العربيّة بحيث أصبحت تبسط جناحيها على كلّ بلاد إيران في القرن الأوّل.

بعد أن احتكّ الإيرانيون بالعرب المسلمين وامتزجوا بهم وتعلّموا لغتهم وأجادوها، هاجر كثير منهم إلى جزيرة العرب والعراق واستوطنوها فبرز من هؤلاء أدباء مشهورون في اللّغة العربيّة، شعراء وكتّاب خلّفوا لنا آثاراً رائعة فيها، كما أنّ عدداً غير قليل من الفرس قد أمضوا مدة ليست بالقصيرة من عمرهم بين الأعراب في البادية، فأخذوا لغتهم وأشعارهم وأمثالهم وبدؤوا بأسلوبهم نظم الشعر العربيّ مضيفين إليه موادّ ثقافتهم وحضارتهم، فثلّوا الرعيّل الأوّل لشعراء العرب بعد الإسلام. على هذا فليس غريباً إذا لم يعثر الباحثون في تاريخ الحضارة الفارسيّة على أدباء عرب من أصل فارسيّ في القرن الأوّل، لأنّه لم تمض على الفرس تلك المدّة اللاّزمة لاستيعاب اللّغة الجديدة وترويض ألسنتهم عليها. أمّا بعد أن تمّ لهم ذلك فبدؤوا أولى تجاربهم في الأدب العربيّ شعراً ونثراً، في أواخر

العصر الأمويّ وأوائل العصر العباسيّ، كما أخذوا ينقلون التراث الفارسيّ - سياسياً وتاريخياً وإدارياً - إلى اللّغة العربيّة و في مقدمتهم ابن المقفّع وأسرة آل نوبخت.

ومن الجدير بالذكر أنّ دعائم اللّغة العربيّة في إيران في القرن الثاني والثالث قد قويت وتوسّعت كثيراً فظهر شعراء في إيران و في البلاد العربيّة من أصل فارسيّ، سبقوا العرب أنفسهم وفاقوهم في ذلك كبشّار وأبي نواس وغيرهما وخلفوا لنا على مدى الأيام شعراً جميلاً نقرّوه فنستسيغه ونعجب به ونرضى عنه ونُفتن به. واللافت للنظر أنّ العرب والایرانيّين: أصبحوا يشكّلون حضارة واحدة هي الحضارة الاسلاميّة التي ألفت بظلالها عليهم جميعاً، وساهم الإیرانيون فيها بسهم وافر بحيث يمكننا أن ننسب أسمى الآثار الادبيّة في اللّغة العربيّة شكلاً ومضموناً، شعراً ونثراً في القرن الرابع إلى الفرس، ذلك القرن الذي يعتبر قرناً ذهبياً للحضارة الاسلاميّة. ومع أنّ الفرس بعد القرن الرابع قد أُعدوا عن بلاط الخلافة الاسلاميّة الّذي أصبح يرسف بالضعف والوهن سياسياً وإدارياً الآن أنّ الحضارة الاسلاميّة كانت تقوى يوماً بعد يوم. وكذلك كان حال اللّغة العربيّة، وما ان أطلّ القرن الخامس والسادس والسابع على العالم الاسلاميّ حتى وجدنا عدداً كبيراً من العلماء والادباء الفرس يدوّنون أكثر آثارهم بهذه اللّغة.

على هذا فنحن نرى أنّ هذه اللّغة شعراً ونثراً قد انتشرت انتشاراً واسعاً في جميع أرجاء إيران منذ القرن الأوّل و حتى نهاية القرن السابع، وأن الحضارة الاسلاميّة قد احتوت الحضارة الفارسيّة بشكل بحيث لا يمكن للثانية أن تظهر بشكل مستقل عن الأولى، فكانت النتيجة أن أصبحت اللّغة العربيّة لغة المثقفين المسلمين من الإیرانيين و لغة ثانية لعامة المسلمين من غير العرب، لكنّ الإیرانيين لم يكونوا ينظرون إليها على أنّها لغة اجنبيّة. مضافاً إلى هذا فإنّ ظهور أعدادٍ لا تُعد ولا تحصى من الأدباء والعلماء الإیرانيين المسلمين في مختلف المراكز العلميّة، وظهور الآلاف من المؤلّفات القيّمة علميّة و أدبيّة حمل أصحاب العقل والدراية على الاعتراف بالفضل العظيم الّذي قدّمه الإیرانيون المسلمون للإسلام ولغته، وبهذه الطريقة كان لهم فضل لا ينكر في حفظها ونشرها عن طريق كتبهم ومؤلفاتهم الّتي دوّنها فيها. ونتيجة كل هذا أصبح هناك ادبٌ عربيّ خاصّ أُطلق عليه اسم الادب العربيّ في إيران، وقد لعب هذا الأدب دوراً مهماً على مدى توالي قرون عديدة بعد الفتح

الاسلامي حتى سقوط بغداد على يد المغول، لعب دوراً مهماً في جذب انتباه كثير من المحققين والباحثين، مسلمين ومستشرقين، فالآثار الادبية العربية الغزيرة التي خلفتها لنا هذه القرون شعراً ونثراً، تكشف لنا عن التطور العظيم الذي حدث في هذه اللغة، هذا التطور الذي أعترف به ادباء العرب انفسهم قديماً وحديثاً، وهذا التطور هو الذي حدا بنا أن نعقد النيّة بعد التوكّل على الله تعالى وبعد أن كلّفنا بذلك مؤسسة «سمت» التابعة لوزارة العلوم والبحوث والتقنية - على بيان هذا التطور بصورة مجملّة من خلال تأليف كتاب يضمّ النصوص الأدبيّة لهذه الفترة مع ترجمة أدبيّة موجزة لأصحابها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنّ المجلس الأعلى للتخطيط الدراسي الجامعي في الجمهورية الاسلامية قد وضع، في منهج قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعات درساً خاصاً باسم الأدب العربي في إيران، فظهرت الحاجة لتأليف كتاب بهذا العنوان للدّرس المذكور ليطلع طلاب اللغة العربية على مدى تطوّر هذه اللغة وآدابها في إيران، ويتّضح لهم مدى التناسق المفيد بين اللغة العربية وتعليم المناهج الدّينية في إيران، والذي دفع عجلة الاثني عشر مئة نحو الازدهار والتطوّر ولا يفوتنا أن نقول إن هناك بعض الباحثين عربياً وفرنساً قد كتبوا في هذا الموضوع وألقوا بعض الكتب محلّين فيها الادب العربي في إيران من زاوية خاصّة، ككتاب الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي^١ وحول الأدب السلجوقي^٢ وغيرها من الكتب وكذلك كتاب الأدب العربي في ظل بني بويه^٣ وهذه الكتب لم تُؤلف لأهداف تعليميّة دراسيّة في الجامعات، لذا رأينا من اللازم أن يُؤلف مثل هذا الكتاب. يضم هذا الكتاب خمسة أبواب:

الباب الاول: يبحث - بصورة مجملّة - تاريخ اللغة العربية في إيران ابتداء من الفتح الاسلامي حتى سقوط بغداد على يد المغول وفي الباب أيضاً بيان الأسباب التي أدت الى انتشار اللغة العربية في إيران والى ظهور نهضة كبيرة فيها من الناحية العلميّة، بصورة مختصره - مع بيان نشاط الحكّام السياسيّين وأثرهم في نشر هذه اللغة ودفع عجلتها

١. مؤلفه الدكتور علي جواد الطاهر.

٢. مؤلفه الدكتور قاسم تويسركاني من منشورات جامعة طهران.

٣. مؤلفه الدكتور محمود غنّاوي الزهيري.

الأدبیة والعلمیة الی الأمام.

الباب الثانی: ویتحدث عن تطور الأدب العربی فی ایران وازدهاره والأسباب الی الی أدت الی ذلك. كما یبحث عن بعض الظواهر التاریخیة الی تركت ظلها علی الأدب العربی فی ایران وصبغت بعضه بصبغتها كالصراع بین الموالی والعرب والنزعة الشعبیة، وما تركته المذاهب الكلامیة والفقهیة من آثار، والتفاعل الحاصل بین اللغتیة الفارسیة والعربیة والتواصل الثقافی والحضاری بین الفرس والعرب، و دور العلماء الایرانیین فی تطور اللغة العربیة و آدابها.

أما الباب الثالث: فقد تحدث عن حالة الشعر العربی فی ایران حتی نهاية الدولة العباسیة، والدور الذی لعبته الدول الایرانیة المختلفة فی دعم هذا الشعر أو التقلیل من أهمیته. كما تمت دراسة ١٤ شاعراً كمنادج للشعراء الایرانیین الذین أنشدوا الشعر العربی و ساهموا بدرجات متفاوتة فی تطویره والتأثیر فیه.

و خصص الباب الرابع لدراسة النثر العربی فی ایران حتی سقوط الدولة العباسیة، مستعرضین أعمال ستة من الأدباء الذین اشتهروا بنثرهم العربی.

الباب الخامس: یضم مجموعة من شعراء العربیة الفرس الذین خلفوا لنا نثراً كثيراً و کتاب العربیة الفرس الذین خلفوا لنا شعراً جيداً حسناً فهؤلاء فی الحقیقة كانوا شعراء كُتّاباً، أو كُتّاباً شعراء، فنحن لانستطیع أن نُطلق علی هؤلاء وأمثالهم شعراء فقط أو كُتّاباً فقط، لأنهم فی الحقیقة خلفوا لنا آثاراً نثریةً وشعریةً قیمةً. فاذا أردنا أن نبحت عن هؤلاء وأمثالهم یجب علینا أن نبحت عنهم فی بایین، باب الشعراء باعتبارهم شعراء و باب الكُتّاب باعتبارهم كُتّاباً و هذا الترتیب ربّما یسبب الاضطراب للطلاب لتكرار مثل هؤلاء مرّتیّن مرّة فی باب الشعراء ومرّة فی باب الكُتّاب فاذا كان الترتیب التاریخی للكُتّاب فی الباب الرابع قد خرج عمّا هو علیه فی الباب الثانی والثالث فما ذلك إلا لأننا أردنا أن نبحت عن هؤلاء فی باب خاصّ متنكّیین البحت عنهم مرّتیّن.

ومن الجدید بالاشارة أننا ذكرنا ملخصاً مهمّاً لترجمة كلّ شاعر وناثرٍ مؤكّدين فیها علی أهمّ نقاط حیاته الأدبیة وأسلوبه الادبیّ قبل أن نذكر أو نأتي بنصوص شعریة أو نثریة من أدبه.

أما في آتخاب النصوص، فكان منهجنا أن ننتخب نصاً أدبياً مهماً حكماً أو دينياً أو أخلاقياً، مدحاً أو رثاءً أو غير ذلك، مؤكدين فيه على جمال النص أسلوباً ومضموناً، فربما يكون للشاعر أو الكاتب آثار شعرية أو نثرية كثيرة، ولكن هناك بعض النصوص الشعرية أو النثرية تتميز عن بقية آثاره بما لها من قيمة فنية، وبما أحاطت بها من ظروف خاصة سياسية أو دينية، مثل هذه النصوص هي التي أكدنا عليها وحاولنا أن نقدمها إلى الطالب. هناك بعض النصوص والمقطوعات الشعرية القصيرة تحتاج إلى شرح وتوضيح، حاولنا توضيحها بصورة مجملية. وهناك بعض القصائد التي تحتاج إلى شرح وتوضيح حاولنا شرح آياتها بيتاً بيتاً في الهامش كما بيّنا ذلك في لامية العجم للطغرائي. وهناك أيضاً بعض النصوص واضحة المعنى لا تحتاج إلى شرح وتوضيح، مثل هذه النصوص لم نتطرق إلى بيان معناها لعدم الضرورة إلى ذلك وتركنا تفسيرها وتوضيحها إلى المدرس والطالب.

أما النصوص النثرية، فقد حاولنا بيان معاني مفرداتها الصعبة أو الغريبة في الهامش علماً بأننا حاولنا أن نضبط جميع النصوص بشكل يكاد يكون كاملاً. وهناك ملاحظة من المناسب ذكرها وهي أن الشاعر إذا كان ذا لسانين وكان له نص أدبي بديع في اللغة الفارسية ذكرنا مثل هذا النص في الهامش، ليعرف الطالب مدى تمكن الأديب من اللغتين نظير ما ذكرنا لشمس المعالي ابن وشمكير. وأخيراً فنحن لاندعي لهذا الأثر المتواضع الكمال والتمام وعدم النقص، فاذا وجد طريقته في نفوس الطلاب وكان مفيداً فنحن قد وفقنا في جمعه وتأليفه بعض التوفيق، نسأل الله تعالى أن يسهّل له ذلك، عليه نتوكل واليه نُنسب.

شعبان ١٤٢٥ هـ. ق

عبدالله الغني ابروآنى زاده

نصرالله شاملى

جامعة اصفهان - كلية اللغات الأجنبية

الباب الاول

اللغة العربية في ايران بعد الفتح الاسلامي

الفصل الاول: كيفية انتشار اللغة العربية في ايران

الفصل الثاني: ايران بعد الفتح الاسلامي

كيفية انتشار اللغة العربية في ايران

بعد هزيمة الجيوش الفارسية أمام الجيوش الإسلامية الفاتحة في معركة فتح الفتوح^١ سنة ٥٢٦هـ، وبعد انقراض الدولة الساسانية، دخل العرب المسلمون إيران وأستقرّوا فيها. و بعد أن أخذ الفرس يدخلون في دين الله أفواجاً أفواجاً، لما رأوا فيه من ساحة و مساواة و حسن معاملة، نظروا إلى لغة العرب المسلمين نظرة ذات أهميّة، فجدّوا في أن يجعلوها أداة طيعة لهم كلاماً و كتابةً، فكانت نتيجة ذلك أن برّعوا فيها و برّوا في ذلك أهلها، فنظّموا معانيهم فيها شعراً و رتبوها نثراً فكان لذلك اثرها م في اللغة الفارسية و العربية كليهما. إذا أردنا أن نعرف كيفية ذلك و جب علينا أن نسلط الأضواء على أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية رسمية و أدبية، في جميع نواحي الحياة و شؤونها سواء في ذلك السياسية و العلمية و الأدبية.

بعد الفتح الاسلامي لبلاد فارس و استقرار المسلمين فيها، ظهرت أمور مهمّة جديرة بالملاحظة و النظر، منها ظهور حضارة اسلامية عربية - فارسية، و تمدن عربي - فارسي بلغ ذروته في القرن الرابع متمثلاً بعلوم مختلفة و علماء بارزين كان لهم الأثر البالغ في دفع عجلته إلى الأمام.

أطلت هذه الحضارة الاسلامية العظيمة على العالم الإسلامي بصورة عامة و على بلاد فارس بصورة خاصة من خلال اللغة العربية، لأنّ العلماء نشروا علومهم على اختلافها

١. الاخبار الطوال، ص ١١٣ و ١١٩ و ما بعدها؛ تاريخ ايران در قرون نخستين، ص ٥.

بواسطتها، لهذا السبب وجدناها تصبح ذات أهمية ممتازة.

في هذا المضمار نستطيع أن نشير إلى موضوع آخر - مهم - يجب أن نبينه بدقة وعمق من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية.^١

١. كيف كانت حال اللغة الفارسية في إيران عندما فتح المسلمون بلاد فارس

وقبله؟

فهل كان الفرس يتكلمون جميعاً بلهجة واحدة أو كانت لهم لهجات مختلفة؟

٢. ثم كيف أصبحت بعد ذلك؟

٣. كيف أنتشرت العربية بين الفرس بعد الفتح الإسلامي لبلادهم؟

أما الجواب عن السؤال الأول فنقول:

إن الشعوب الفارسية في شرق إيران قبل الإسلام وخاصة في آسيا الوسطى كالحوارزميين والسغديين والكوشانيين كانت لها لهجاتها المحلية تكلماً وكتابةً.

كذلك كان الناس في غرب إيران - اصفهان، لرستان، همدان - وخاصة في سلسلة جبال زاغروس (زاغروس) يتكلمون - آنذاك - بلهجات مختلفة كثيرة.

أما في مركز إيران وفي كل جبالها تقريباً (أي في كل المدن المجاورة لجبال زاغروس) فكانوا أيضاً يتكلمون بلهجات مختلفة.

أما الجواب عن السؤال الثاني فنقول: عندما فتح العرب المسلمون منطقة شرق إيران (آسيا الوسطى) واستقروا فيها، واجهوا صعوبة في تعلم لهجات شعوبها وأضطروا إلى تعلم اللغة الفارسية الدرية الخراسانية، يعني الفارسية الخالصة التي كانت معروفة و متداولة بين شعوب هذه المنطقة. وكانت هذه اللغة هي لغة بلاط الدولة السامانية، فتعلمها العرب لتحقيق أهدافهم. وهذه الفارسية الدرية تعتبر الجذور الأصلية للفارسية الحالية بعد أن اختلطت بالمفردات والإصلاحات العربية، لتظهر منها فارسية جديدة في مقابل الفارسية الدرية الخالصة.

على ما تقدم فقد كان الناس في مشرق إيران وخاصة في ما وراء النهر مجبورين على

١. تاريخ إيران در قرون نخستین، ١/٢٣٩ و مابعدھا.

تعلّم اللّغتين الفارسيّة الدّريّة والعربيّة حيث كانتا تسيران جنباً الى جنب. وكان الناس في هذه المنطقة قد اطمئنوا الى ضرورة تعلّمها، وكانت النتيجة أن ظهرت لغة فارسيّة جديدة ممزجة باللّغة العربيّة. وهكذا نشاهد أن الفارسيّة الجديدة التي تعتبر مزيجاً من الفارسيّة الدريّة والعربيّة اصبحت لغةً قويّةً ممتازة، لأنها استطاعت أن تستفيد من العربيّة كثيراً، اضافة الى ما تتمتع به من اصول فارسيّة كثيرة وعميقة، واذا قورنت بالفارسيّة الوسطى في تلك الفترة ظهرت هناك فروق كثيرة تثير العجب وتدعو الى التفكير، فلو لم تكن الظروف تسمح للغة الفارسيّة بالاحتكاك بالعربيّة وأوزانها الشعريّة وما لها من ميدان واسع بسبب طبيعتها الاشتقاقية لما كان من الممكن أن تبلغ اللغة الفارسيّة الحاليّة وخاصة - في مضمار الشعر - هذه الذروة من النمو والازدهار، فمن النصوص الشعريّة الفارسيّة التي وصلتنا من هذه الفترة يظهر أن العامل الأساس في تقدم الفارسيّة الجديدة وأتساعها وصورتها لغة عالميّة هي اللغة العربيّة.

فاللغة الفارسيّة التي امتزجت باللّغة العربيّة وقويت وآتستت بواسطتها بحيث أنّه نُظِم شعر كثير بأوزانها العروضيّة وأصبحت تواكب العربيّة تدريجيّاً وتفتح لها ميداناً جديداً في مضمار الأدب وخاصّة في القرن الرابع الهجري هي اللّغة الدريّة وهي اللّغة الموجودة في العصر الحاضر.

والنتيجة أنّ العربيّة بعد أن أصبحت اللّغة الرسميّة في جميع مناطق ايران وغطت على اللّهجات الفارسيّة في شرق ايران وغربها دفعت في الوقت نفسه اللّهجة الفارسيّة الوحيدة - وهي الدريّة - التي كانت سائدة في ناحية من نواحي خراسان الى الصعود الى مستوى لغة عالميّة تستطيع أن تروي ظمأ المتعطّشين لأدبها في آسيا الوسطى وشبه القارة الهنديّة.

وأما الجواب عن السؤال الثالث:

فمن الواضح تاريخيّاً أنّه عندما توفّي الخليفة عثمان سنة ٣٦ هجريّة كانت بلاد فارس جميعها تخضع لسيطرة الجيوش الاسلاميّة، وقد استتبع هذا الأمر هجرة كثير من العرب الى ايران واستيطانهم فيها. وتبع ذلك - طبعاً - رواج العربيّة وانتشارها في كل نواحيها. وأستمرّ الأمر على هذا الحال حتى نهاية الحكم الأموي فكان من الطبيعي أن يتأثر الشعبان الفارسيّ والعربيّ احدهما بالآخر. فقد تلقّب كثير من العرب بألقاب فارسيّة مثل الكرمانى بل قد

تفرّس كثير منهم، كما سمّي كثير من الفرس أبناءهم باسماء مركّبة من العربيّة والفارسيّة مثل حسنويّه وخالويّه.

هناك عوامل ساعدت على انتشار العربية في ايران وإشاعتها يمكن اجمالها بمايلي:^١
١. الاسلام هو الدين الحق ودين الفطرة أيضاً، ولما وجدته الفرس ملائماً لفطرتهم آمنوا به عن عقيدة واخلاص، وجدوا كثيراً في نشره وتبليغه.

وتبع ذلك انهم رأوا من الواجب عليهم أن يفهموا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما المصدر الاساس لهذا الدين، وهذا يستلزم إتقان العربية وإجادتها فوجهوا همهم الى ذلك، مضافاً الى أنّها احيطت عندهم بهالة مقدسة باعتبارها لغة القرآن والسنة.

٢. عندما استقرّ المسلمون في بلاد الفرس كان هؤلاء قد قطعوا مراحل مهمة من سلّم الرقيّ العقليّ وتقدّموا إلى حدما في الحضارة والتدني، في حين ان العرب لم يكونوا يعرفون شيئاً من هذه المراحل في جاهليّتهم لذلك احتاجوا اليهم في ادارة هذه الامبراطورية العظيمة فعهدوا اليهم بادارة المناصب الهامة في الدولة زمن الامويين والعباسيين، فكان هذا عاملاً مهماً في تعلّمهم العربية من جهة وإشاعتها من جهة اخرى. اضافة الى انهم بتسلمهم هذه المناصب الهامة نقلوا ثقافتهم الفارسية الى العربية. فاذا كان العرب المسلمون قد فتحوا بلاد الفرس سياسياً فقد استطاع الفرس أن ينقلوا ثقافتهم اليهم بواسطة كتبهم المعروفين مثل عبد الحميد الكاتب وجبلّة بن سالم وصالح بن عبدالرحمن وابن المقفع وغيرهم من الذين نقلوا كثيراً من الكتب الفارسية الى العربية.

٣. ان نقل الكتب الفارسية أدبية، و تاريخية، و قصصاً قوميّة، و امثالاً و حكماً و أخلاقاً و غير ذلك الى العربية بواسطة العلماء والأدباء الفرس كان ذا أثر جَمّ في فنون الادب العربي على اختلافها وخاصة في جمال النثر الفني.^٢

فدخلت العربية نتيجةً لذلك مفرداتٌ واصطلاحاتٌ فارسيّة كثيرةٌ منها علمية

١. تاريخ ادبيات در ايران ١/ ١٢٠-١٢٢؛ تاريخ ايران در قرون نهمين ١/ ٤١٩ و ٤٣٠.

٢. المصدر نفسه؛ نفس الصفحات؛ مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٠-١٩. الدكتور ناصر الدين الأسد دارالجيل، بيروت، ١٩٨٨.

وسياسية و عسكرية، ومنها ديوانية وفنية وتجارية وغيرها كثير مما يخص الشؤون الاجتماعية، ثم تسربت تدريجياً الى مواطن العربية فاستعملها الشعراء والكتّاب بعد أن عربوها، أو ادخلوا بعض التغييرات فيها مما زاد العربية ثروة لغوية، بحيث أصبحت أداة قادرة على بيان جميع الافكار والمعاني المختلفة مدعومة بقاعدة دينية وسياسية.^١

٤. بعد ان فتح العرب المسلمون بلاد فارس انتقل كثير منهم من شبه جزيرتهم الى اصقاع هذه البلاد ومدنها واستوطنوا فيها واختلطوا باهلها فكان هذا حافزاً مهماً لأهل هذه البلاد - أي الفرس - على تعلم العربية وآدابها باعتبارها لغة العرب المسلمين من جهة ولغة الدين الجديد الذي آمنوا به من جهة ثانية.^٢

إذا تبين ذلك وجب علينا الإجابة بوضوح واختصار عن الاسئلة التالية:

١. ما المراد بالادب العربي في إيران؟

٢. من هو الاديب العربي؟

٣. و من هو الاديب الايراني؟

إذا تهيأ لبعض الافراد من قومية معينة ان يترّبوا ويتربّعوا في بلاد غير بلادهم و كان ذلك دليلاً على اعتبار هذا البعض من اهل تلك البلاد الاصليين كان من اللازم ان نعتبر زياد الاعجم و اسماعيل بن يسار و اخاه موسى شهوات و بشار بن برد و ابن المقفع و كثيرين غيرهم من هؤلاء الادباء الفرس ذوي الشهرة المرموقة عرباً لا فرساً ناطقين بالعربية.

اما اذا اعتبرنا نسب الافراد ملاكاً و معياراً لمعرفة اصلهم كان من اللازم ان نعد امثال ابى الفرج الاصفهاني و ابن ماكولا و رشيد الدين الوطواط و غيرهم ممن ينتسبون إلى إحدى القبائل العربية عرباً ايضاً لا فرساً ناطقين بالعربية.

إن الادباء الفرس الذين يرجعون في نسبهم إلى أصل عربي - وقد اعتبرناهم في هذا الكتاب فرساً - هم الذين سكن بعض اجدادهم بلاد فارس و استقروا فيها و صاهروا اهلها فانصهر اصلهم العربي في الاصل الفارسي، فأصبحوا من أهل هذه البلاد فنشأ أحفادهم في

١. تاريخ ادبيات در ايران ١٥٢/١ و ١٥٤.

٢. عصر زرین فرهنگ ایران، ص ٨٥-٩٠. زبان تازی در میان ایرانیان، ص ١٠ و مابعداها.

محيط وبيئة فارسية محضة لا يعرفون اللغة العربية ثم برز من بينهم افراد تعلموا اللغة العربية - باعتبارها لغة ثانية - عن طريق الدرس والتتبع لاعن طريق الأسرة والعائلة و عن هذا الطريق نبغوا فيها واصبحت لهم مكانة ادبية شامخة ومنزلة علمية ممتازة، ثم نحن لم نعرف من هؤلاء من كان يدعي أنه عربي. إذن الاديب العربي الذي اعتبرناه من اصل فارسى هو ذلك الاديب الذى تعتبر لغته الأم فارسيةً وتعلم اللغة العربية عن طريق التتبع والدرس باعتبارها لغةً ثانيةً.

اذا سلطنا الاضواء على الجيل الأول من القسم الأول من هؤلاء يعني من مثل زياد الاعجم ويشار وغيرهما من عاشوا في اواخر القرن الاول و اوائل القرن الثاني الهجريين تبين لنا ان بعضهم كانوا فرساً قد جلبوا الى البلاد العربية مملوكين هم او آباؤهم ثم التحقوا ببعض القبائل العربية بالولاء، فنشأوا و ترعرعوا في محيط عربي وبيئة عربية خالصة، فهؤلاء - في الحقيقة - فرس في الاصل عرب في النشأة لهذا لم يكن لهم شعور قوي بأنهم عرب.

إن هؤلاء اضافة الى انهم كانوا يحتفظون بلغتهم الأم وهى الفارسية كانوا قد نبغوا ايضاً باللغة العربية وبرعوا فيها واصبحت لهم مكانة مرموقة من جراء ذلك، فارتباط هؤلاء بالعرب هو من ناحية العربية لاغير، و إلا فهم انفسهم لاينتسبون الى العرب ولا العرب يعتبرونهم منهم، وهؤلاء بخلاف الفرس الذين هم من اصل عربي فهؤلاء لا يعرفون من نسبهم العربي الا اسماء اجدادهم في شجرة نسبهم حتى ولو كان نسبهم يتصل بالخلفاء الراشدين او صحابة النبي (ص) فهم لا يدعون أنهم عرب بل يعتبرون انفسهم من الفرس. وبناء على هذا كله نقول: ان كل اثر ادبي وصلنا من هؤلاء جميعاً سواء كانوا شعراء ام كُتّاباً فاننا نضعه تحت عنوان «الادب العربي في ايران»^١.

ايران بعد الفتح الاسلامي

العصر الاول (٥٢١-١٣٢هـ)

وبما أننا نريد أن ندرس تاريخ الادب العربي في ايران لا بدّ لنا أن نعرف بصورة موجزة الادوار أو العصور التي مرّ بها هناك. ولمعرفة ذلك لا بدّ من معرفة ودراسة العصور او الفترات السياسية الاسلامية التي مرّت بها بلاد الفرس.

يبدأ هذا العصر بانتصار المسلمين في حرب نهاوند و هزيمة الجيوش الايرانية سنة ٥٢١هـ وينتهي سنة ١٣٢هـ بسقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية.^١

إنّ هذا العصر يجب ان نطلق عليه عصر الحكومة الاموية في ايران ديناً وسياسة و لغة. ان المعاملة الصحيحة الحقة التي استعملها المسلمون الفاتحون مع الفرس وهي المساواة بين الناس - زمن الخلفاء الراشدين - كانت سبباً هاماً في انتشار الاسلام سريعاً في ايران، ولكنه سرعان ما جاء الامويون وقبضوا على زمام الحكومة الاسلامية فكان حكمهم قاسياً ظالماً غير اسلامي بالنسبة الى المسلمين من غير العرب عامة و الفرس خاصة لأنّ حكمهم كانت تسوده «الزعة الجاهلية لا النزعة الاسلامية، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل. فالعمل حق اذا صدر عن عربي من قبيلة! وهو باطل اذا صدر عن مولى او عربي من قبيلة اخرى»^٢.

فكان الحكام الامويون وقادتهم ممن يتولون السلطة على بلاد الفرس يعتبرون

١. الأخبار الطوال، ص ١١٩.

٢. ضحى الاسلام ٢٧/١؛ انظر الكامل لابن الاثير ٩٥/٤ و ص ١٥٤ وما بعدها.

الحكومة حكومة أموية وينظرون الى غيرهم من المسلمين من الامم الاخرى خاصة الفرس نظرة السيد الى المسود، ويعتبرونهم موالي لهم وهذا هو الاساس الذي قام عليه حكمهم وهو اساس لم يُطع فيه الامويون التعاليم الاسلامية فالقرآن يقول: «أما المؤمنون اخوة»^١ و يقول الرسول (ص) «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»^٢ فكانت نتيجة هذه المعاملة السيئة ان كره الفرس حكمهم كرهاً لا حدّ له وسعوا في اسقاطه فدعوا الى نقل الخلافة منهم الى العلويين فأخذوا يتعاونون مع العباسيين ضدّهم، وفي النهاية سقطت الدولة الاموية وقامت على اثرها الدولة العباسية.^٣

العصر الثاني (٥١٣٢-٥٢٠٦هـ)

سقطت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية و كان ذلك على اکتاف الفرس بقيادة ابي مسلم الخراساني^٤ فظفروا ببعض أمنيّتهم وأصبح لهم نفوذ غير قليل في السياسة والقيادة والادارة. وبايجاد الوزارة في بلاط الخلافة العباسية تقليداً للقوانين الشاهنشاهية الفارسية تسلّم الفرس كثيراً من المناصب الهامة في الدولة ادارياً وعسكرياً وعلى رأسها الوزارة و هي اهمها، فاصبحوا هم اهل الحل والعقد في الدولة.^٥

سقطت الدولة الاموية واعقبتها الدولة العباسية ولكن الصراع بين العرب والفرس لم ينته تماماً، فالخلفاء العباسيون، وان حفظوا للفرس معونتهم و مساعدتهم واطلقوا يدهم في الحكم، لم ينسوا أنّهم هم الخلفاء وهم اصحاب السلطان. فان شعروا بان الفرس زاحموهم في الحكم، نكّلوا بهم كما نكّل المنصور بأبي مسلم، والرشيد بالبرامكة بعد تلك القدرة والعظمة التي تمتعوا بها زمن خلافته، وكما نكّل المأمون بالفضل بن سهل^٦ بعد ان حظي هذا عنده بأعلى مناصب الدولة وهي الوزارة ولقب بذي الرئاستين.^٧

١. الحجرات، ١٠. ٢. تحف العقول، ص ٣٤؛ بحار الانوار ٧٦/٣٥٠ ش ١٣؛ الغدير ٦/١٨٧.

٣. تاريخ ايران در قرون نخستين، ص ٥٥ وما بعدها.

٤. الكامل لابن الاثير؛ انظر تاريخ مردم ايران ٦٠. ٦٠/٤٣٣٦ وما بعدها.

٥. انظر ضحى الاسلام ٣٥/١؛ الفخرى، ٢٢١.

٦. الفخرى، ١٥٥ وما بعدها و ١٩٧ الى ٢٠٩. ٧. الكامل ٧/٢٦١.

ولا يفوتنا ان نشير إلى أن المأمون لم يستطع أن يتربع على عرش الخلافة إلا بعد فتح بغداد وقتل الامين بواسطة الخراسانيين بقيادة طاهر بن الحسين الذي لقب بعد ذلك بذي اليمينين.^١

إن أهم خصائص هذا العصر هي: غلبة النفوذ الفارسي وضعف النفوذ العربي ولكنه إلى أي مدى كان ذلك؟ كان الوزراء من الفرس - كما قلنا - ولكن من الحق ان نقول: ان الخلفاء العباسيين لم يكونوا يعتمدون عليهم دائماً فكانوا ينگلون بهم او يعزلونهم اذا شعروا منهم بالخطر، ولما كان امرهم لا يستتب بدونهم كانوا اذا نكلوا بواحد او عزلوه عيتوا واحداً آخر منهم ايضاً مكانه. واستمر الحال على هذا المنوال حتى زمن المعتصم، فلما تولي هذا منصب الخلافة نحاهم وأحل الأتراك محلهم، الامر الذي حفزهم على ان يسعوا في سبيل استقلال بلادهم، فلما سنحت الفرصة للصفايين قاموا ضد الخلافة في بغداد.

الحكومات الايرانية المستقلة وشبه المستقلة (٥٢٠٦ - ٥٦٥٦هـ)

شهد العالم الاسلامي في القرن الثالث الهجري تمزقاً سياسياً واسعاً أدى إلى ظهور دول و حكومات مستقلة عن عاصمة الخلافة العباسية في بغداد وانتجت خلافات و منازعات سياسية وطائفية كثيرة. والسبب المهم الذي أدى إلى هذا التمزق والتفرق هو ضعف مركز الخلافة العباسية في بغداد.

وإذا ما وصلنا إلى القرن الرابع رأينا أن التمزق والتفرق يزداد في جسم الدولة الاسلامية. فالسامانيون يتخذون خراسان وما حولها قاعدة لهم ويؤسسون اول دولة فارسية بنام معنى الكلمة، وآل زيار (واشهرهم مرداويج وقابوس) يسيطرون على طبرستان وجرجان، والخوازمشاهيون على خوارزم، والبويهيون يستولون على فارس والري واصفهان والجبل، وغيرهم على البلاد الأخرى وبذلك يصبح جسد الدولة الاسلامية موزعاً إلى دول مستقلة وشبه مستقلة.^٢

٢. حول الادب السلجوقي، ص ١٠.

١. الفخرى، ص ١٤٩ وما بعدها.

واشهر الدول المستقلّة وشبه المستقلّة التي ظهرت في ايران بعد القرن الثاني حتى سقوط بغداد هي الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية والزيارية والبويهية والسلجوقية والخورزمشاهية.

الدولة الطاهرية (٥٢٠٦-٥٢٥٩هـ)

بعد وفاة الرشيد اختلف الامين^١ مع اخيه المأمون حول الخلافة، فوجه المأمون جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين الملقب بذي اليمينين الى بغداد فاحتلها وقتل الامين سنة ١٩٨، وبعد رجوعه من بغداد عهد اليه المأمون ولاية خراسان، ومنذ هذا الوقت بدأت حكومة الطاهريين، وبعد ان توفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧هـ خلفه ابناؤه في الحكومة.

تعتبر الدولة الطاهرية في خراسان اول دولة حازت على استقلالها وانفصلت عن مركز الخلافة في بغداد، واشتهرت بحبها للعرب والعربية وكانت على علاقة حسنة مع الخلافة في بغداد. واذا كانت الدولة الطاهرية اول دولة تحظى باستقلالها في خراسان فان الدولة الصفارية التي خلفتها كانت ثاني دولة تحصل على استقلالها في سجستان سنة ٢٥٤هـ بقيادة يعقوب الليث الصفاري.^٢

الدولة الصفارية^٣ (٥٢٤٧-٥٣٩٣هـ)

يعتبر يعقوب الليث الصفاري مؤسس حكومة الصفاريين، انخرط بسلك العيارين^٤ في منطقة سيستان مدة من الزمان وبعد كفاح شامل ضد الحكومة هناك استطاع أن يدحر محمد بن طاهر ويستولي على منطقة سيستان، وبعد أن وسع حكومته أعلن مخالفته للخليفة المعتمد العباسي وزحف على بغداد قاصداً فتحها ولكنه فشل في ذلك ورجع القهقري غير آيس من ملك العراق قائلاً:

١. تاريخ الطبري ٧١/٧، حوادث سنة ١٩٨.

٢. تاريخ الطبري ١٥٦/٧، حوادث سنة ٢٠٦.

٣. تاريخ ادبيات در ايران ٣٨/١. ٤. تاريخ سيستان، ١٧٥-١٩٣.

خراسانُ أحويها واعمالُ فارسٍ وما أنا من مُلكِ العراقِ بآيسٍ
 اذا ما أمورُ الدينِ ضاعتُ وأهملتُ ورثتُ وصارتُ كالرسومِ الدوارسِ
 خرجتُ بسعونِ اللّٰه يُننأ ونصرةً وصاحبُ راياتِ الهدى غيرُ حارسٍ^١
 تُوفِّي بسببِ القولنج سنة ٢٦٥هـ^٢ جاء بعده أخوه عمرو والليث ولكنه خلافاً ليعقوب
 استطاع أن يجلب رضى الخليفة العباسي فأقرّه هذا على الممالك والمناطق التي كانت
 خاضعة لأخيه.

استطاع هذا أن يدفع عجلة حكومته نحو التقدم والازدهار هناك، لكنّ الخليفة
 العباسي - وكان يُضمر حقدًا له وخوفًا منه - طلب من اسماعيل الساماني الذي كان حاكماً
 على خراسان أن يثور ضدّه.^٣ فالتقى جيشاهما وكانت النتيجة أن انتصر اسماعيل الساماني
 على عمرو وأسرّه فضعفت حكومة الصّقاريين وانقسمت الى ولايات صغيرة بقيت على
 هذا النحو حتى سنة ٣٩٣هـ^٤ إذ استطاع محمود الغزنوي أن يقضي عليهم نهائياً.

الدولة السامانية (٢٧٩هـ - ٣٨٩هـ)

يعتبر الامير احمد المؤسس الأوّل لهذه الدوّلة وقد حكم اقليم ماوراءالنهر سنة ٢٦١هـ، ثم
 استولى على الرّي وعلى سجستان سنة ٢٩٧هـ و ٢٩٨هـ. حكم السامانيون أقاليم
 ماوراءالنهر وخراسان وبخارا وسجستان وجرجان وطبرستان والرّي وكرمان. وقد
 ذكر المؤرخون أن هذه الدولة قد ازدهرت «في عهد نصر بن احمد، ثالث الامراء، الذي
 حكم ثلاثين سنة. ففي عهده بلغت الدولة السامانية اوج عظمتها ونشطت مراكز الثقافة
 والعلوم في عصره. فغدت بخارا عامرة بالعلماء والأدباء ذوى الفضل أمثال ابن سينا و
 رودكى وابن ريجان البيروني و زكريا الرازي الطيّب».^٥

١. مروج الذهب ٤/١١٤، طبع دار الاندلس، بيروت.

٢. تاريخ الطبري ٨/٤٤٤. ٣. المصدر نفسه ٨/١٩٩.

٤. تاريخ ادبيات در ايران ١/٣٨ و ٣٩.

٥. المسالك والممالك، ص ٨٦؛ حول الادب السلجوقي، ص ٢٧.

الدولتان الزيارية و البويهية (٥٣٢٣-٥٤٤٧هـ)

أسس الدولة البويهية إخوة ثلاثة على و حسن و أحمد، عاصر هؤلاء في بداية امرهم الدولة السامانية و كانوا خاضعين لها. اشتغلوا ايضاً عند «ما كان بن كاكى» ثم انخرطوا في خدمة «مرداويج» من الزياريين فاستولى هذا على اصفهان و فارس بالاستعانة بكبيرهم علي. فكتب علي هذا الى الخليفة الراضى بالله أن يقاطعه على ما بيده من الاقاليم و أنه على طاعته، فأجابه الخليفة الى ذلك. بعد ذلك استطاع اخوه حسن أن يستولى على كرمان و همدان و غيرها من بلاد ايران.

بعد أن قتل مرداويج الزيارى قوى هؤلاء و توسع نطاق حكمهم، فجهز احمد جيشاً و زحف به على بغداد و استولى عليها سنة ٥٣٣٣هـ،^١ فنحى الخليفة لقب «معزالدولة» و منح اخويه حسناً و علياً لقبى «عمادالدولة» و «ركن الدولة»^٢، و قد ضربت النقود بأسمائهم و القابهم. و لم تقض مدة حتى استطاع احمد الملقب بمعزالدولة أن يسيطر على الطرق بشكل كامل. و عندما مرض عمادالدولة و لم يكن له ولد ارسل اخوه علي الملقب بركن الدولة ابنه «عضدالدولة» الى فارس ليخلف عمه على حكم البلاد.^٣ يعد عضدالدولة اهم امراء الأسرة البويهية و اقواهم و قد حكم خمساً و ثلاثين سنة. و بعد موته ضعفت هذه الدولة و ظهر النزاع بين امرائها، و انحصرت سيطرتها في العراق حتى قضى عليها «طغرل بيك» السلجوقى سنة ٥٤٤٧هـ.^٤

الدولة الغزنوية^٥ (٥٣٥١-٥٤٣٣هـ)

يعد «آلبتكين» واضع الحجر الأساس لهذه الدولة و قد اتخذ غزنة عاصمةً له، سنة ٥٣٥٠هـ و بعد وفاته خلفه على الحكم مملوكه الخاص سبكتكين الذى يعتبر بحق المؤسس الثانى لها لما كان يتمتع به من تدبير سياسى و عقلى، و بعد وفاة هذا خلفه ابنه محمد على الحكم و ذلك

١. الكامل، حوادث سنة ٣٣٤: المختصر في اخبار البشر ١١٨/٣.

٢. تاريخ ادبيات در ايران ١/٢١٣. ٣. المختصر في اخبار البشر ٣/١٢٤.

٤. الكامل، حوادث سنة ٤٤٧.

٥. تاريخ ايران در قرون نخستين ١/١٩٩-٢٢٤: عصر زرين فرهنگ ايران، ص ٢٣٥-٢٣٧.

بعد حربٍ مع اخيه اسماعيل دامت سبعة اشهر.

لم ينظر التاريخ الى آلبتكين ولا إلى سبكتكين باعتبارهما مؤسسي هذه الدولة بل نظر الى محمود بن سبكتكين باعتباره الشخصية القوية التي وطّدت اقدام هذه الدولة التركية القوية الواسعة. فقد استطاع هذا أن يستولي على مناطق كثيرة من ايران وأن ينشر الدين الاسلامي في الهند، حيث امتدت امبراطوريته من العراق إلى أواسط الهند شرقاً وإلى قزوين غرباً، وأصبح الحاكم المقتدر الأول في ايران بلامنازع، ثم خلفه ابنه مسعود سنة ٤٢١هـ. وقد حاول أن يقتني أثراييه في الفتوحات، إلا أن الاختلافات الداخلية التي وقعت بين الأسرة الحاكمة نفسها أضعفته. ثم اصطدم بالقوات السلجوقية العاتية بقيادة طغرلبيك الذي كان يستولي على اراضى مملكته تدريجياً، فتقهقر أمامه ومُني بهزيمة منكرة، انسحب بعدها إلى الهند و في طريقه إلى هناك ثار ضده جماعةٌ من جيشه وقتلوه سنة ٤٣٢هـ وبقتله زالت دولة الغزنويين.

الدولة السلجوقية^١ (٥٤٢٩-٥٥٩٦هـ)

بعد أن هزمت الجيوش السلجوقية بقيادة طغرلبيك الجيوش الغزنوية بقيادة مسعود في حرب «دندانقان» خرجت بلاد خراسان من سلطة الغزنويين وانسحب مسعود إلى الهند حيث قتل على يد بعض الثوار من حاشيته، استولى طغرلبيك على جرجان أولاً، ثم أخضع بلاد خوارزم، ثم مدّ سلطته الى قزوين و همدان ثم استولى على اصفهان و فارس ثم دخلت جيوشه بغداد سنة ٤٤٧هـ معلنةً نهاية حكم البويهيين فيها.

ويمكن القول إن ايران بعد ما كانت ساحة للحروب الداخلية الكثيرة - شهدت فترة هدوء وازدهار، و عصرًا ذهبيًا في القرن الخامس مدة حكومة طغرلبيك و آلبارسلان و ملكشاه، خاصة زمن الوزير عميد الملك الكندري و بعده نظام الملك الطوسي الذي يعتبر بحق من الساسة المدبرين.

١. تاريخ ايران در قرون نخستين اسلامي ١/٢٢٥-٢٣٥؛ عصر زرین فرهنگ ايران؛ الكامل، حوادث ايام السلاجقة.

الدولة الخوارزمية (الفترة الأولى) (٥٣٨٥-٥٤٠٧هـ)

اطلق هذا الاسم - بشكل عام - على بعض الأسر الإيرانية والتركيّة ولكنّ الذي يخصّنا في هذا الموضوع هي الأسرة الخوارزمية المشاهية المعروفة بأسرة آل مأمون، وكان رئيسها مأمون محمد والياً على گرگانج سنة ٣٨٥هـ فزحف على خوارزم وقتل حاكمها ابا عبدالله و ترّبع مكانه على عرشها. تُوفّي مأمون محمد سنة ٣٨٧هـ فخلفه ابنه ابو الحسن على، ثم جاء بعده اخوه ابو العباس الذي لقب بمأمون خوارزم. كان ابو العباس حاكماً على خوارزم من قبل السلطان محمود الغزنوي، ولما طلب اليه هذا ان تكون خطبة الجمعة باسمه لبني طلبه ولكن أهالي خوارزم لم يقبلوا ذلك وثاروا عليه وقتلوه وجعلوا ابن اخيه ابا الحارث محمد علي مكانه فكان ذلك سبباً لزحف محمود الغزنوي على خوارزم واحتلالها سنة ٤٠٧هـ و انقراض الدولة الخوارزمية الأولى.^١

الدولة الخوارزمية (الفترة الثانية) (٥٢٢-٦٥٦هـ)

بعد انقراض السلجوقيين ترّبع الخوارزميون على عرش الحكومة في ايران، وكان أهمّ سلاطينهم علاء الدين تكش و آتسز و السلطان محمد الخوارزمشاهي و السلطان جلال الدين. و في زمن هؤلاء اندفعت الحملة المغوليّة على ايران فاسقطتهم و خربت و دمّرت كلّ ما اعترضها، وقتلت كلّ من وقف امام سيلها الجارف، و بذلك انقرضت هذه الدولة، و بانقراضها تعطلت عجلة الحضارة و التمدن الاسلامي، و ذلك بسبب القتل العام و الدمار الشامل، و قتل اكثر العلماء و هروب الباقيين منهم الى مصر و سوريا و غيرها خوفاً من القتل و السلب و النهب.

١. انظر: تاريخ البيهقي، تصحيح الدكتور غني والدكتور فياض، ص ٦٦٨.

ازدهار الادب العربي في ايران

الفصل الاول: اسباب الازدهار

الفصل الثاني: الصراع بين العرب والموالي

الفصل الثالث: النهضة العلميّة و حركاتها

الفصل الرابع: تفاعل اللغتين الفارسية والعربية

اسباب الازدهار

عند سقوط الدولة الساسانية في ايران اعقبتها الخلافة الاسلامية متمثلة بالخلفاء عمر و عثمان و علي(ع) فكانت تراعى في زمنهم - الى حد كبير - القيم الانسانية و العدالة الاجتماعية التي تستند إلى الأحكام الاسلامية وأخلاق النبي(ص) وسيرته الشريفة، إلا أن مدة حكمهم لم تدم طويلاً، فقد تسلّم زمام الحكم بعد علي(ع) بنوأميّة بقيادة معاوية، فساموا المسلمين خسفاً، عرباً كانوا ام غير عرب.

كان الفرس أول الشعوب الاسلامية غير العربية التي تنهت إلى نفاق بني امية و أهدافهم اللااسلامية، و عرف بنوأميّة منهم ذلك فواجهوهم بسيل من الدعاية ضدّهم.

أدرك الفرس عمق قيم الاسلام الانسانية فأمنوا به ايماناً عميقاً ثم انهم مازوا بينه و بين سياسة الحكام الامويين المتظاهرين به، فاعتبروا الاسلام شيئاً و سياسة الحكام الامويين شيئاً آخر، فلاغرو اذن أن تسكوا بجبل الله الممدود بين السماء والارض و هو القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة، ولاعجب اذن اذا رأيناهم يكرهون الحكم الاموي كراهية عميقة و يسعون في اسقاطه و يرفعون علم المعارضة ضده بالسيف و القلم و اللسان، فدعوا إلى نقل الخلافة إلى الهاشميين، و كانت خراسان مهد دعوتهم، و اخيراً زحفت جيوشهم ضدّ الامويين بقيادة أبي مسلم الخراساني فأخذت حصونهم و قلاعهم تسقط متتالية حتى دخل ابو مسلم الكوفة و انتهى الامر إلى العباسيين.

سقط الحكم الاموي و قامت الدولة العباسية و عرف العباسيون للفرس فضلهم فكانت النتيجة غلبة الفرس على الحكم و نفوذهم إلى ادارة الخلافة العباسية حتى اصبح

«من أهم خصائص هذا العصر قوة النفوذ الفارسي و ضعف النفوذ العربي»^١ يقول احمد امين: كان لنفوذ الموالي وخاصة الفرس مظاهر عدة^٢ أهمها:

١. إن قصور الخلفاء ملئت بالموالي الذين كانوا يستخدمون في اعمال شتى.
٢. قصر المناصب العالية كالوزارة على الفرس تقريباً.
٣. انتشار العادات والتقاليد الفارسية كاحياء يوم النيروز، و لبس القلنسوة.
٤. انتشار الثقافة الفارسية.

من الامور المهمة التي جعلت الفرس يُقبلون على تعلم اللغة العربية بعد فتح العرب المسلمين بلادهم و استقرارهم فيها هي أنّها لغة الدين الجديد و لغة القرآن الكريم اولاً، والفوارق الكثيرة التي كانت في البلاد الاسلامية المختلفة ثانياً، فاندفعوا يوجّهون^٣ جلّ اهتمامهم الى تعلمها لتكون طريقاً لهم الى هدفين مهمّين هما:^٤

١. التطلع من العلوم الاسلامية.
٢. نقل تمدنهم الى المجتمع الاسلامي.

إنّ من الامور الاجتماعية الهامة التي نشاهدها في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري هي انتشار التقاليد والعادات الفارسية بين العرب والتي كان لها اثر هامّ في الادب العربي، فاذا دققنا النظر في تاريخ ايران عامةً و تاريخ الادب العربي فيها خاصةً بين الفتح الاسلامي حتى سقوط بغداد اي طيلة سبعة قرون تقريباً، يظهر لنا بوضوح أن الحالة (السياسية والاجتماعية والثقافية) في ايران في الفترة الواقعة بين ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الثالث كانت تتمتع بتطور خاص بعد خضوع ايران للسيطرة العباسية.

ومع ان بداية العصر الذهبي للادب العربي وازدهاره في ايران تتزايد مع بداية القرن الرابع الا ان اسباب هذا الازدهار و مقدماته تكمن في القرون الاولى، فبعد اعتناق الفرس الدين الاسلامي اُثرو تأثيراً عميقاً في حياة المسلمين و اللغة العربية و آدابها من جهة، و تأثرو بهم وبالاسلام و اللغة العربية من جهة ثانية، فظهر ذلك واضحاً و عميقاً في

١. ضحى الاسلام ١/٣٥. ٢. المصدر نفسه، ص ٤٣.

٣. الاغاني ١٨/١٢٣؛ عيون الاخبار ١/٢٩٦. ٤. ضحى الاسلام ١/٥١ و ما بعدها.

الأدبين الفارسي والعربي، حيث كان هناك تأثير متبادل بين الجانبين من المسلمين الفاتحين ومن اهل البلاد المفتوحة.^١

كانت الحياة في العصر الاموي تسير ببطء نحو الترف والنعيم وذلك على اثر الفتوحات، اما في العصر العباسي فاخذت تسير بسرعة شديدة. فكثير من الناس قد أفرطوا في اللذائذ، يتحرّونها و يتفنّون في التلذذ والاستمتاع بها يحاكون في ذلك خلفاءهم. اما الاحوال السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في ايران منذ بداية القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع فقد اتخذت شكلا آخر. لقد حكم السامانيون مدة طويلة في هذه الفترة و مدّوا سلطانهم على بلاد ماوراء النهر و خراسان و سجستان و الري و جرجان محاولين احياء التقاليد و العادات الفارسية القديمة.

وفي هذه الفترة ايضاً استطاع الحكام الزبيريون و البويهيون ان يخرجوا بلاد فارس بشكل كامل من سيطرة الخلفاء العباسيين، ثم جاء بعد هؤلاء الغزنويون فلم يغيروا شيئاً في العادات و التقاليد التي احياها السامانيون.

كانت العلاقة بين بلاط الخلافة في بغداد و بين الحكومات الايرانية المستقلة و شبه المستقلة في ايران في هذه الفترة علاقة عكسية، فكلما ضعفت الخلافة قويت هذه الحكومات. وقد وصل التدهور في خلافة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) الى حد بحيث طلب من معز الدولة البويهى أن يزحف على بغداد و يعيد اليها الأمن و الطمأنينة و الاستقرار، لانه لم يكن للخليفة في هذه الفترة من السلطة و القدرة شىء يذكر إلا الاسم، فقد جرّد من كل شىء و كان تدبير الامور بيد أمير الأمراء^٢، في حين أن ايران كانت تنعم في هذه الفترة بالأمن و الطمأنينة بسبب استقلالها سياسياً و دينياً الأمر الذي أدّى إلى ازدهارها في ميادين العلم و الادب. كما كانت تتمتع بمكانة ممتازة خاصة بعد خضوعها للسيطرة العباسية. حاول الفرس بعد الفتح الاسلامي ان يحتفظوا بعاداتهم و تقاليدهم، وقد اقرّ الاسلام كثيراً منها، فالمهرجانات و الاحتفالات و الاعياد، و الازياء و غيرها من العادات

١. انظر: عصر زرّين فرهنگ ايران، ص ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٧؛ الفهرست، ص ١١٧؛ تاريخ ايران
در قرون نخستين ١/٤٣٠ و ما بعدها. ٢. انظر: تاريخ ادبيات در ايران، ص ١٩٩.

والتقاليد لم تكن شائعة بين عامة الناس فحسب، بل كان بعض ولاة بني امية و اكثر خلفاء بني العباس يحاكون الفرس في عاداتهم و تقاليدهم و يتخذونها لهم عادات و تقاليد، فكان يُحتفل مثلاً في البلاط العباسي في عيد النيروز، و كان الخلفاء العباسيون يقلّدون الفرس في ازيائهم و الوان اقمشتهم، فشاع لبس القلنسوة الطويلة و انواع الازياء الفارسية، و كانوا في عيد النيروز يجلسون للتهنئة و استقبال الناس و استماع القصائد و اعطاء الجوائز و الهدايا، كل ذلك نستطيع ملاحظته في ادب تلك الفترة شعراً و نثراً^١.

لقد بلغ التمدن الاسلامي - و الى جانبه اللغة العربية - في ايران - بحق - ذروته في هذا العهد فقد ظهرت الآراء و الافكار المختلفة علمياً و فلسفياً. كما نبغ في عالم الادب ايضاً افاض مثل اسماعيل الساماني، و مرداويج الزيارى، و عمادالدولة و معزالدولة الديلميين، و أبي الفضل البلعمى، و ابن العميد و الصاحب بن عباد و أبي بكر الخوارزمي و بديع الزمان الهمداني و الفضل بن احمد الاسفراينى و احمد بن حسن الميمندى و غيرهم، كذلك في ميدان العلم نبغ كبار المؤرخين و العلماء امثال الطبري و زكريا الرازى و الفارابي و ابن سينا و ابي نصر الفارابي و البيروني و ابن مسكويه و غيرهم. اما في ميدان الادب الفارسي فقد نبغ امثال رودكى و دقيقى و الفردوسى و غيرهم.

١. مقدمة ابن خلدون ١/١٤٥، البيان والتبيين ٣/٦٥ وما بعدها، ضحى الاسلام ١/١٠١ وما بعدها.

الصراع بين العرب والموالي

لم يكن مفهوم الامة معروفاً عند العرب في الجاهلية فلم يكن شعورٌ قوياً بأنهم أمةٌ واحدةٌ و جنسٌ واحدٌ، بل كان الشعور عندهم نحو القبيلة فقط. فكان الفرد يشعر بأنه من القبيلة والقبيلة منه وكان فخرهم فخراً قَبلياً، فلما جاء الاسلام جعل منهم امةً واحدةً تتمتع بخصائص الامة و هى الاتحاد في اللغة والدين والميول و على رأسها حكومة.^١ وقد نعتهم القرآن الكريم قائلاً: «كنتم خير أمة أخرجت للناس...»، وكان الجهاد في سبيل الله فاستتبع انتصارهم على أقوى دولتين في زمنهم و هما دولتا الفرس والروم، فهزموا جيوشها و دكّوا عروشها و ظفروا بهما وأثر ذلك على نفسيّتهم، و شعَرَ كثيرٌ منهم «بأن الدم الذي يجري في عروقهم دم ممتاز ليس من جنسه دم الفرس و الروم و اشباههم.... فنظر الى غيرهم من الامم نظرة السيد إلى المسود»^٢ وكان هذا في عصر بنى امية، فأثر ذلك في ادبهم و استتبع ردّ فعل قوياً و عصبيةً قوياً تقابل هذه العصبية العربية - عند الامم الأخرى و خاصةً الفرس من ناحية ثانية، فقد تملّك هؤلاء العجب «كيف غلبهم العرب و عبّر بعضهم عن هذا المعنى: بأن حكم العرب لهم ضربٌ من سخرية القدر! و كانوا يفخرون على العرب بمجدهم القديم و عزّهم التالذ و أنّهم اهل الحضارة العظيمة»^٣، فظهر صراع ادبى سياسى بين اولئك باعتبارهم حكاماً و بين هؤلاء من المسلمين من الامم الأخرى و خاصةً الفرس

٢. المصدر نفسه، ص ٢٢.

١. انظر: ضحى الاسلام ١/١٩.

٣. المصدر نفسه، ص ٢٨.

باعتبارهم محکومین، كانت نتیجته ظهور الشعبیة و غلبة الفرس سیاسياً و ادارياً.

ظهر هذا الصراع الطبقي بين العرب و بین غیرهم من المسلمین - و كان يطلق علیهم اسم الموالی و خاصةً الفرس زمن بنی أمیة، «والحق أن الحکم الاموی لم یکن حکماً اسلامياً یسوی فیہ بین الناس و یکافأ فیہ من أحسن عربياً كان أو مولی، و یعاقب فیہ من أجرم عربياً كان أو مولی...» و كانت تسود العرب فیہ النزعة الجاهلیة لا النزعة الاسلامیة، فكان الحق و الباطل یختلفان باختلاف من صدر عنه العمل، فالعمل حقّ اذا صدر عن عربی من قبیلة، و هو باطلاً اذا صدر عن مولی أو عربی من قبیلة أخرى»^١.

أمّا فی زمن الخلفاء الراشدين و خاصةً زمن الإمام علی (ع) فلم یکن الامر كذلك فقد كان علی علیه السلام یساوی بین المسلمین من العرب و غیرهم علی السواء، ولم یکن یرجّح احداً لعروبته علی آخر لأعجمیته، و كان معیاره فی ذلك اسلام الشخص و ایمانه.^٢ بعد أن فتح العرب المسلمون ایران نزحت قبائل كثيرة منهم إلى شمال ایران و استقرت فیہ كما اتخذت قبائل كثيرة أخرى خراسان مستقراً و مقاماً لها. و ذلك بسبب ما تتمتع به هذه المناطق من امتیازات حضاریة و اجتماعیة و مناخیة. و بطبیعة الحال فقد حمل هؤلاء العرب النازحون عصبیة القبلیة القدیمة معهم، و أشعلوا جذوتها فی مواطنهم الجدیة فی ایران. و قد ساعد علی ذلك كثيراً سياسة بنی امیة التي كانت تعتمد علی القاعدة المعروفة «فرّق تسد». هذه الاختلافات و العصبیة التي كانت بین العرب انفسهم و التي لاحظها الایرانیون اصحاب الارض الاصلیون كانت سبباً لأن ینظر هؤلاء الی الوراة قليلاً و یفکروا فی قومیتهم و لغتهم و حضارتهم، و بكلمة واحدة هذه الاختلافات دفعتهم الی أن یراجعوا انفسهم و یفکروا فی ماضیهم العظیم فكانت النتيجة أنهم أبانوا عن أفضلیتهم علی غیرهم - قديماً - ثقافياً و حضارياً بأشكال مختلفة، و منها ما ظهر فی شعرهم الحماسی، فظهرت هذه الملاحم الحماسیة ضدّ الحکم الاموی علی لسان شعراء كثيرین امثال الاسدی الطوسی و الفردوسی الذي تعتبر ملحمته المعروفة الشاهنامه خير مثال علی ذلك.^٣

١. المصدر نفسه، ص ٢٧.

٢. شرح نهج البلاغة، لابن ابی الحدید ١/١٨٢.

٣. تاریخ ایران در قرون نخستین ١/ص ٤١٩.

ولم يكن هذا فقط بل كان شعراء العربية الفرس أيضاً يتغنون في شعرهم بمجد فارس وعظمة اجدادهم معبرين بذلك عن مناهضتهم لبني امية ومقاومتهم لعداوتهم وعصبيتهم، من ذلك قصيدة اسماعيل بن يسار التي قالها في مجلس هشام بن عبد الملك ومنها:^١

عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم	إني وجدك ما عودي بذوي خور
ولي لسان كحد السيف مسوم	أصلي كريم ومجدي لا يقاس به
من كل قرم بتاج الملك معوم	أحمي به مجد أقوام ذوي حسب
جرد عناق مساميح مطاعم	جراح سادة بلج مرابنة
والهزمزان لفخر أو لتعظيم	من مثل كسرى وسابور الجنود معاً
وهم أذلوا ملوك الترك والرؤم	أسد الكنائس يوم الزوع إن زحفوا
جرثومة قهرت عز الجرائم	هناك إن تسألني ثنبي بأن لنا

وقد لقي بسببها من هشام مالي، فقد غضب عليه عندما سمع هذا الشعر منه وقال له: أعليّ تفتخر...؟ غطوه في الماء، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم أمر بنفيه الى الحجاز.^٢

هذه الكراهية وهذه العصبية وهذا الصراع المستمر، كل هذه العوامل زرعت بذور الحقد والضغينة في الفرس، فكان نتيجة ذلك قيام ابي مسلم الخراساني، وسقوط الحكم الاموي الفاسد، وقيام الدولة العباسية. لكن هذا الصراع بقي على حاله بشكله الادبي زمن العباسيين، وحتى بعد أن تمكن الفرس من تأسيس حكومات مستقلة في ايران، فكان بشار بن برد يفتخر بخراسانيته، لابعبار أن خراسان ولاية من ولايات ايران بل باعتبارها مثلاً أعلى للفرس في الدفاع عن الحرية ومنازلة الأمويين، فن فخره بخراسانيته قوله:^٣

وهجاني مَعشَرٌ كُلهُم	حُمُقٌ دام لهم ذاك الحُمُق
ليس من جرم ولكن غاظهم	شرفي العارض قد سد الأفق
من خراسان وبيتي في الدرّي	ولدى المسعاة فرعي قد سبق

١. فجر الاسلام، ص ١٣٨؛ ضحى الاسلام ١/٢٩.

٢. الاغانى ٤/٤١٤-٤١٥، طبع دار الفكر. ٣. الديوان ٤/١١٥.

كانت خراسان مهد المعارضة القوية ضد بني أمية، وقد ساعدت العصبية القبلية فيما بين المضريين والقحطانيين هناك بشكل هامّ الجيوش الخراسانية بقيادة ابي مسلم على إسقاط الحكم الأموي هناك، ثمّ في العراق ثمّ تقويضه نهائيًا في الشام^١، وبذلك نال الفرس أمانيّتهم أو بعض أمانيّتهم، حيث كان الخلفاء العباسيون يعترفون لهم بالجميل لأنّ دولتهم قامت على أكتافهم. لكنّهم إن اعترفوا لهم بالجميل وأوصلوهم الى اعلى المراتب فلم يكن خطرهم عليهم أقلّ من خطر الأمويين، فهم إن شعروا بأنّهم زاحموهم في السلطان نكلوا بهم شرّ تنكيل، كما نكل المنصور بأبي مسلم، والرّشيد بالبرامكة، والمأمون بالفضل بن سهل^٢، لكنّ الشيء المهمّ أن نفوذ الفرس في العصر العباسي لم يكن قليل الخطر فقد كانت اعظم المناصب كالوزارة وغيرها في ايديهم، وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى زمن المعتصم فقلّ نفوذهم ورجحت كفة الاتراك^٣.

وإذا كان نفوذهم قد ضعف فإنّ الصراع الادبيّ بينهم وبين العرب لم يضعف بل كان على حاله حيث إنّ كلا من الطرفين كان يتغنّى بعظمة قومه وأجدادهم، فبعد الله بن طاهر مثلاً يُشيد باجداد آبائه في قصيدة يفخر فيها بقتل الامين قائلاً^٤:

أَقْصِرِي عَمَّا لَهَجَتْ بِهِ	فَفِرَاغِي عَنِّيكَ مَشْغُولُ
أَنَا مَنْ قَدْ تَعْرِفِي نَسَبِي	سَلَفِي الْفَرَّ الْبِهَالِيلُ
مِنْ خِرَاسَانَ مُصَمِّمُهُمْ	كَكَلْبِيُوثٍ ضَمَّهَا غِيلُ
وَهَابُوا لِيْلِهِ أَنْفُسَهُمْ	لَأَمْغَازِيلُ وَلَا مِيلُ

انه في هذه القصيدة يفخر بفارسيّته ويشيد باهل خراسان ويشني عليهم ويصفهم بالشجاعة والقداء والجهاد في سبيل الله باموالهم وانفسهم مقلداً في ذلك اسلوب البردة وزناً وقافيةً.

ان من الأمور الاجتماعية الهامة التي نشاهدها في العصر العباسي في القرن الثالث

١. ابن خلدون ٣/١٢١؛ ضحى الاسلام ١/٣٣.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٠٥.

٣. الوزراء والكتاب، ص ١٣٩، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧؛ ضحى الاسلام ١/٣٥.

٤. الاغانى ١١/١٣؛ الفرج بعد الشدة ١/٧٤.

الهجرى هي انتشار التقاليد والعادات الفارسية بين العرب والتي كان لها اثر هام في الادب العربي. والشىء الهام الذى نريد أن نسلط عليه الاضواء الكاملة وأن ندرسه دراسة عميقة اجتماعياً وسياسياً وثقافياً في هذه الفترة الزمنية الهامة التي تبدأ بظهور الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية هو هذه الحركة التي اطلق عليها اسم الشعوبية. فإذا دققنا النظر في تاريخ ايران عامةً و تاريخ الادب العربي فيها خاصةً طيلة هذه الفترة حتى سقوط بغداد أى طيلة سبعة قرون ظهر لنا بوضوح أن الحالة السياسية والاجتماعية في ايران في الفترة الواقعة بين ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الثالث كان يسودها هذا الصراع الذى أُطلق عليه لفظ الشعوبية.

الشعوبية

لفظ الشعوبية مصدر صناعي و يجوز ان يكون مأخوذاً من كلمة الشعوب في قوله تعالى 'يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكْرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ' .^١

والشعوبية «نزعة في العصر العباسى تُنكر تفضيل العرب على غيرهم و تحاول الحطّ منهم»^٢ كان مقرّها العراق باعتباره المسرح الذي ظهرت عليه، وترعرعت فيه، لأنه كان ملتقى العنصر العربي الغالب بالعنصر الفارسي المغلوب و كانت مستترة طوال العصر الاموي فلما نجح العباسيون في انشاء دولتهم بمساعدة الفرس أطلقوا لهم الحرية واستعملوهم في المراكز الهامة وأسندوا الى بعضهم مسؤولية الحكم وقويت هذه النزعة فيهم لأنهم أحسّوا بذواتهم وشعروا بالنزعة القومية.

اسباب نشوتها

يمكن القول إنَّ ظهور الشعوبية يُعزى الى ثلاثة اسباب:
اولها اجتماعي: وتدور كل شواهد حول استعلاء العرب على الموالى، فقد ظنّوا انهم امة ليس

كمثلها امة «وتملكهم الشعور والسيادة والعظمة فنظروا الى غيرهم من الشعوب نظرة السيد الى المسود»^١، فكان العربي اذا اقبل من السوق «ومعه شيء فرأى مولى دفعه اليه ليحمله عنه، فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه! وكان اذا لقيه راكباً واراد ان ينزل فعل»^٢.

وعلى نحو ما كانوا يستهينون بالموالي كانوا يستهينون بالمولدين الذين كان آباؤهم من العرب وامهاتهم من الاماء ولذلك سموهم الهجناء تمييزاً لهم من العرب الأصلاء، ولجؤوا في تحقيرهم حتى لم يكونوا يرثون كما يرث الصرحاء.^٣

وثانها سياسي: اذا سبرنا الاسباب السياسية التي أدت الى ظهور الشعوبية وجدناها تمثل لنا ان الامويين كانوا يريدون نبذ الموالي واقصاءهم عن المراكز الحساسة بحكم تعصبهم للعرب، فكانوا اذا اختاروا والياً راعوا فيه ان يكون من العرب، وان اختاروا قاضياً او اماماً يصلي بالناس اختاروه من العرب ايضاً، فان خرجوا عن هذا الاطار ثار العرب عليهم وطلبوهم بعزل المولى عن وظيفته.^٤

ثالثها اقتصادي: تبين لنا بعض الاخبار المتصلة بهذا الموضوع اهمال الحكام الامويين للشؤون المالية في البلاد المفتوحة، وظلمهم لاهلها من الموالي واهل الذمة، فكانوا يأخذون الجزية من مسلميهم ويتعسفون كثيراً في استيفائها منهم. ومن اكثر الاخبار ذبوعاً واشهرها دوراناً على الالسنه في هذا المضمار ما فعله الحجاج بالموالي واهل الذمة في البصرة بعد ان ثاروا عليه مع عبدالرحمن بن الاشعث، ومن ذلك ايضاً معاملته لهم عندما هاجر نفر منهم من القرى و نزلوا بالمدن فانكسر الخراج و نقص نقصاً شديداً، فانه امرهم بالرجوع الى قراهم و نقش على يد كل منهم اسم القرية التي وجهه اليها، ولم يسقط الجزية عمّن اسلم منهم.^٥

١. ضحى الاسلام ٢٢/١. ٢. محاضرات الادباء ٢٢٠/١.

٣. العقد الفريد ٤١٣/٣، ٤١٧؛ الاغانى (طبعة دارالكتب) ١٣/٦٤، ١٦ و ١٠٦؛ محاضرات الادباء ٢٢٠/١؛ لسان العرب ٣٢١/١٧.

٤. تاريخ الطبرى ٥٥٩/٦ و ٧٥/٧؛ العقد الفريد ٤١٣/٣، ٤١٧؛ انظر: تاريخ ادبيات ايران ٢٥/١، ٢٦، ٢٧؛ ضحى الاسلام ٢٦/١.

٥. الحيوان ١٦٥/٧؛ العقد الفريد ٤١٦/٣.

تأثير النزعة الشعبوية في الشعر

لعلّ أنكر شعراء العصر العباسي الاول الذين تعمقتهم النعرة القومية هو بشار بن برد، فهو اكبر ممثل للشعبوية بينهم، اذ يرسم في شعره التطور التاريخي لحركتهم، مصوراً انبثاق شعورهم القومي، وانبعاث تطلّعهم الى الظهور والتميز من العرب، والتخلي عن الولاء فيهم، وكان ذلك قبل أن يعظم سلطان الفرس و الخراسانيين في ايام العباسيين الاولى، مبيناً تصاعداً احساسهم بكيانهم و شموخهم باجناسهم و مفصلاً عن بداية معارضتهم للعرب، و غمزه لهم بعد أن استقرّ وضعهم و ارتفعت منزلتهم في عهد ابي جعفر المنصور،^١ و معبراً ايضاً عن توهج يقظتهم القومية، و ما رافقها من افتخارهم بانفسهم و أعراقهم و اعتزازهم بماضيهم و حياتهم المترفة الراقية، و تسخطهم على العرب و تنقّصهم لحياتهم الخشنة الجافية و دالّتهم على العباسيين بما أسدوا اليهم من فضل بناصرتهم لهم على الامويين و تمكينهم اياهم من الفوز بالخلافة، و محافظتهم على حكمهم و منعهم له من الزوال حين قوى وجودهم و نفوذهم في عهد المهدي.^٢

فهذا بشارٌ يفخرُ بالعجم فيقول:

ونبتتُ قوماً بهم جنةٌ	يقولون مَنْ ذَا؟ وكنتُ العَلَم!
ألا أيُّها السَّائِلِي جاهداً	ليعرِفني، أنا أنفُ الكرم!
نمتُ في الكِرامِ بني عامرٍ،	فروعِي، وأصلي: قريشُ العجم!

وقال له عربي: ما للموالي والشعر؟ فقال يهجو العرب:

أحين كُسيِتَ - بعد العُرَى - خَزَا،	و نادمتُ الكِرامَ على العُقار؟
تفاخر يا ابن راعيةٍ وراعٍ،	بني الأحرارِ، حسبك من خسار!
ثُرِيغٌ بخُطبةٍ كسرَ الموالِي،	ويُنسيك المكارمَ صيدُ فار
و كنتَ اذا ظممتَ الى قراجٍ،	شركتَ الكلبَ في ولغ الاطار

١. تاريخ الطبري (طبع دارالمعارف بمصر) ١٦/٨ و ٩٢.

٢. تاريخ الطبري ١٧٥/٨.

وهذا الخريمي يعتز بنسبه الفارسي فيقول:^١

لهم حَسَبٌ في الأكرمين حَسِيبُ
فيكثر منهم ناصري ويطيب
و خاقانُ لي لو تعلمين نسيبُ

و ناديت من مَرَوٍ و بلخِ فوارساً
فيا حسرتا لا دارُ قومي قريبةً
و إن أبي ساسانُ كسرى بنُ هُرمزٍ
و المتوكلي ايضاً يقول:^٢

و حائزُ ارثِ ملوكِ العجمِ
و عاقِي عليه طوالُ القَدَمِ
فمن نامَ عن حقِّهم لم أتمَّ
به أرتجبي أن أسودَ الأُممِ
هلمّوا الى الخلعِ قبلَ الندمِ
ح طعنأً، و ضرباً بَسَيفِ خَدِمِ
فإن وفيتُم بشكرِ النعمِ
لأكلِ الضَّبَابِ، و رعي الغنمِ
بجدِّ الحُسامِ، و حرفِ القلمِ

أنا ابن الأكارمِ من نسلِ جَمِّ
و محيي الذي بَادَ من عزِّهم،
و طالبُ أوتارِهِم جَهْرَةً
معِي عَلمُ الكايبانِ الذي
فقل لبني هاشمٍ أجمعين،
مَلَكُنَاكُمْ عَنوَةً بالرما
و أولَاكُمْ المُلِكَ أبَاؤنا،
فعودوا الى أرضِكُم بالحجازِ
فإني سأعلو سريراً المُلوكِ

هذه اشارة الى تأثير هذه الحركة في الادب العربي وخاصة الشعر فمن اراد المزيد من ذلك فليرجع الى مظانها في بطون الكتب ليطلع على هذا الفيض الكثير الذي جاء في هذا الصدد.

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

النهضة العلميّة و حركاتها

نريد بالنهضة العلميّة هنا اوسع معانيها، ونعني بها النتاج الفكري للعلماء بصورة عامة، من تشريع و تفسير و حديث و تاريخ و سير، و ما الى ذلك. والذي يهمننا هنا هو النهضة العلميّة في فارس منذ الفتح الاسلامي الى سقوط الدولة العباسية.

عندما اصبحت ايران ولاية اسلامية ودخل كثير من الفرس في الاسلام، و تعلّم كثير منهم العربية، ظهر منهم في الجيل الثاني من يتكلم العربية كأحد أبنائها، فتعلّم الكثير منهم العربية غير تارك خياله الفارسي، و غير ناسٍ ما كان لقومه من شعر و مثل و حكمة، فأثروا بطبيعتهم الفارسية في اللغة العربية تأثيراً قوياً و عميقاً فاصبحت هذه مملوءة من الحكّم و القصص الفارسية و الخيال الفارسي.

كان الفرس بعيدى العهد بالحضارة قبل ظهور الاسلام فكان لهم سهم عظيم فيها، فكانت الفلسفة الحاكمة في بلاد ايران قبل الاسلام هي الحكمة الفهلوية ذات العقيدة الخاصة بالكون و الانسان و الحياة المادية و الحياة المعنوية و غير ذلك فلما دخل الاسلام بلادهم اصطبغ هو و اللغة العربية بهذه المؤثرات من المظاهر العقلية، التي نسميها الان بالحكمة الاشراقية او المشرقية التي تبناها شيخ الاشراق، الشيخ السهروردي، فيما بعد فيبين ما فيها من الاسرار في مجال «العقل و تهذيب النفس»، و هذه الحكمة الاشراقية تقابل الفلسفة العقلية الصرفة او المشائية التي كانت حاكمة في عصره والتي كان يتبناها الشيخ الرئيس

ابن سینا و ابونصر الفارابی و امثالهما.^١

فالحضارة الفارسية الملیئة بالعلم و المعرفة و الثقافة و الفن ساعدت ابناءها الفرس علی تدبیر امورهم السیاسیة بأحسن وجه ممکن فلما دخل الاسلام بلادهم افاد هذه الحضارة و الحركة العلمیة من وجوه.

الاول: إنَّ نشر الدین كان یستتبع الحاجة الی الفارین الکتابین و بما أنَّ الفتح الاسلامی استتبع الحضارة، فبُنیت فی عهد عثمان و من جاء من بعده (فی عهد معاویة و بعده) الدور و القصور و شیدت بالکلس... و جعلت ابوابها من الساج، و اقتنئ كثيرٌ من الصحابة الاموال و الجنان و العیون، و هذا من غیر شكَّ یستتبع رقی الصناعة و منها الکتابة.

الثانی: نشر الاسلام بین المسلمین و منهم الفرس كثيرًا من التعالیم الی رفعت مستواهم العقلي كما نشر بینهم كثيرًا من احوال الأمم الاخری و تاریخها. فالقرآن الکریم قصّ علینا قصة آدم و نوح و ابراهیم و موسی و سائر الانبیاء المرسلین و هیج النفوس الی الاستزادة، فكان فی ذلك نوع من الثقافة، أفادت المسلمین - و منهم الفرس - و وسّعت مدارکهم.^٢

ثم شرع احكاماً فی الزواج و الطلاق و الشئون المدنية و الجنائیة، كانت قانوناً نظم امورهم - فی معیشتهم الاجتماعیة و الاقتصادیة - فكان ذلك اساساً لحركة تشریعیة واسعة. الثالث: و شیء آخر للإسلام كان له اثر کبیر فی الحیة العلمیة و العقلیة، و هو انه سلك فی دعوته الی الایمان باللّه و صفاته من علم و قدرة و وحدانیة، مسلکاً یتبیر العقل و هو الدعوة الی النظر الی ما فی العالم من ظواهر: «أَوَلَمْ یَنْظُرُوا فی ملکوت السموات و الارض و ما خَلَقَ اللّهُ من شیء»،^٣ «فلینظر الانسان ممّ خُلِقَ». ^٤ الی کثیر من امثال هذه الآیات.

١. مقدمة ابن خلدون، ص ٣٨٩؛ ضحی الاسلام ١٨/٣ - ٢٥؛ فجر الاسلام، ص ١٤٥ (الحركة

العلمیة) و مابعدھا؛ عصر زرین فرهنگ ایران، ص ١٧٧.

٢. فجر الاسلام، ص ١٤٣ و مابعدھا.

٣. الاعراف، ١٨٥. ٤. الطارق، ٥.

هذا الضرب من الآيات بعث العقل على النظر في الكون، وكان له أثر في نمو الحياة العقلية وخاصة عند الفرس.^١

قلنا كان للفرس - من قديم - علم وادب يتناسبان مع ضخامة ملكهم وعظم سلطانتهم فكانت لهم كتب في الادب والتنجيم والهندسة والجغرافية، وكانت تتوالى عليهم نكبات تذهب بكثير منها، ولكن كانت مدينتهم في حياة وجدّ ونشاط، فكانت تستردّ مجدها بتأليف كتب جديدة تساير عظمتهم، واكبر نكبة عرتهم كانت بفتح الاسكندر الاكبر لبلادهم، وقد تلف في هذه النكبة كثير من خزائن كتبهم فلما جاءت الساسانية (٢٢٦-٦٥٢م) استعادوا اديهم وعلمهم وكان اردشير بابكان أظهر ملوكهم ميلاً الى العلم وتشجيع الترجمة والتأليف فقد بعث في طلب الكتب من الهند والروم والصين وكذلك كان الشأن في عهد ابنه سابور وعهد كسرى انوشروان.^٢

وقد دامت الدولة الساسانية نحو اربعة قرون، خلّفت فيها علماً كثيراً، وادباً وديناً. واكثر ما نقل اليها من الادب والعلم والاساطير والتاريخ انما يرجع الى هذه الأسرة، قال حمزة الاصفهاني: «فاما تواريخ من كان قبل الساسانية من ملوك الاشغانية، فلم اشتغل بها للآفات المعترضة فيها - كانت - في ازمته اولئك الملوك، وذلك أن الاسكندر لما استولى على ارض بابل وقهر اهلها، حسدهم على ما كان اجتمع لهم من العلوم التي لم تجمع قط لأمة من الامم مثلها. فأحرق من كتبهم ما نالته يده، ثم قصد الى قتل المؤابذة والهرابذة والعلماء والحكماء، ومن كان يحفظ عليهم في اثناء ذلك علومهم وتواريخهم، حتى أتى على عامتهم - هذا - بعد أن نقل ما احتاج اليه من علومهم الى لسان اليونانيين».^٣

ولما ورد الاسلام ايران واعتقده الفرس اعتقاداً راسخاً، نقلوا آثارهم العلمية والعقلية والادبية والدينية الى لغته وهي اللغة العربية خاصة عندما جاءت الدولة العباسية لان كثيراً من رعيّتها كانوا فرساً، لهم نزعة وطنية وميول قومية، فأخذ المثقفون ينقلون الى العربية تراث آبائهم وما حفظته العصور الى عهدهم.

١. انظر: فجر الاسلام، ص ١٤٤ وما بعدها. ٢. ضحى الاسلام ١/١٧٦.

٣. تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني، ص ٢٥.

فاذا نظرنا الى الحركات العلمية بعد الاسلام الى آخر الدولة العباسية وجدناها ثلاثاً، وكان اعلامها من ادباء العربية الفرس و علمائهم وهي:

١. حركة في القصص والسير والتاريخ ونحوها.
٢. وحركة دينية ونعني بها البحث في الشؤون الدينية من تفسير القرآن والحديث و التشريع وما الى ذلك.

٣. وحركة فلسفية وعقلية في مجال الطب والكيمياء والرياضيات وما اليها، واذا اطلقنا عليها حركة علمية فلسنا نعني علوماً منظّمة لها ابواب وفصول وانما نعني النواة التي تكونت حولها العلوم والثقافة الاسلامية فيما بعد.

الحركة الاولى: تأثير آداب الفرس في العربية

أثر الفرس بعد الاسلام اثراً كبيراً في اللغة العربية و آدابها فقد كانت كتبهم في القصص التي نقلت من الفارسية الى العربية، ككيلة و دمنة و هزار افسانه اساساً من الأسس التي بنت عليها الاجيال المتعاقبة ما بين أيدينا من قصص عربية. فابن النديم يروي أن محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء «ابتدأ بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسفار العرب والعجم والروم وغيرهم، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسّون، واختار من الكتب المصنّفة في الأسفار والخرافات ما يحلو بنفسه، وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة، و اقلّ و اكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه تتميمه ألف سمر»^١.

وكان الفرس بعد دخول الاسلام بلادهم يعرفون تاريخ اسلافهم، فكتبوا تاريخ امهم بالعربية اعتزازاً به، و حرصاً على الوطنية الكاملة، فابن المقفع الفارسي الاصل العربي النشأة يترجم كتاب خدای نامه و هو كتاب في تاريخ الفرس من اول نشأتهم الى آخر أيامهم، و ترجم ايضاً كتاب آئين نامه و التاج في سيرة انوشروان. و اسحاق بن يزيد ينقل

١. ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٤.

من الفارسية الى العربية كتاب سيرة الفرس المعروف بـ بختيارنامه و كذلك الطبري ألف تاريخه العظيم في موضوع الحضارة الايرانية قبل الاسلام و ما وقع من الاحداث والوقائع زمن الرسول (ص) و بعده الى أيامه.

و من العلوم التي اثرت تأثيراً جماً في اللغة العربية و أدها وألفت او دوّنت من قبل الفرس التاريخ والجغرافيا.

بدأ تدوين التاريخ يستقل عن تدوين الحديث في القرن الثاني، ثم أخذ يتّسع و يسلك سبيلاً غير سبيله، فدوّنت السيرة النبوية الشريفة، وُقيدت الأحداث والوقائع، و كُتبت الانساب، و سجّلت تراجم الرجال و احوال المدن والبلدان.

فمن مؤرّخي الفرس في القرن الثالث ابو حذيفة البخاري اسحاق بن بشر المتوفى سنة ٢٥٦هـ و ذكر له ياقوت عدة مصنفات،^١ و محمد بن موسى الرازي المتوفى سنة ٢٧٣هـ، و المحافظ الاصفهاني محمد بن منذر، المتوفى سنة ٣٠١هـ، مؤلف تاريخ اصفهان.

و مما يميّز علم الجغرافيا عند المسلمين في القرن الثالث أنه اختلط بعلوم أخرى تناثرت خلاله كالتاريخ و اللغة و الشعر و الأخبار و الفلك و الرياضيات، و كثيراً ما قام على الرحلة و المشاهدة الشخصية.

و من أعلام الجغرافيا العربية الفرس في القرن الثالث محمد بن موسى الخوارزمي،^٢ له كتاب في «صورة الارض». و قد أفاد الخوارزمي من علمه بالفلك و الرياضيات فجعل كتابه في هيئة زيج، و استعمل خطوط الطول و دوائر العرض و الارقام و حساب الجمل و الرموز.

و من الجغرافيين الفرس الذين دوّنوا كتبهم باللغة العربية عبيدالله بن خردادبه المتوفى حدود سنة ٢٨٥هـ، من مصنفاته المسالك و الممالك و هو كما يبدو من عنوانه، يدرس الممالك الموجودة في ذلك العصر في انحاء العالم الاسلامي، و كيفية ارتباطها و اتصالها بعضها ببعض الاخر، و في اثناء تناوله لهذين الموضوعين يتحدّث عن قبلة كل بلد، و الحراج، و الملوك الاولين و عجائب البنيان، و طبائع البلدان و الشعوب و القبائل و

الملل والنحل واقسام المعمورة ومنايع الانهار ومخارجها.^١

ومنهم ابن الطيّب السرخسي و ابن رسته الاصفهاني المتوفى سنة ٢٩٠هـ صاحب الأعلاق النفيسة، في هذا الكتاب علم غزير و ادب جمّ و شعر و اخبار و طرائف و تراجم و تاريخ.^٢

ولا يفوتنا أن نذكر أن الامام أباحنيفة النعمان امام المذهب الحنفي، وحمّاد الراوية جامع المعلقات العشر، و راوي كثير من الشعر الجاهلي، و بشار بن برد أحد الشعراء المحدثين، و سيبويه الامام المقدم في النحو و تدوينه، و الكسائي أحد الائمة الأعلام في النحو و اللغة و القرآت، و هو أحد القراء السبعة، و القراء ابرع الكوفيين و اعلمهم بالنحو و اللغة و فنون الادب و أبا عبيدة معمر بن المثنى العالم باللغة و الغريب و اخبار العرب و أيامها، و ابن قتيبة المؤرخ الاديب، صاحب التآليف الكثيرة ككتاب المعارف و عيون الأخبار - كل هؤلاء و غيرهم لم نذكرهم - كانوا فرساً و كان لهم اثر كبير في اللغة العربية و الثقافة الاسلامية.^٣ إذن، فلاعجب من أن نرى في عصرنا الذي نؤرخه كثيراً من الفرس، كانوا من السابقين الاولين في تدوين العلوم المختلفة باللغة العربية.

الحركة الثانية: تأثير الفرق الاسلامية في الادب العربي

كثر البحث في العقائد و في الامور الدينية في هذا العصر (اي في القرون الثلاثة الاولى)، و اتخذ الواناً جديدة لم تكن موجودة في عصر النبي (ص) و لا في عصر اوائل الصحابة و أخذت هذه البحوث تتركز و تتعمق شيئاً فشيئاً ليظهر منها علمٌ جديدٌ يساير بقية العلوم التي ظهرت في هذا العصر و هذا العلم هو علم الكلام. «و هو علم يتضمّن الحجاج (الجدال) عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية، و الردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات

١. الفهرست، ص ٢١٢؛ الاعلام الزركلي ٤/٣٤٣؛ الكتابة الفنية، ص ٤٦.

٢. الأعلاق النفيسة ٧/٧.

٣. معجم الادباء ١٦/١٦٥ و ١٤/٦٥ و ١٧/١٤٣؛ أنباه الرواة ٢/٣٨٤؛ الشعر والشعراء، ص ٦٤ و ٦٩، حققه احمد محمد شاکر، دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ.

عن مذاهب السلف و اهل السنّة و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»^١.
 وقد تعاون على نشوء هذا العلم و ارتقائه اسبابٌ مختلفةٌ أرّجعتها صاحب ضحى -
 الاسلام الى داخلية و خارجية. و عني' بالاسباب الداخلية اسباباً صدرت من طبيعة
 الاسلام نفسه و المسلمين انفسهم و بالاسباب الخارجية اسباباً وردت من الثقافات
 الاجنبية و الديانات المختلفة غير الاسلام نجملها بما يلي:^٢

اهم الاسباب الداخليّة

أولاً: عرض القرآن الكريم لأهمّ الاديان التي كانت موجودة ايام النبي (ص) و ناقش
 اصحابها و ردّ عليهم بادلّة قاطعة، منها: «فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي»^٣.
 ثانياً: عندما تقدم الزمن بالمسلمين و استقرّوا في البلاد المفتوحة و اطمانت امورهم
 أخذ عقلهم يتفلسف في الدين و يثير خلافاتٍ دينيةً و يجتهد في حلّها و التوفيق بينها فكان
 المسلمون الأوّلون يؤمنون بالقدر خيره و شرّه و يؤمنون ايمانا صادقاً بأنّ الانسان مكلفٌ
 بما امر الله به و كان ايمانهم هذا قوياً لكنه غير عميق من الناحية الفلسفية او النظرية فجاء
 المسلمون المتأخرون فأخذوا يجمعون الآيات الكريمة التي جاءت في هذه الموضوع و
 يفلسفونها فقد جاء في القرآن الكريم «إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
 لا يؤمنون»^٤.

و جاء أيضاً «ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً»^٥ و جاء أيضاً قوله تعالى «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَ
 تَبَّتْ»^٦.

فقالوا إنّ ظاهر هذه الآيات يدلّ على الجبر و على التكليف بما لا يطاق، و هكذا
 أخذوا يجمعون مثل هذه الايات و يبحثونها بحثاً علمياً فلسفياً و يوازنون بينها، فأدّاهم هذا
 البحث الى اختلاف شديد و جدالٍ عميق.

١. مقدمة ابن خلدون، ص ٨٢١.

٢. الملل و النحل ١/٣٧ و مابعدھا؛ ضحى الاسلام ١/٣ و مابعدھا.

٣. الانعام، ٧٦. ٤. البقرة، ٦. ٥. المدثر، ١١. ٦. المسد، ١.

ثالثاً: السياسة: تعتبر مسألة الخلافة بعد النبي (ص) اهم الأمور التي اختلفت حولها آراء الفرق الاسلامية، وما على القارىء إلا أن يرجع الى الكتب التاريخية والعقائدية حتى يطلع على مدى الاختلاف الذى حدث بين المسلمين حولها.

اهم الاسباب الخارجية

أولاً بسط الاسلام جناحيه على البلاد التي فتحتها شرقاً وغرباً ودخل كثير من اهلها فيه، و آمنوا به و كانت دياناتهم مختلفة من يهودية و نصرانية و زرادشتية و غيرها و كانت لهم تعاليم خاصة فلما اسلموا و اطمانت نفوسهم الى الدين الجديد أخذوا يراجعون - خاصة علمائهم - تعاليم دياناتهم القديمة و يفكرون فيها و يثيرون مسائل مختلفة حولها و يوازنون بينها و بين تعاليم الاسلام، ثم يلبسونها لباسه لكنها بقيت بعيدة كل البعد عنه و هذا ما يعلل قول احمد بن خابط^١ في التناسخ، الذى يشبه قول البراهمة و قوله فى المسيح (ع) الذى يشبه قول النصارى و غير ذلك.

ثانياً ان الفرق الاسلامية الاولى خاصة المعتزلة جعلوا امام اعينهم غرضاً هاماً يصبون اليه هو الدعوة الى الاسلام و الرد على المخالفين، الأمر الذى دفعهم الى الاحاطة براء الفرق الاجنبية و معرفة ادلتها و براهينها فأصبحت الدولة الاسلامية معرضاً لكل هذه الآراء و الحجج يتأملون فيها و يتجادلون و يثيرون حولها مسائل كثيرة تستدعي هي الأخرى التأمل و التفكير ايضاً.

ثالثاً اضطر المتكلمون الى أن يدرسوا الفلسفة اليونانية و ينتفعوا بالمنطق اليوناني للرد على خصومهم بمثل حججهم فأخذوا يقرؤن العلوم القرآنية، من فلسفة و منطق و لأهوت و يستفيدون منها. و كل هذه العلوم الاجنبية أدت الى اتساع الثقافة الاسلامية و الى نشوء علم الكلام و صيرورته علماً قائماً بنفسه.^٢

١. الملل و النحل ١/٦١-٦٢.

٢. الملل و النحل ١/٤٩ و مابعدھا؛ تاريخ الفرق الاسلامية، ص ١٣٠ و مابعدھا.

١. المعتزلة

اهم فرق المتكلمين هي فرقة المعتزلة، كانت لهم اصول ومبادئ يشتركون فيها جميعاً وقد أجمع المؤرخون على أنها خمسة اصول هي القول بالتوحيد والقول بالعدل والقول في الوعد والوعيد، والقول بالمنزلة بين المنزلتين والقول بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد انفرد النّظام عن اصحابه باثنتي عشر مسألة منها: القول في القدر والقول بالارادة والقول في اعجاز القرآن.

قال المعتزلة بسلطان العقل وجعلوا له الحكم المطلق في كل الامور واستخدموا ما وصل اليه العلم والادب والترجمة والفلسفة من نتائج في اجرائهم وهاجوا بها مخالفهم من المحافظين والمتشددين.

نشأ المعتزلة في اواخر العصر الاموي وكانوا لا يرتضون سياستهم ويكرهونهم كرهاً شديداً، أمّا في بداية العصر العباسي، فكان زعيمهم عمرو بن عبيد مهادناً للمنصور لا يرتضيه ولا يخرج عليه. وقد نشطت دعوتهم في كل اقطار الدولة الاسلامية في هذا الوقت ودعمهم الخلفاء العباسيون مثل المأمون والمعتصم والواثق فازداد اتباعهم وبلغوا ذروة قدرتهم^١.

خلف بعض علماء المعتزلة آثاراً أدبية مهمة خاصة في الشعر «فكان النّظام مثلاً آية في النبوغ و صفاء القريحة والاستقلال في التفكير، وسعة الاطلاع والغوص على المعاني الدقيقة وصياغتها في احسن لفظ واجمل بيان وله شعر رقيق نحاً فيه نحواً خاصاً في دقة المعنى وحسن السبك كقوله:

ذكَرْتُكَ وَ الزَّاحُ فِي رَاحَتِي فَسَبْتُ المَدَامَ بِدَمْعِ غَزِيرِ
فَإِنْ يَنْفَدِ الدَّمْعَ فَرَطُ الأَسَى بِكَشِكِ الحَشَى بِدُمُوعِ الضَّمِيرِ^٢

ومن أئمة الكلام محمد بن كرام^٣ (م ٢٥٥هـ) وكان ساقط الحديث مبتدعاً.

١. انظر: تاريخ الفرق الاسلامية، ص ١٤٢ و ١٤٣؛ ضحى الاسلام ٧/٣.

٢. الملل والنحل ١/١٤٤-١٥٤؛ ضحى الاسلام ٧/٣.

٣. الفرق بين الفرق، ص ١٢ و ٢٢٣.

و هو رأس فرقة الکرامیة المَجَسِّمة، وكانوا یزعمون أن من أقرّ بالشهادتین لفظاً كان مؤمناً، سواء أكان مخلصاً أم منافقاً مُضمرّاً للكفر والزندقة.

وكانت الکرامیة منبثّة في هرات و فرغانة في تاجیکستان و الجوزجان و مروالزرد و سمرقند.^١

ومن رجال الشيعة في الكلام في هذا القرن موسى المبرقع بن محمد (م ٢٩٦هـ)^٢ والحسن بن علي الاطروش (م ٣٠٤هـ)^٣ و هو احد ملوك الدولة الزيدية بطبرستان، وعلى يده اسلم كثير من مجوس الديلم، و كان شاعراً مفلحاً و اماماً في الفقه و علم الكلام.

ومن مشاهير المتكلمين في القرن الرابع ابو حامد الاسفرايني (م ٤٠٦هـ) والامام ابوبكر محمد بن الطيّب الباقلافي (م ٤٠٣هـ) و ابوبكر بن فورک الاصفهاني (م ٤٠٦هـ) و الجبائي الخوزستاني (م ٣٠٣هـ) و ابوزيد احمد بن سهل البلخي (م ٣٢٢هـ) و القاضي عبد الجبار المعتزلي (م ٤١٥هـ) و الامام الزمخشري و الامام الرازي و العلامة العظمى نصير الدين الطوسي. و كلهم من الفرس. و قد بذلوا جهوداً جبارة في بناء الفكر و الثقافة الاسلامیة.^٤

٢. الشيعة

بدأ التشيع بفرقة من الصحابة كانوا مخلصين في حُبهم لعليّ (ع) و كانوا يرونه احقّ بالخلافة لما جاء عن النبيّ (ص) و لصفات تميّز بها و اختصّت به، من اشهر هؤلاء سلمان الفارسيّ و ابوذر الغفاريّ و المقداد بن الاسود. انقسم الشيعة الى فرق متعددة و كان اساس الاختلاف في هذا الانقسام شيئين:

اولاً: اختلاف في المبادئ و التعاليم.

ثانياً: في تعيين الأئمة.

٢. الاعلام ٨/ ٢٨٠.

١. احسن التقاسيم، ص ٣٢٣.

٣. الاعلام ٢/ ٢١٦.

٤. انظر: تاريخ ادبيات در ايران؛ المجلد الاول والثاني.

و اشتهر فرق الشيعة الاماميّة^١ الاثنا عشرية و الزيدية و الاسماعيلية، تأثرت اللغة العربية و آدابها بفكر الشيعة شعراً و نثراً و زاد في ذلك حب آل البيت (ع) و اغتصاب الخلافة منهم و انواع الظلم الذي انزله اعداؤهم بهم، من غاصبي الخلافة من بني امية و بني العباس.

الزيدية فرقة كبيرة من فرق الشيعة تقول بامامة زيد بن علي بن الحسين (ع) و قد استشهد زيد سنة ١٢٢هـ في حرب دامية لاجمال لحكايتها هنا فعلى القارئ أن يرجع الى المطولات لمعرفة^٢.

ادب الشيعة: في الحق أن حركة التشيع أغنت الادب العربي و اثرت المكتبة الادبية الى حد كبير شعراً و نثراً، و سبب ذلك أن الموقف الذي وقفه الشيعة من طبيعته أن يلهب العواطف و يهيج المشاعر و يثيرها، و العاطفة و الشعور هما اكبر دعامة من دعائم الأدب فاذا أثرت العاطفة و هاجت المشاعر و كان بجانبها لسان طلق حاد و بيان ناصع فهناك الادب الحبي و الكلام الساحر.

وقد زاد في ادب الشيعة غزارة و نصاعة بيان امور:

اولاً: الخلافة حق لآل البيت (ع)، و قد اغتصبها منهم اعداؤهم.

ثانياً: الظلم و العنف الذي لاقوه هم و ابناؤهم من غاصبي الخلافة من آل امية و بني

مروان و بني العباس.

ثالثاً: شعلة الحب و عاطفته المتأججة في قلوب الشيعة جعلتنا هذه القلوب تذوب

حزناً و أسى و تسيل على لسان الشعراء و الادباء ادباً حياً صادقاً غزيراً.

٣. الاشاعرة^٣

وهم اصحاب أبي الحسن الاشعري (م ٣٢٤) و يرى أن الله تعالى عالمٌ بعلم، قادرٌ بقدره و حىٌ بحياتٍ و متكلمٌ بكلامٍ و.... و هذه الصفات ازليّة قديمةٌ بذاته تعالى و الدليل على أنه

١. الملل و النحل ١/١٧٠ و ما بعدها و ١/١٤٤ و ما بعدها.

٢. تاريخ الطبري ٥/٤٩٨: الملل و النحل ١/١٣٧ و ما بعدها. ٣. الملل و النحل ١/٨٥.

متكلم بكلام قديم و مرید بارادة قديمة، إته قد قام الدليل على أنه تعالى ملك و الملك من له الأمر و النهى، فهو أمر و ناه فلا يخلو إتما أن يكون أمراً بامر قديم أو بامر محدث و ان كان محدثاً فلا يخلو إتما أن يحدثه في ذاته أو في محل، أو لا في محل. و يستحيل أن يحدثه في ذاته، لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث و ذلك محال، و يستحيل أن يحدثه في محل لأن ذلك غير معقول. فتعيّن أنه قديم قائم به صفة له و كذلك التقسيم في الارادة و السمع و البصر.^١ ثم يرى «أن الواجبات في الدين كلّها سمعية، و العقل لا يوجب شيئاً و لا يقتضى تحسيناً و لا تقييحاً فعرفة الله تعالى بالعقل تحصل و بالسمع تجب... و يقول الامامة تثبت بالاتفاق و الاختيار دون النصّ و التعيين»^٢.

٤. المتصوفة

اصل التصوف «العكوف على العبادة و الانقطاع الى الله تعالى و الاعراض عن زُخرف الدنيا و زينتها، و الزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة و العبادة»^٣.

«فالتصوف اذن طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخّص المنتسبون اليها بالسمع (الغناء و العزف)^٤. بعدئذ تفرقت هذا الطريقة طرائق و تشعبت شعباً و لكننا في هذا المقام نشير الى المتصوفين و العرفاء الذين عاشوا و ترعرعوا في ايران، و خلفوا لنا آثاراً عرفانية قيمة أثرت في الادب العربيّ و الفارسيّ نظماً و نثراً.

كان التصوف الذي ظهرت بوادره في القرن الثاني للهجرة قد تمت له مراسمه و طقوسه و بلغ اكماله في القرن الثالث، فكان من كبار المتصوفة في ايران احمد بن خضرويه البلخي^٥ المتوفى سنة ٢٤٥هـ و كان من المشهورين بالفتوة. و كان منهم ابوتراب عسكر بن الحصين

١. المصدر نفسه، ص ٨٧.

٢. الملل و النحل ١/٩٣ و ٩٤. انظر: مذاهب الاسلاميين، الجزء الاول، ص ٣٧ و ما بعدها و

ص ٤٨٧ و ما بعدها.

٣. مقدمة ابن خلدون، ص ٤٦٧.

٤. تليس ابليس، ص ١٧١.

٥. طبقات الاولياء، ص ٣٧؛ طبقات الصوفية، ص ١٠٣؛ حلية الاولياء ١٠/٤٢.

النخشي^١ المتوفى سنة ٢٤٥هـ وهو من اهل نخشب في ماوراءالنهر - وسُميت في ما بعد بِنَسَف - وكان من اكابر مشايخ تلك البقاع. و منهم يحيى معاذ الرازي^٢ المتوفى بنيشابور سنة ٢٥٨هـ و ابويزيد البسطامي^٣ المتوفى سنة ٢٦١هـ و ابوحنص عمرو بن سلمة الحداد^٤ المتوفى سنة ٢٦٤هـ و حمدون بن احمد القصار^٥ المتوفى سنة ٢٧١هـ وكان حمدون هذا شيخ اهل الملامة أو الملامتية بنيشابور و هو رائد هذه الطريقة، و سهل بن عبدالله التستري^٦ المتوفى سنة ٢٨٣هـ وله آثار و مؤلفات في التصوف، ضاع اكثرها. و منهم الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة ٣٠٩هـ و محمد بن فضل البلخي و ابو الحسن علي بن سهل الاصفهاني و محمد بن سعيد الوراق و ابوبكر الترمذي^٧.

و أما اخوان الصّفا الذين كان امرهم قد اشتهر نحو سنة ٣٧٧هـ، فعنصر الزهد و خصائص التصوف بارزان بوضوح في رسائلهم. انهم يؤكّدون على قيمة الفضائل التي أكّدها التصوف كالزهد و التوكل و الاخلاص و الرضا. تكلم اخوان الصّفا ايضاً في علم «التجريد» الذي تعرف به النفس ذاتها و تُشرف بعد تجرّدها على مستقرّها، غير أنّهم كانوا في سلوكهم اقرب الى الزهد منهم الى التصوف الذي عند ابن الفارض المصري الشاعر الصوفي الشهير و ابن عربي مؤسس العرفان النظري في الادب العربي^٨.

و من المتصوفة الفرس الاعلام الامام ابو حامد الغزالي (م ٥٠٥هـ) الآن الشعراي لم يعدّه منهم مع أنّ تصوّفه مشهودٌ في كتابه المنقذ من الضلال و اهتمامه به ظاهر بيّن في كتابه احياء علوم الدين.

أما هذا الكتاب فيسيطر عليه الاتجاه الصوفي، حيث يبدأ الغزالي من الجزء الثاني بالكلام على آداب السماع والوجد على رأي المتصوفة في ذلك^٩ ثم يفتتح الجزء الثالث

١. طبقات الاولياء، ص ٣٥٨؛ شذرات الذهب ١٠٩/٢.

٢. حلية الاولياء ١٠/٦٣.

٣. حلية الاولياء ١٠/٣٥، وفيات الاعيان ٢/٢١٣.

٤. المصدر نفسه.

٥. طبقات الصوفية، ص ١٢٢.

٦. حلية الاولياء ١٠/١٨٩.

٧. الكتابة الفنية، ص ٥٧.

٨. راجع رسائل اخوان الصفاء، ص ١٤١-١٤٢.

٩. الاحياء في علوم الدين ٢/٢١٠ و ما بعدها، ٣/٣٢٧-٣٣١.

بالكلام على عجائب القلب و احواله، و يوازن بين الطريقة في استكشاف الحقّ و بين طريق النّظار (المتكلمين)، أمّا الجزء الرابع منه فيكاد يكون كلّه في التصوف.

ومن كبار أئمة الصوفية في إيران الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيّوب الهمداني المتوفى في بغداد سنة ٥٣٥هـ. لقد كان الهمداني يؤكّد على جانب «السّماع» «يعني الانغمام الموسيقية» لأنّها تساعد على «التواجد» و تسهّل المشاهدة على المتصوف.^١

وهناك شاعر فارسيّ كان ذا اثر بالغ في تطوّر التصوف هو ابوسعيد ابن أبي الخير الخراساني (م ٥٤٤هـ). كان ابوسعيد يتطرّف في القول بوحدة الوجود، وهو الذي جعل من لغة التصوف في الادب الفارسي فنّاً ادبياً.^٢

و من اعلام هذه الحقبة عبدالقادر الجيلاني، ولد في جيلان سنة ٤٩١هـ و توفي في بغداد سنة ٥٦١هـ ينسبون اليه كرامات كثيرة وردت في الكتب الصوفية.^٣

ومن اشهر العرفاء في القرن السادس الشيخ شهاب الدين السهروردي (المقتول سنة ٥٨٧هـ) وله آثار في العرفان والفلسفة سوف نشير اليها في موضعه.

الادب الصوفي في حقيقته فنّ من فنون الادب كالوصف والغزل والمدح والثناء، الّا أنّ مجراه شعراً أكثر منه نثراً وهو في صورته الشعرية والنثرية فن وجدانيّ خالص وهو في الادب الفارسي اعظم تأثيراً منه في الادب العربي، يقول اينولد آلن نيكلسون ما معناه: «ان الصوفية الصقّ بالفرس منها بالعرب ولذلك كان اثرها في ادب الفرس اعظم من اثرها في ادب العرب».^٤

على هذا فالادب الصوفي عربيّاً او فارسياً لم يرغب فيه رغبة وافية طوال العصور الماضية الا ادباء العربية الفرس، من الشعراء والعرفاء والكتّاب الذين أوجدوا خلقاً عظيماً و بناءً شامخاً من حبّ الانسان و فناءه في ذات الله و اتّصافه باسماء الله تعالى، منهم الشيخ العطار النيشابوري و المولى جلال الدين الرومي والحافظ الشيرازي و كثير غيرهم، واتجه

١. وفيات الاعيان ٧/٧٨-٨١، طبقات الشعراني ١/١٥٠-١٥١.

2. Enc.IsII.104.

٣. فوات الوفيات ٢/٢. ٤. نقلًا عن التصوف في الاسلام، ص ٩٥.

الادب الصوفي عند الفرس الى التوسل بالله تعالى' والحث على القرب منه والكلام عن التقوى و فضائل النفوس، وقد شاع فيه الرمز وكثرت الكناية فاصبح التفسير الصوفي لكثير من الابيات الغزلية- على الاكثر- امراً ضرورياً كما اصبح التصوف فناً بارزاً من فنون الادب العربي والفارسي .

واليك بعض الابيات الغزلية التي قالها ابوتراب عسكر بن الحسين النخشي (م ٢٤٥هـ) وهو من اجلة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والفتوة والزهد والتوكل والورع كما انه يعتبر شخصية ممتازة في الادب الصوفي:

لَا تُخَدَعَنَّ، فَلِلْحَبِيبِ دَلَائِلُ	وَلَدَيْهِ مِنْ تُحْفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ
مِنْهَا تَنْعَمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ	وَسُرُورُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ	وَالْفَقْرُ أَكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَى مِنْ عَزَمِهِ	طَوَعَ الْحَبِيبِ وَإِنْ أَلْحَ الْعَاذِلُ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ يُرَى مُتَقَشِّفًا	مُتَحَفِّظًا مِنْ كُلِّ مَا هُوَ قَائِلُ

ويروي الغزالي في الإحياء أن أبا زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازي (المتوفى بنيشابور سنة ٢٥٨هـ) قد عارض أبيات أبي تراب النخشي معدداً ما فات النخشي من علامات المحبة قائلاً:^١

وَمِنَ الدَّلَائِلِ حُزْنُهُ وَنَحْيِيهِ	جَوْفَ الظَّلَامِ، فَالَهُ مِنْ عَاذِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ مَسَافِرًا	نَحْوَ الجِهَادِ وَكُلِّ فِعْلٍ فَاضِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ زَهْدُهُ فِي مَا يَرَى	مِنْ دَارِ دُلٍّ أَوْ نَعِيمِ زَائِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ أَنْ تَرَاهُ رَاضِيًا	بِمَلِيكِهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ نَازِلِ
وَمِنَ الدَّلَائِلِ ضَحْكُهُ بَيْنَ الْوَرَى	وَالْقَلْبُ مَحْزُونٌ وَقَلْبُ الثَّائِلِ

ومع ضعف شعرهما بالنسبة الى ابن الفارض والحافظ الشيرازي، الا اننا نرى انهما قد بيئا ما كان في ضميريهما في إطار عربي، وهذا ما دفع شعراء الفرس والعرب الى النظم في الشعر الصوفي، فقد اصبح فناً بارزاً في اللغتين.

ومن اواخر من يستشهد بهم من شعراء هذه الفترة ابو حمزة الخراساني،^١ فقد ذكر القشيري انه توفي سنة ٢٩٠هـ وأصله من نيشابور وكان من أفتى المشايخ وأورعهم، ويروي له الغزالي أبياتاً في الإحياء، فيها نفحة شاعرية ومنانة أسلوب:^٢

نماني حيائي منك أن أكشف الهوى وأعنيتي بالفهم منك عن الكشف
تأطقت في امري فأبديت شاهدي الى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما تُبشّرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبني، من هيبتي لك وحشة فتؤنسي باللطف منك وبالعطف
وُحسي محباً أنت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحف

في اواخر القرن الرابع الهجري بدأ التصوف حياته الفطرية في الادب الفارسي في شعر شعراء شغفوا بنظم الرباعيات، والرباعية مقطوعة شعرية تتألف من اربعة أشطر، اشطرها الاول والثاني والرابع مصرعة، وأما الشطر الثالث فيكون مطلقاً:^٣

خشت وطن از تخت سليمان خوشتر خار وطن از سنبل وريجان خوشتر
يوسف كه به مصر پادشاهي مي كرد مي گفت: گدا بودن بكنعان خوشتر

ويحسن أن نلاحظ - هنا - أن القافية الحقيقية هي، الكلمة التي قبل الاخيرة في الاشطر المصرعة وهي سليمان، ريجان، كنعان. أما كلمة «خوشتر» المتكررة فليست القافية، بل تسمى الرديف. فلكل مصرع هنا اذن قافيتان احدهما حقيقية والثانية صوتية، وتلك ضرورة تقتضيها خصائص التركيب الشعري في اللغة الفارسية. وقد يكون لكل مصرع قافية واحدة تحل في آخر الشطر محل الرديف. وكذلك يحسن أن نعلم أن «الرباعية» فن فارسي خالص، أو هي الفن الشعري الشعبي في فارس.^٤

اول الشعراء الصوفيين من الفرس في هذا العصر باباطاهر العريان (م ٤١٠هـ) فقد عبّر عن آرائه الصوفية شعراً في رباعيات وعبّر عنها نثراً ايضاً. إن نثره كان فطرياً بدائياً،

١. الرسالة القشيرية، ص ٣٣. ٢. الاحياء في علوم الدين ٤/٢٢٣.

٣. انظر: كليات السعدي الشيرازي: التصوف في الاسلام، ص ١١١.

٤. انظر: التصوف في الاسلام، ص ١١١.

وأما شعره فقد قدّم فيه الاغاني الشعبيّة ونظمه في لهجة اهل مقاطعة همدان. وترجع شهرته الى بساطة آرائه و عذوبة كلماته وقُرب لغته من اللهجة التي اصبحت فيما بعد اللغة الفُصحى في فارس.

ان اول الشعراء الصوفية الكبار من الفرس هو ابوسعيد بن ابي الخير (م ٥٤٤٠هـ) وقد اشتهر بربايعيات له، يصف فيها حالته النفسية ولكنه لايتفلسف، وهو على كلّ حال اول الشعراء الفرس الذين نظموا في الحبّ الالهي و في الخمر على مذهب الصوفيين وجعل الرباعيات اجنحة للتصوف وخلق على المذهب الصوفي هذه الاصباغ التي لزمته الى اليوم، ويُعدّ ابوسعيد مؤسس الشعر الصوفي الفارسي ويمكن ان تكون رباعياته قد أثّرت في الشعر العربي، وإنّ بعض شعراء الصوفية العرب تأثروا تأثراً كبيراً بخمرياتة، و من يقارن خمرية ابن الفارض بربايعياته يجد أنّ ابن الفارض قد استلهم حبّه الالهي منه.

بعد ذلك جاء الشيخ ابواسماعيل عبدالله الانصاري الهروي (م ٥٤٨١هـ) وله رباعيات وكتاب ضمنه نثراً جميلاً صوفياً مسجعاً اسماء «مناجات نامه» يبرز فيه الحبّ الالهي حيث تطوف به وحدة الوجود.

ويعتبر غياث الدين ابوالفتح عمر بن ابراهيم الخيام (م ٥١٥هـ) من شعراء الصوفية - ايضاً - في هذا العصر ذلك أنّه تلقى علومه على شيوخ متصوفين وأنّه يتفق مع الصوفيين في اشياء:

١. أنّه لا يرى لهذا العالم قيمة.

٢. أنّه يتخذ الحبّ والخمر وسيلةً الى التعبير عن تطلّعاته.

٣. انّ رباعياته مملوءة بالرمز، ربّما لا يكون عمر الخيام صوفياً ولكنّ شعره شعراً صوفياً لا يبلّغ في الشطح - على كل حال - ما بلغه شعر محيي الدين بن عربي.

ومن الشعراء الفرس الذين مالوا الى التصوف في القوالب الشعرية و اوصلوا التصوف الفارسي الى ذروة الكمال السنائي الغزنوي و فريدالدين العطار. ومن هنا نجد أنّ الفن الصوفي في الادب الفارسي كان الاساس الذي قام عليه الادب العربي في هذا

المضمار، والمستشرقون مجمعون على أن الادب الصوفي الفارسي قد بلغ ذروة لم يصل اليها الادب العربي في هذا المجال، لكنه سلك طريقاً عالية في النثر، واكثر مؤلّفي الآثار العربية في النثر الصوفي هم من الفرس ايضاً وسنتطرق الى الكلام عنهم في الجزء الثاني انشاء الله تعالى^١.

الحركة الثالثة: تأثير علماء الفرس في الحضارة الاسلاميّة

من العلوم التي نبغ فيها علماء الفرس الطبّ والرياضيّات و علم النبات ومِن لَمَعَ نَجْمُهُ فِي الطبّ سهل بن شاپور^٢ الاهوازي (م ٢١٨هـ) وله كتاب الاقرباذين و علي بن سهل او ابن الطبري (م ٢٤٧هـ) وكان علي بصيرة من الطبّ والفلسفة والطبيعيات. وكان في اول امره يتقلب في خدمة ولاة طبرستان، ومنهم مازيار بن قارن، فلما حدثت فتنة مازيار خرج الى الرّي (طهران اليوم) ثمّ الى العراق، وهناك اسلم على يد المعتصم واهم آثاره الطبيّة كتاب فردوس الحكمة وفيه يتحدث عن الهیولی والصورة والكمیة والكيفیة والطبائع والكون والفساد والفعل والانفعال و اعضاء البدن، وعلل طائفة من أعراضه، والنفس والتربية والأمزجة والاغذية وأمراض مختلف الأعضاء وسبل علاجها. وأفاض القول في الادوية والبلدان والمياه والرياح والمدن وبعض جوامع كتب الهند. و في الكتاب دعوة واسعة للأطباء الى أن يأخذوا انفسهم بالمران والمراس والتجربة.

و من حدّاق الاطباء في القرن الثالث ايضاً شاپور^٣ بن سهل (م ٢٥٠هـ) و هو صاحب مستشفى جندي شاپور بفارس، وكانت له تصانيف منها كتاب الاقرباذين الكبير و قُوئ الأَطعمة و مضارّها و منافعها و الردّ على حنين و القول في النوم و اليَمْتَظَة.

و أشهر هؤلاء، الطيب النطاسي ابوبكر محمد بن زكريا الرازي^٤ (م ٣١١هـ) وكان في اول عمره مولعاً بالموسيقى والغناء و قرض الشعر، ثمّ اشتغل بالسيمياء والكيمياء ثمّ

١. المصدر نفسه، ص ١٢٤.

٢. انظر ترجمة ابن سهل في تاريخ الطبري ٢٩١/٧ وما بعدها؛ فردوس الحكمة، ص ٥٦٠.

٣. طبقات الاطباء ١/١٦١. ٤. وفيات الاعيان ٤/٢٤٥.

تبحّر في الطب والفلسفة على كبر، وكان مثل علي بن سهل يهتمّ بالطبّ التجريبيّ، فكان يجربُ املاح الزئبق على القردة قبل استعمالها لعلاج المرضى^١، ويجري العلاج على نصف المصابين، ليتبيّن آثاره اذا قارنهم بنصفهم الآخر. ويعدّ الرازي اول من عمل مراهم الزئبق، واول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالتصاب، واول من انشأ مقالات خاصة بأمراض الاطفال، وقد اهتمّ بالعلاج النفسي، وكان مما اعانه على اكتشافاته الطبيّة نبوغه في الكيمياء، واختراعاته فيها، كتحضيره لبعض الاملاح، مثل زيت الزاج (حامض الكبريتيك) و تحضير الكحول، وتقديره الكثافة النوعية لعدد من السوائل.

ومن اهم كتب الرازي الحاوي^٢ تناول فيه كثيراً من امراض الانسان الجسمانية مثل مرض الاذن والانف والاسنان والمريء والمعدة وآفات الثدي والقلب والكبد والطحال والكلبي والسرطان والأورام والدمامل والجدرى والحصبة وغيرها والسموم و الادوية البسيطة.

ومن مؤلفاته أيضاً رسالة في الجدرى والحصبة وغيرها، ومنها منافع الأغذية و دفع مضارها وبرء الساعة ومقالة «في الحصى والكلبي والمثانة» ومجموعة رسائل وكل هذه مطبوعة، وله كتب أخرى مخطوطة كثيرة.^٣

أمّا الرياضيات فقد نهض بها الى أبعد غاية محمد بن موسى الخوارزمي،^٤ (م ٢٣٢هـ) وقد نبغ أيضاً في الفلك والجغرافيا والتاريخ وألّف في تلك العلوم زيجين وعمل الاسطرلاب وصورة الارض ووصف افريقيّة وتقويم البلدان والجبر والمقابلة. والخوارزمي اول من وضع علم الجبر، ثم فشا في لغات العالم بهذا الاسم.

ومن خلفه في الرياضيات ابو معشر جعفر بن محمد البلخي (م ٢٧٢هـ)^٥ وكان في بدء شأنه من اصحاب الحديث، ثم اشتغل بعلم النجامة، وقد ذكرت له المصادر كتباً كثيرة

١. الكتابة الفنيّة، ص ٦٥.

٢. قد طبع هذا الكتاب في حيدرآباد دكن في اثنين وعشرين مجلداً.

٣. الكتابة الفنيّة، ص ٦٦.

٤. انظر: الاعلام ٣٣٧/٧؛ الفهرست، ص ٣٨٤؛ الكتابة الفنيّة، ص ٦٦.

٥. شرح العيون لابن نباتة، ص ١٤٥؛ الكتابة الفنيّة، ص ٦٨.

في الفلك، مثل الزيج و هيئة الفلك و الامطار والرياح غير أن الذي في أيدينا من مؤلفاته كتاب في التنجيم ذهب خيرالدين الزركلى الى أنه هو كتاب مواليد الرجال والنساء لابي معشر، ويتناول الكتاب طبائع الانسان بحسب البروج، فيرجم بالغيب في ما يقع من أحداث السنين.^١

ومن المعارف التي أسهم فيها علماء الفرس علم النبات^٢، وكان أكثر من خاض فيه اهل اللغة، وفريق من الاطباء. ومن الاولين النضر بن شميل وله كتاب الصفات، ومنهم هشام ابن ابراهيم الكرمانى وهو من كرنبا بالاهواز وقد أخذ عن الاصمعي وله كتاب النبات، وابوعبيد القاسم بن سلام، واكبر النباتيين المسلمين هو ابوحنيفة الدينوري وكان كتابه النبات مصدراً هاماً لعلماء هذا الميدان في القديم والحديث. وعن يذكرون في مجال العقاقير و النباتات شاپور ابن سهل و ابوبكر الرازي. و كان هؤلاء العلماء يكتبون اكثر آثارهم العلمية باللغة العربية و قد تورّمت هذه اللغة من الفرس و خدمتهم فيها.

١. الاعلام ٢/١٢٢: الكتابة الفنية، ص ٦٨.

٢. الكتابة الفنية، ص ٦٩-٧٠.

تفاعل اللغتين الفارسية والعربية

الف) الادب الفارسي و اثره في الادب العربي

كانت لغة الفرس في عهد الدولة الساسانية هي اللغة الفهلوية و «زَند» الذي هو شرح للأوستا مكتوب بهذه اللغة، وكان لهذا الكتاب الديني اثر في حفظها، ولكن لم يصل الى عصرنا هذا كثير من ثروة الفرس الادبية الفهلوية التي كانت منتشرة في الدولة الساسانية و صدر الاسلام. و مع هذا فقد وصلت الينا بقية قليلة من اللغة الفهلوية، فهناك احجاراً صخرية عليها نقوش فهلوية تتضمن أسماء ملوك و نبداً من تاريخ حياتهم.

و كذلك بقى من غير الكتب الدينية، قطعة كبيرة من قانون فارس في عهد الدولة الساسانية تتضمن الكلام على الاحوال الشخصية كالزواج، و على الملكية و على الرّق وغير ذلك و كتاب في صناعة تحرير المراسلات و ما يحسن في بدئها و ختامها و آداب المراسلات الرسمية، و معجم للغة الفهلوية القديمة، و تاريخ خيالي للشطرنج و سير لبعض ملوك الفرس.

و مع قلة ما وصل الينا من الادب الفارسي، فالظاهر أنه وصل الى المسلمين في العصور الاسلامية الاولى كتب فارسية كثيرة، فكثيراً ما يقول ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار «رأيت في كتب العجم كذا» و قرأت في كتاب «ابرويز» الى ابنه شيرويه كذا.....

و قد اثر الادب الفارسي في الادب العربي من وجوه:

الاول: أن كثيراً ممن دخلوا في الاسلام اضطرّوا الى تعلّم اللغة العربية، و سرعان ما ظهر منهم و من نسلهم شعراء، و قد ظهر منهم في الدولة الاموية عدد ليس بالقليل، و من

اشهرهم زياد الاعجم^١ وأسرة^٢ ابن يسار النسائي فهي اسرة فارسية شاعرة، اشتهر منها اسماعيل بن يسار، ومحمد، و ابراهيم، وللثلاثة شعر يغني به، وكلهم ذو نزعة فارسية، يتعصب للعجم وينقم من العرب.

ومنهم ابو العباس الاعمى، واصله من آذربايجان، وموسى شهوات واصله كذلك من آذربايجان.^٣

هؤلاء وامثالهم نشأوا نشأة فارسية و تأدّبوا بالادب الفارسي، ثم صاغوا ادبهم في القالب العربي فأحكوا التقليد، فألفاظهم و تراكيبهم و اوزانهم عربية، ولكن هذا لا يمنع أن تتسرب المعاني الفارسية والخيال الفارسي والروح الفارسي، الى نفوسهم ثم الى شعرهم. ولو أنا عثرنا على نماذج من الادب والشعر الساساني، لأمكن بوضوح المقارنة بين الاديين، و بيان كيفية تأثير الادب الفارسي في الادب العربي ولكن مع فقد هذا الادب الفارسي استحالت مثل هذه المقارنة.

اضف الى هذا أن كثيراً من الشعراء والادباء العرب كانوا ينزلون فارس أو العراق و يخاطون اهلها و يرون مدينتيها فيكون لهما الاثر في شاعريتهم، فكان ينزل خراسان نهار بن توسعة و ثابت قطنه و ابن مفرغ الحميري و المغيرة بن جبناء و غيرهم، ولا يخفى ما للبيئة من تأثير في النفس والخيال.

الثاني: من وجوه تأثير الادب الفارسي: الناحية اللغوية كانت العربية زمن الجاهلية غنية في شئون الحياة البدوية و ما يتصل بها، فلما فتح المسلمون العرب فارس و كثيراً من بلاد الروم رأوا من ادوات الزينة والتّرف ما لم يكونوا قد رأوا، و رأوا من الحرف الدقيقة و الفنون الجميلة ما لم يعهدوه، كما رأوا من تنظيم الحكومة و تدوين الدواوين ما لم يكن يخطر لهم على بال، فاضطروا الى أن يقتبسوا من الامم المفتوحة ألفاظاً يدخلونها في لغتهم، و كانت اللغة الفارسية اقرب منبع يستمدون منه ما يحتاجون اليه، فأخذوا

١. الأغانى ١٤/٩٩. ٢. الاغانى ٤/٤٠٠.

٣. فجر الاسلام، ص ١١٤ و ١١٥ و مابعدھا؛ انظر: الاغانى ٣/٣٤٧ (موسى شهوات وحياته)، ١٤/٢٥٥ (ثابت قطنه)، ص ٣١٣ (حماد عجرد) (دار الكتب العلمية) و الشعر والشعراء ١/٤٨١.

منها: الكوز والجرة والابريق والطست والخوان والطبق والقصعة والخز والديباج والسندس والياقوت والبلور والكحك والفالودج واللوزنج والفلفل والزنجبيل والقرفة والزجس والنسرين والعنبر والكافور والصندل والقرنفل والبستان، والارجوان والقرفة والسرراويل والاستبرق والتثور والجوز واللوز والدولاب والميزان والزئبق والباشق والجاموس والطيلسان والمغناطيس والمارستان والصك وصنجة الميزان والصولجان والكوسج ونوافج المسك والفرسخ والبند (پرچم) والزمررد والآجر والجوهر والسكر والطيبور....^١

الثالث: الحكيم: كان للفرس اثر كبير في الاخلاق الاسلامية والآداب العربية من ناحية حكمهم، ذلك أن الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة مؤثرات:^٢
أولها: التعاليم الدينية كالتى وردت في القرآن: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»، «اعدلوا هو اقرب للتقوى»، «لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ»، «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» إلى كثير من امثال ذلك، وكالتى وردت في الاحاديث: «أحبب لأخيك كما تحب لنفسك». وكذلك تعاليم الديانات السابقة كالتى وردت في التوراة والانجيل وامثال سليمان ونحو ذلك.

ثانيها: فلسفة اليونان وذلك بما نقل منها في العصر العباسي، ومن الامثلة على ذلك ما ترقوه في كتاب ابن مسكويه من شرح نظرية ارسطو في أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين، ومن نظرية افلاطون في أسس الفضائل الاربعة وهى: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ونحو ذلك.^٣

ثالثها: الحكيم والجمل القصيرة التى تصاغ صوغ الامثال، أو الحكايات التى تنقل

١. فجرالاسلام، ص ١١٧؛ انظر: مقدمة كتاب فقه اللغة، دار احياء التراث العربى - تاريخ آداب اللغة العربية المجلد الثالث عشر - الجزء الاول - ص ٥٣٨ و ما بعدها. ومن الملاحظ أن بعض هذه الألفاظ دخلت العربية قبل الاسلام واستعملها القرآن الكريم ككلمات عربية شائعة آنذاك.

٢. فجرالاسلام، ص ١١٧ و ما بعدها.

٣. تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، ص ٤٥، ٨٦.

فیهما اخبار الملوك ووزرائهم ووعاظهم والحکماء في زمنهم و ماجرى على السنتهم.^١
 ومما يلاحظ هنا أن الذوق العربي في هذا النوع من الحكيم يشبه مشابهة تامة الذوق
 الفارسي، فالحكم التي تنسب الى اكثم بن صيفي في الجاهلية والامام علي (ع) في الاسلام،
 والتي تنسب الى سادات العرب كالأحنف بن قيس، وروح بن زنباع، تشبه في قولها
 وصيغها واتجاه النظر فيها ما يُروى في كتب الادب عن بزرجهر وأبرويز و موبذ موبذان
 ونحوهم، حتى لقد عقد ابن عبدربه في كتابه العقد الفريد فصلاً تحت عنوان: «امثال اكثم ابن
 صيفي و بزرجهر» ولم يبيّن مالكل منها، فكان من الصعب التمييز في اكثرها بين ما هو لأكثم
 وما هو لبزرجهر،^٢ «وكانت هذه المعاني الفارسية تسرق لتنظم او تحتدى»^٣

نموذج من الحكم الفارسية^٤

١. قال بزرجهر: اذا اشتبه عليك امران، فلم تدر في أيها الصواب فانظر اقربها الى
 هواك فاجتنبه. وقال: «اذا اقبلت عليك الدنيا فأنفق فانها لا تفي، واذا ادبرت عنك
 فأنفق فانها لا تبق»^٥.

٢. كتب ابرويز الى ابنه شيرويه: «اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك
 على الكثير منها. فاذا لم يطعم منك في الصغير لم يجترأ عليك في الكبير».
 ٣. قال كسرى ليوشن المغنى و قد قتل فهلّوذ [في رواية الاغانى فهليذ] حين فاقه و
 كان تلميذه: «كنت أستريح منه اليك و منك اليه، فاذهب حسدك و نقلُ صدرك شطر
 تمعي» ثم امر أن يلقى تحت ارجل الفيلة، فقال: ايها الملك اذا قتلتُ أنا شطر طربك و ابطلتُه،
 و قتلت أنت شطره الآخر و ابطلته، أليست تكون جنايتك على طربك كجنايتي عليه؟».

١. انظر: الادب الصغير والادب الكبير، عيون الاخبار ابن قتيبه، سراج الملوك للطرطوشي و العقد
 الفريد لابن عبدربه الاندلسي، كل هذه الكتب مشحونة من الحكم النادرة والكلمات اللطيفة.

٢. العقد الفريد ٥٠/٢ منشورات دار و مكتبة الهلال) و ص ١٨٥ و ١٩١.

٣. ضحى الاسلام ١٨٩/١.

٤. العقد الفريد ١/٢٥٧، ٦١/٢، ٧٢: فجر الاسلام، ص ١١٩.

٥. ضحى الاسلام ١٨٩/١.

قال كسرى: «دعوه مادله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدّة».

٤. قال كسرى: «احذروا صولة الكريم اذا جاع واللثيم اذا شبع».

٥. قال اردشير بن بابك: انّ للآذان بجةً وللقلوب مللاً، ففرقوا بين الحكمتين.

٦. «في سير العجم: أن رجلاً وشى برجل الى الاسكندر، فقال: أتحب أن نقبل منه

عليك و منك عليه؟ قال: لا. قال: فكفّ الشرّ يكفّ عنك الشرّ».

الرابع: هناك امر فارسي آخر، كان له اثر كبير في حياة الادب العربي، ذلك هو الغناء

فاظهار أن العرب أخذوا كثيراً من النغبات الفارسية، و وقعوا عليها شعرهم العربي، قال

ابوالفرج في كتابه الاغانى: «انّ الغناء العربي لم يكن يعرف في زمان عمر بن الخطاب، إلا ما

كانت العرب تستعمله من النصب والمُداء، وذلك جار مجرى الانشاء، إلا أنه يقع بتطريب

و ترجيع يسير و رفع للصوت».

و في رواية أخرى عن صفوان الجُمحي عن أبيه قال «أول من نقل الغناء الفارسي الى

الغناء العربي سعيد بن مشجَح مولى بنى مخزوم، و ذلك أن معاوية بن ابي سفيان لما بنى

دوره... جعل لها بنائين فرساً من العراق، فكانوا يبنونها بالحصّ والاجر، و كان سعيد بن

مشجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم، فما استحن من الحانهم أخذه و نقله الى

الشعر العربي، ثم صاغ على نحو ذلك.^١

ترى من هذه الروايات و امثالها أنه كان للفرس اثر كبير في النغبات العربية و في

التوقيع، و ليس هذا يهتّمنا كثيراً الآن لأنه ألصق بالفنّ، ولكن الذى يهتّمنا فوق هذا أن

العرب نقلوا ايضاً عن الفرس صورة مجالس الغناء و الاجتماع لسماعه، فكانت - عدا أنها

مجالس - للغناء مجالس للادب يُصنّف لها الشعر و يُرقق حتى يتفق و الذوق الموسيقى. أضف

الى هذا ما كانت تستتبعه هذه المجالس من محاضرات ادبية و قصص جميلة و فكاهات رائعة

و تبادر ممتع، و تسابق بين الشعراء و الادباء للظهور فيها، و نيل الحظوة، و ناهيك بما كان

لهذه المنتديات الادبية من فضل على الادب و مباراة في تهذيبه و تجديده.

الخامس: يظهر لنا أنه في اواخر عهد الدولة الاموية حوّل الفرس الكتابة العربية الى

١. الاغانى ٢٧٣/٣ اخبار ابن مشجَح و نسبه، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى - ١٤٥٧هـ.

نمط آخر لم يكن يعرفه العرب وهو نوع الكتابة التي اشتهر بها عبد الحميد الكاتب ومدرسته، فقد كان عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني امية ويقول صاحب العقد:^١
 «أنه كتب لعبد الملك بن مروان وليزید، ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني امية حتى انتقضت دولتهم». ويقول ابن خلكان:^٢ «أنه كان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب اماماً... و عنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا، ولآثاره اقتنفوا... وهو اول من اطال الرسائل و استعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده».
 وقال ابن عبد ربّه في العقد الفريد:^٣ «أنه اول من فتق أكام البلاغة واسهل طرقها و فكّ رقاب الشعر» و وصيته للكتاب - ان صحت - تدلنا على انه كان الآخذ بزمامهم والراسم لهم طريقهم.

نستنج من ذلك انه كان ذا صبغة فارسية في الكتابة كما يقول ابن خلكان: من «أن عبد الحميد من الموالي وأصله من الانبار» وحكى ايضاً «أنه أخذ الكتاب عن سالم مولى هشام بن عبد الملك». واكثر دلالة على هذا ما حكاه ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني قال: فن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة أخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي، فحوّثها الى اللسان العربي، ويدل ذلك على هذا ايضاً أن ترجم خطب الفرس و رسائلها، و للفرس امثال مثل امثال العرب معنى و صنعة. و ربّما كان اللفظ الفارسي في بعضها افصح من اللفظ العربي. ثم ذكر امثلاً بنصها الفارسي و ما يقابلها في اللغة العربية و فاضل بينها.

(ب) تأثير الادب العربي في الادب و الثقافة الفارسية

ان شغف العلماء و الادباء الفرس باللغة العربية حملهم على تفضيلها على الفارسية و اعتبارها اداة لتأليف آثارهم العلمية و الادبية، ثم اعتبروا حبهما لها و ميلهم نحوها جزءاً

١. العقد الفريد ١١/٤ (دار و مكتبة الهلال) - الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

٢. وفيات الاعيان ٢٢٨/٣، دار الثقافة، حققه الدكتور احسان عباس.

٣. العقد الفريد ١١/٤.

من ديانتهم. التعالي في كتابه فقه اللغة (ص ١٥) بعد الثناء على العربية يقول: «والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والاقبال على تفهمها من الديانة...».

ابوريجان البيروني العالم الايراني المعروف عقد فصلاً خاصاً في مقدمة كتابه الصيّدنة حول العرب والعربية جاء فيه ما معناه:

ديننا عربي ودولتنا عربية وهذان الاثنان توأمان، بسطت القوة الالهية على احدهما جناحها وعلى الثاني هدايتها ودليلها، وكم من الناس، خاصة الديالمة قد اجمعوا امرهم على تغيير الدولة وجعلها فارسية الا ان عملهم هذا باء بالخيبة والفشل.....^١

اورد بديع الزمان الهمداني في آخر رسائله قصة طريفة عن الصاحب بن عباد جاء فيها ان شاعراً فارسياً اثنى على الفرس في مجلسه فوبّخه الصاحب ولامه قائلاً: «لا تروُن رجلاً يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من الجوسية ينزع اليها...».^٢

يمكن ارجاع تأثير العربية العميق في الفارسية الى امور اهمها:^٣

١. نظم الشعر، وكتابة الرسائل وتأليف الكتب بالعربية ونفوذ الدين الاسلامي بعمق في نفوس الفرس.

٢. استعمال المفردات والعبارات العربية والاسلوب العربي في الكلام الفارسي، و استعمال المضامين العربية الخاصة في الشعر الفارسي.

من النماذج الدالة على ذلك ما نراه في شعر المنوجهري الدامغاني، فهذا الاخير وهو من شعراء الفارسية المقدمين، لا يكتفي باستعمال المفردات العربية في شعره فقط بل يحاول فيه ان يحاكي الشعراء الجاهليين في موضوعاتهم واخيلتهم وعاداتهم العربية الصحراوية، ففي شعره يقف على الاطلاع والدمن واصفاً اياها باكيا عليها فلنسمعه يقول:^٤

غُرَابَا مَزَن بِي شَر زِين نَعِيْقَا كِه مَهْجُور كَرْدِي مَرَا ز عَشِيْقَا
نَعِيْق تُو بَسِيَار وَمَا رَا عَشِيْق نَبَايْد بِي كِ دُوسْت چَسْنَدِيْن نَعِيْقَا

١. انظر: الصيّدنة ١/٧، ٨ چاپ عكسي دانشگاه تهران - كتابخانه مركزى شماره ٨٠٢.

٢. بديع الزمان الهمداني، ص ٢٤٩ وما بعدها مصطفى الشكعة. عالم الكتب. زبان تازی، ص ٢٤٣.

٣. عصر زرین فرهنگ ایران، ص ٢٤٨ وما بعدها.

٤. تاريخ ادبيات در ايران ١/٥٨٠-٥٩٧.

ایا رسم اطلال معشوق وافی شدى زيرسنگ زمانه سحيقا
 عنيزه برفت از تو و کرد منزل به مقراط وسقط اللوى وعيقا
 هكذا ايضاً نجد مثل هذا التأثير في النثر فقد اثر النثر العربي في النثر الفارسي آثاراً
 عميقة ملحوظة فترجمة تاريخ الطبرى و عجائب البلدان لأبي المؤيد البلخي، و حدود
 العالم، و الابنية عن حقايق الادوية، و دانشنامه علائي، و عشرات الكتب الاخرى لذلك
 العصر، لم تكتب بالنثر الفارسي الخالص.

و تاريخ البيهقي الذي وصلنا من العصر الغزنوي خير نموذج للنثر الفارسي يشهد
 على امتزاج العربية بالفارسية بوضوح.^١

ان استعمال المفردات العربية في الفارسية كان قليلاً في بدايته يعنى في العصر
 الساماني، ولكنه اصبح كثيراً في العصر الغزنوي، وهذه المفردات - خلافاً لما يعتقد بعض
 المحققين - لم تكن مقتصرة على المفردات الديوانية والدينية والعلمية التي لم يكن لها معادل
 في الفارسية، بل كانت هذه المفردات عامة.^٢

محاكاة قواعد اللغة الفارسية قواعد اللغة العربية، تسمية الكتب الفارسية باسماء
 عربية، استعمال عناوين الاحترام بالعربية، درج الآيات والروايات والامثال العربية في
 الفارسية كل هذه نماذج حية لازالت موجودة في الادب الفارسي في العصر الحاضر، وهى
 مصاديق حية، ان دلت على شئء فانما تدل على مدى التلاحم العميق بين اللغتين بحيث ان
 فصل احدهما عن الاخرى يبدو مستحيلًا.^٣

من الاسباب المهمة والواضحة في تأثير العربية في الفارسية و دخول كثير من
 مفرداتها فيها هو دخول الاسلام بلاد فارس لمحق الشرك و الجهل و الظلم و عدم المساواة
 للاحو المظاهر و التقاليد الثقافية الأصيلة و منها اللغة الفارسية. الاسلام مخالف للشرك
 و الوثنية و عدم المساواة التي كانت موجودة في بلاد فارس بوضوح و بشكل لم يسبق له
 مثيل و ذلك بسبب استمرار الحكم الساساني.

١. انظر: تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٢٥-٦٣٦.

٢. انظر: سبک شناسى ٥٧/٢.

٣. انظر: زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٢٥٥.

ثم هناك امر آخر يخالف التصور العام تجدر الإشارة اليه و هو انه لم تكن توجد لغة فارسية مستقلة تنشر جناحها على الشعب الفارسي في كل بلاد ايران في ذلك العصر، بل كانت اللغة الفارسية - في الواقع - لهجة درية في محافظة خراسان،^١ والحكام الايرانيون الذين تربعوا على اريكة الحكم بعد فتح الاسلام كانوا مؤمنين به حقاً ومع ان بعضهم كان مخلصاً للخلافة العباسية في بغداد ايضاً، كل هؤلاء الحكام لم يكونوا مخالفين للغة الفارسية بل العكس هو الصحيح فقد كانوا من اسباب رقيها و تطورها.^٢

من الجدير بالذكر - ان نشير هنا الى رأي المحقق ريجارد - ن - فراي «اشپولر» لنرى رأيه في تطور الفارسية بعد الفتح الاسلامي حيث يتساءل ثم يجيب لماذا اصبحت العربية بعد الفتح الاسلامي هي اللغة الرسمية؟ ولماذا بارت بضاعة اللغة الفارسية؟ ولماذا كان اكثر العلماء الفرس يكتبون آثارهم العلمية بالعربية؟ الجواب عن هذه الاسئلة يكمن في ان الفارسية في ذلك الوقت لم تكن لغة مستقلة شاملة لثراث الفرس و ثقافتهم جميعا، بل كانت في اطار لهجة فقط.^٣

كذلك يبدو من اقوال اعلام الادب الفارسي مثل البيهقي ان استعمال المفردات العربية في الكتابة الفارسية كان من الشروط اللازمة توفرها في الكاتب في حين ان هذه المفردات لم تكن اصطلاحات ديوانية ولا دينية ولا علمية. ولهذا السبب نجده آلف كتاباً يضم هذه المفردات يقول في مقدمته: هذا فصل من رسالة ابي الفضل تلميذ ابي نصر مشكان كاتب السلطان محمود يحتوي على كلام يجب على الكتاب ان يتقيدوا به.... اعلم انه يجب ان يكتبوا كلمة «انبساط» بدل كلمة «بستاخي» و كلمة «انقباض» بدل كلمة «خويشتن كشيدين» وكلمة «توفير» بدل كلمة «زيادتي بيذا آوردن»، وكلمة «توكل» بدل كلمة «برخدا اعتاد كردن» و كلمه «تشوير» بدل كلمة «خجلت»... من كلام البيهقي هذا يتضح ان المفردات العربية اذا قورنت بالمفردات الفارسية غلبتها في الايجاز والبساطة والدلالة

١. تاريخ ايران در قرون نخستين ١/٤٣٠ و مابعدھا؛ انظر: تكوين زبان فارسي، ص ٣٤، ٤٠، على اشرف صادقي.

٢. انظر الصفحة ٢٠-٢٨ من هذا الكتاب.

٣. انظر: عصر زرین فرهنگ ایران، ص ١٨٤ و مابعدھا.

على المعنى، ولذا كانت محترمة بالثقافة العامة.^١

اذن فالفارسية هي اللغة التي اتخذت شكلاً جديداً نظماً و نثراً باحتكاكها بالعربية النامية - كما يرى اشبولر - فنمت متأثرة بأسلوب العربية و محتواها. فهذا اول شعر فارسي صحيح بعد الاسلام لمحمد وصيف السجزي^٢ في بحر عروضي عربي و هو بحر الرمل الذي اصبح فيما بعد مجراً مشتركاً بين العربية و الفارسية ثم اضيفت اوزان اخرى تدريجياً الى بحور الشعر الفارسي حتى وصلت الى تسعة عشر مجراً، خمسة منها مختصة بالشعر العربي - والشعر الفارسي بها قليل - و ثلاثة منها مختصة بالشعر الفارسي، و احد عشر وزناً منها مشترك بين الشعر الفارسي و العربي.

من يسر آراء الباحثين في جذور الشعر الفارسي في العصر الاسلامي يجد آراءهم مختلفة. فمنهم من يعتقد ان اسلوب النظم الفارسي بشكل عام مأخوذ من اللسان العربي، و منهم من يرى انه كانت له جذور قبل الاسلام الا انه تأثر بأسلوب النظم العربي حيث تسربت اليه بعض قواعده.^٣

من آراء العلماء السابقة نستنتج ان نمو اللغة الفارسية الراقية شعراً و نثراً، اسلوباً و مضامين انما هو رهين الخدمات الفذة التي قدمتها العربية اليها اسلوباً بحيث استطاعت ان تنتشر في بلاد الهند مواكبة الدين الاسلامي عندما فتح السلطان محمود الغزنوي هذه البلاد، و ان الهنود الذين آمنوا بالاسلام و تعاليمه انما آمنوا به من خلال طبيعة اللغة الفارسية و خصائصها بحيث يمكن القول ان تقدم الدين الاسلامي و انتشار اللغة الفارسية و آدابها في هذه البلاد يكاد ان يكونان توأمين.

هذه الحالة هي عينها نراها تتكرر في بلدان آسيا الوسطى عندما مد الاسلام و اللغة الفارسية جناحيها على ذلك الطرف من نهر جيحون.^٤

١. زبان تازی، ص ٢٥٦.

٢. انظر: عصر زرین فرهنگ ایران، ص ١٩٥.

ای امیری که امیران جهان خاصه و عام بندو و چاکر و مولا و سگاند و غلام زبان تازی در میان ایرانیان، ص ١٣٢.

٣. انظر: نقد عروضی فارسی، ص ١٣-٤١ دکتر خانلری.

٤. انظر: عصر زرین فرهنگ ایران، ص ٩١ و مابعدا.

ج) دور الفرس في اغناء العربية

لعب الفرس دوراً مهماً في اغناء العربية يمكن تلخيصه في العوامل التالية:^١

١. شُغف الفرس بالعلوم والثقافة الاسلامية شَغْفاً شديداً لانجذب بين الشعوب الاسلامية شعباً يضاهيه في ذلك وقد بذلوا في سبيل ذلك جهداً كبيراً منقطع النظير في إشاعة الدين الاسلامي ونشره، وعلى هذا لم يكن للعلماء الذين شغفوا بالبحوث الدينية طريق سوى تعلم العربية وتعليمها، فألّفوا كتباً كثيرة وبحثوا جمة في علوم اللغة كالصرف والنحو والبلاغة وغيرها، فكانت نتيجة ذلك ان ظهرت رابطة قوية بين الدين الاسلامي والعربية حتى قال ابو عمرو بن العلاء «علم العربية هو الدين بعينه»، وهذا ابو عمرو فارسي الاصل من علماء القرن الثاني الهجري.^٢

٢. حركة الترجمة وازدهارها: بعد استقرار العرب المسلمين في البلاد المفتوحة ومن ضمنها بلاد ايران واخضاعها لحكومة دينية ظهرت حركة علمية مزدهرة واسعة شجعت العلماء الفرس وحرّضتهم على الترجمة والبحث والتأليف، فنقلوا كتباً كثيرة من الفهلوية الى العربية وحاز عدد منهم قصب السبق في هذا المضمار منهم ابن المقفع وآل نوبخت (منهم موسى ويوسف) وحسن بن سهل و احمد بن يحيى البلاذري واسحاق بن يزيد ومحمد بن الجهم البرمكي وعمر بن فرخان.^٣

٣. اما بالنسبة الى ميدان العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وقراءته فنشاهد الفرس ايضاً قد نبغوا في هذا المضمار وتفوقوا على غيرهم فيه، فمن القراء السبعة نافع بن عبدالرحمن (م ١٦٦ أو ١٦٩هـ) الذي يرجع الى اصل فارسي من مدينة اصفهان،^٤ وكذلك ابو عمرو بن العلاء^٥ (م ١٥٧هـ)، وعلي بن حمزة^٦ المعروف بالكسائي (م ١٨٩هـ).

٤. لقد قدّم الفرس خدمات جمة وجيليلة في دائرة علوم اللغة العربية وبذلوا مجهوداً منقطع النظير في سبيل دفعها الى القمة وظهر في هذا الميدان علماء بارزون امثال سيبويه

١. مقدمه ابن خلدون ١/٥٤٣. ٢. معجم الادباء ١/٤٥ (طبع مصر ١٩٣٦م).

٣. ضحى الاسلام ١/١٧٧.

٤. تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠/٥٠؛ وفيات الاعيان ٥/٥٠.

٥. نفائس الفنون ١/٣٢٤. ٦. المصدر نفسه ١/٤٩٧.

(م ١٨٣هـ) صاحب الكتاب و علي بن حمزة الكسائي (م ١٨٩هـ) والفراء (م ٢٠٧هـ)^١ وابن السكيت (م ٢٧٤هـ) وابن خالويه (م ٣٥١هـ) وابن درستويه (م ٣٤٧هـ) وابو علي الفارسي (م ٣٧٧هـ)^٢.

٥. كذلك قدّم الفرس خدمات جلييلة لا يستهان بها في مجال علم اللغة و ظهر منهم علماء فاقوا غيرهم فيه فصنّفوا و ألفوا كتباً و موسوعات مهمة كثيرة في هذا الميدان منهم ابو عمرو الهروي^٣ و ابو حاتم السجستاني و الازهري الهروي (م ٣٧٠هـ) و ابن فارس الرازي (م ٣٩٠هـ)^٤ و صاحب بن عباد صاحب المحيط و الفيروز آبادي صاحب القاموس و كثيرون غيرهم من علماء هذا الفن المشهورين.

٦. اهتم العلماء في القرن الاول برواية الشعر و القصص الجاهلي لكي ينظّموا قواعد لتقويم اللسان العربي، و كان الفرس ايضاً في مقدمة هؤلاء العلماء الذين استنبطوا قواعد اللغة و ضبطوا مفرداتها و ذلك بسبب شغفهم باللغة العربية، فكانوا يذهبون الى الصحراء ليقبّسوا اللغة الاصلية التي لم يصلها الفساد بعد من منبعها الزلال اي من اهلها الذين لم تفسد ألسنتهم بعد^٥، و من هنا ظهر رواة مشهورون من مثل ابي زيد الانصاري و ابي عبيدة و الاصمعي تلميذ ابي عمرو بن العلاء الفارسي الاصل.

من اهم الرواة الفرس في الادب العربي ايضاً حماد الراوية (م ١٥٦هـ)^٦ و خلف بن حيان^٧.

-
١. انظر: زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٧٤.
 ٢. وفيات الاعيان ٣١/١، ١٥٧، ٢٥١، ٣٦١، ٣٦٤ و ٤٥٧/٢؛ طبقات الادباء، ص ٢٨٣؛ يتيمة الدهر ٧٦/١.
 ٣. آداب اللغة ١٨٥/٢.
 ٤. وفيات الاعيان ٣٥/١، ٢١٨، ٤٥٨/٣.
 ٥. آداب اللغة ٩٦/٢.
 ٦. الاغانى ١٦٤/٥، ١٧٢، ٥٨/١٩؛ وفيات الاعيان ١: ١٦٤.
 ٧. الفهرست، ص ٥٥؛ العقد الفريد ١٠٧/٣.

الباب الثالث

حالة الشعر العربي في ايران حتى نهاية الخلافة العباسية

الفصل الاول: الشعر العربي في ايران (الفترة الاولى)

الفصل الثاني: الشعر العربي في ايران (الفترة الثانية)

الفصل الثالث: شعراء العربية الفرس

مقدمه

يمكن أن تقسم الشعر العربي في ايران زمنياً بشكل عام الى قسمين:
الاول: شعر الفترة التي تبدأ باستيلاء المسلمين العرب على ايران و تنتهى بظهور
السلجقة سنة ٥٤٢٩هـ.

الثاني: شعر الفترة تمتد بين تسلط السلجقة على ايران و بين نهاية العصر العباسي
سنة ٦٥٦هـ.

بعد أن تمت سيطرة المسلمين على مناطق ايران كافة واستقر نظامهم هناك واطلع
الفرس على الأسس الاسلامية الحقّة آمنوا بها ايماناً صادقاً و نفذت الى اعماق نفوسهم،
فكانت النتيجة أن هاجر بعض الفرس^١ الى الجزيرة العربية و منها الى مكّة و المدينة و
ترعرع هناك، و تعلم اللغة العربية من منبعها الاساس، و هذا هو السبب الذي جعل هذا
البعض يبرز العرب انفسهم في نظم الشعر و التسلط على قوافيه حتى بلغت بعض قصائد
هؤلاء من القوة و الجمال بحيث كان يغنيها المغنون، مثل قصائد اسماعيل بن يسار التي تغنى
بها يونس الكاتب و مسلم ابن محرز الذي كان يلقب بصنّاج العرب. الامر الذي دعا بعض
امراء العرب الى أن يدعوهم الى بلاطه و يعتبرهم من شعرائه.^٢

من اهم شعراء هذا الجيل الذين كانوا يفتخرون بشكل صريح باصلهم الفارسي
زياد الأعجم و شعراء اسرة النسائي مثل اسماعيل و ابنيه محمد و ابراهيم و أخويه موسى

١. انظر: زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٣٠؛ عصر زرین فرهنگ ایران، ص ١٢٩، ١٣٧، ١٢٩،
١٤٠، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٤ و ما بعدها.

٢. الاغانی ١/ ١٧٧-١٧٩-٢٧٧ و ٣/ ١٦٤-١٦٧، ٤/ ٢٣٤ و ٢٣٧؛ الفهرست، ص ٢١٣.

شهووات وابي العباس الاعمى وابن ميّادة وغيرهم.^١ من الخصائص المشتركة بين هؤلاء الشعراء.

اولاً: الافتخار بالقومية الفارسية.

ثانياً: ذمّ بني امية لتفضيلهم العرب على العجم ولسياستهم الظالمة التي كانوا ينفذونها في المسلمين من غير العرب عامةً وفي بعض العرب خاصة.^٢

١. الاغانى ٣/٣٤٧ و٤٠٨ وما بعدها و٤/٤١٦ و١٦/٢٩٨.

٢. المصدر نفسه.

الشعر العربي في ايران (الفترة الاولى)

يمكن أن نقسم هذه الفترة الى قسمين، القسم الاول العصر الاموي والقسم الثاني العصر العباسي منذ بدايته الى تسلط السلاجقة على الحكم سنة ٤٢٩ هـ. و على هذا الاساس نستطيع أن نجد اختلافاً كثيراً في ميزات الشعر في هذين العصرين.

كان شعراء العربية الفرس في العصر الاموي مثل اسماعيل بن يسار وغيره من الذين مرّ ذكرهم يقولون الشعر على طريقة الجاهليين أو الامويين أمثال جرير والأخطل وغيرهما، أمّا شعراؤها في آخر هذا العصر واولئ العصر العباسي مثل بشار بن برد و ابي نواس فقد تغيّرت طريقتهم في نظم الشعر لأنهم عاشوا في بيئة خضعت لتمدن ايراني خالص و حضارة فارسية تكاد تكون محضة. و ذلك بسبب استيلاء الفرس على الحكم في هذا العصر.

جدّد هؤلاء في أسلوبهم و موضوعاتهم فتركوا وصف الصحراء والأطلال، و وصفوا البساتين والقصور و مجالس اللهو و الطرب. فكان اسلوبهم سهلاً وألفاظهم حلوة عذبة يسيرة. لأنّها خضعت للحضارة الفارسية.

والجدير بالذكر أنّهم نظموا شعرهم بقالب عربيّ لكنّ معانيهم و اسلوبهم كان فارسيّاً و كانوا يصرّحون فيه بدم الطريقة الجاهلية مثل قول احدهم:

صَفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ الْقِدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ الْكَرَمِ

١. معجم الادباء ٢/٢٨٣ و مابعدھا؛ العمدة ١/١٥٥؛ زبان تازی درمیان ایرانیان، ص ٨٥.

وقول الآخر:^١

لأَتَبَكِّ لَيْلِي وَلَا تُعْرَبُ إِلَى هِنْدٍ وَأَشْرَبُ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ سَمَاءِ كَالْوَرْدِ
 لم يكن هذا التغيير في موضوعات الشعر واسلوبه خاصاً بشعراء العربية الفرس بل
 شمل شعراء العرب انفسهم ايضاً لأنهم تأثروا بالحضارة الفارسية في هذا العصر الامر الذي
 أدّى الى اتّباعهم طريقة شعراء العربية الفرس و تركهم الطريقة القديمة واساليبها.^٢
 ذكر جرجي زيدان أنّ تأثير الفرس في الشعر العربي لم يكن مقتصرأً على المعنى فقط
 وأنما تعدّاه الى اللفظ والاسلوب، فقد اصبح الاسلوب بسيطاً ودخل كثير من الالفاظ
 والجمل الفارسية فيه. من ذلك قول النعمان يمدح هارون الرشيد قائلاً:^٣
 لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الْأَشَدِّ وَصَارَ فِي كَفِّ الْهَزْبِ الْوَرْدِ
 أَلَى يَذُوقِ الدَّهْرِ آبَ سَرْدِ

من الشعراء الذين احدثوا في الشعر العربي اسلوباً جديداً - في هذا العصر - الحسين
 الباهلي و بشار بن برد الطخارستاني و ابونواس الالهوازي و مروان بن ابى حفصة و غيرهم
 لا مجال لذكرهم هنا.^٤

كان هؤلاء يصرّحون بنسبهم الفارسي و يفتخرون به و اشتهر من بينهم بشار، فقد
 كان يفخر باصله الفارسي من جهة و يذمّ العرب من جهة أخرى.
 ومن الفرس المشهورين الذين كانوا ينظمون الشعر في العربية ايضاً - في هذا العصر -
 - ابراهيم بن ماهان وابنه اسحاق، لكنها اشتهرا في الغناء اكثر مما اشتهرا في قول الشعر وقد
 اتصلا بالبلاط العباسي في زمن المهدي و بقيا على هذه الحالة حتى زمن المأمون و المعتصم.^٥
 ومن شعراء العربية الفرس أبان بن عبد الحميد، نقل هذا كُتُباً متعددة من الفارسية
 الى العربية كما نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً ليسهل حفظه على القراء ثم اهداه

١. المصدر نفسه. ٢. تاريخ آداب اللغة العربية ٤٣/٢ و ٤٤.

٣. المصدر نفسه ٤٦؛ البيان والتبيين ١/٩٩.

٤. انظر الباهلي في وفيات الاعيان ١/٤٢٤ و بشارا في الاغانى ٣/٣٨-١٤١ و ابانواس في الاغانى

٥٤/٢. و مروان بن ابى حفصة في الاغانى ١٠/٧١.

٥. الاغانى ٤/٥ و ٨٩ و ١/١ و ١٠٨ و ١٠٠/٥ و ٢٥٥.

الى البرامكة مبتدئاً بقوله:^١

هَذَا كِتَابٌ أَدَبٍ وَمِحَنَةٌ وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى كَلِيلَةَ دِمْنَةٍ
فِيهِ اِحْتِيَالاتٌ وَفِيهِ رُشْدٌ وَهُوَ كِتَابٌ وَضَعْتُهُ الْهِنْدُ

فأجازه يحيى البرمكي جائزة سنّية كما جعله قاضياً بين الشعراء يعين درجاتهم و مراتبهم.^٢ وهناك شاعر بالعربية - آخر ايضاً - من اصل فارسي في هذا العصر ومن محافظة خراسان من الطاهريين هو طاهر بن عبدالله اشتهر بنظم الشعر كما اشتهر بالكتابة ايضاً و كان شديد التعصب للعربية.^٣

بدأت حكومة الصفاريين^٤ باستيلاء يعقوب الليث على إيران، و مع ان هذا كان يعرف العربية و كانت رائجة في بلاطه الا انه، لم يُعرها اهميةً بل وجّه اهتمامه الى اللغة الفارسية فنمت هذه و تقدّمت في زمانه.

أما بقية ملوك الصفاريين فانهم اهتموا باللغة العربية تدريجياً كما كان الحال عند الطاهريين والسامانيين وبقية الملوك الايرانيين، ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان في زمن يعقوب الليث نفسه شاعر بارزٌ أصبح بعد ذلك من كُتّاب بلاطه هو ابراهيم بن ممشاد الاصفهاني المتوكلي.^٥ اصله من قرية جي في مدينة اصفهان^٦، التحق هذا في بداية امره بالبلاط العباسي، فكان كاتباً للمتوكل و ابنه المعتمد والموفق، عاد بعد ذلك الى إيران والتحق ببلاط يعقوب الليث حيث كان كاتباً له.^٧

تطوّر الشعر العربي زمن السامانيين^٨

تبدأ حكومة هذه الاسرة (كما تقدم سابقاً) من النصف الاول من القرن الثاني الهجري، كانوا

١. الاغانى ٢٣/١٥٥-١٦٧؛ آداب اللغة العربية ٥٧/٢. ٢. المصدر نفسه.

٣. وفيات الاعيان ١/٢٣٥؛ تذكرة الشعراء، ص ٣٥؛ لباب الالباب، عوفى ٢/٢.

٤. انظر: تاريخ سيستان، ص ٢٢٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٥٣-٢٦٨.

٥. يبدو أنه لُقّب بالمتوكلي لالتحاقه ببلاط المتوكل العباسي.

٦. اصبحت القرية هذه شارعاً مهماً من شوارع مدينة اصفهان في هذا العصر.

٧. معجم الادباء ١٦/١٢-٢٠.

٨. انظر: يتيمة الدهر ٣/١٣٨ و مقدمة قويم ترجمة تاريخ اليميني، ص ٣.

في بداية امرهم، امراء على مناطق صغيرة في ماوراء النهر. و في سنة ٢٦١هـ اصبح نصر بن احمد الساماني والياً على كل ماوراء النهر بصورة رسمية من قبل ابي العباس المأمون الخوارزمشاهي.

كان بلاط السامانيين مركزاً للعلم والادب في اللغتين الفارسية والعربية بحيث كانت العربية - اضافة الى كونها لغة العلم والثقافة الاسلامية - لغة البلاط الرسمية ايضاً، كان السامانيون يقربون الكتّاب الذين يجيدون اللسان العربي نطقاً وكتابة كما كانوا يكرمون شعراء العربية ايضاً سواء أكانوا من الفرس ام من العرب.

والجدير بالذكر أنّ بعضاً من امراء هذه الاسرة كانوا انفسهم شعراء ينظمون الشعر بالعربية و منهم نصر بن احمد (٢٦١-٢٧٩) مؤسس هذه الأسرة.^١

عندما تُوفي ابوالقاسم الاسكافي كاتب نصر بن احمد الساماني وشاعره، رثاه شعراء البلاط مثل ابي القاسم المقانعي الهرثمي الابيوردي و ابي جعفر محمد بن عباس بن الحسين وزير نصر بن احمد الساماني، رثاه هؤلاء بقصائد باللغة العربية.^٢

من الادلة على رواج العربية - خاصة الشعر العربي - في البلاط الساماني ما جاء في كتاب «تاريخ اليميني» حيث يذكر مؤلفه أنّه عندما اغتيل ابوالحسن العتبي وزير نوح بن منصور الساماني وكان ذلك بدسياسة من الخليفة العباسي الفائق بالله، أبتنه الشعراء ورثوه بقصائد عربية.^٣

من شعراء العربية الفرس المعروفين في هذه الفترة ابوالفتح البستي،^٤ كان هذا في ابتداء امره كاتباً للسامانيين ثم التحق بسبكتكين مؤسس اسرة الغزنويين، كما كان هناك شعراء معروفون آخرون مثل مضراب^٥ البوشنجي و ابي جعفر^٦ الجامي و علي بن الحسين اللحامي الحرّاني^٧ و ابي طالب عبدالسلام بن حسن المأموني و ابي سعيد

١. الكامل ٩٢/٧ و ١٥١؛ عددٌ من بلغاء، ص ٥٣.

٢. يتيمة الدهر ١١٢/٤؛ عددٌ من بلغاء، ص ٥٨.

٣. انظر ترجمة تاريخ اليميني، ص ٥٩. ٤. يتيمة الدهر ١١/٤.

٥. ترجمة تاريخ اليميني، ص ١٢٨؛ يتيمة الدهر ١٨١/٤. ٦. المصدر نفسه، ص ٥٩.

٧. زبان تازی در میان ایرانیان، ص ١٤٤؛ يتيمة الدهر ١١٦/٤ و ١٨٣.

المخزومي،^١ كان هؤلاء كلهم فرساً ينظمون الشعر باللغة العربية. ومن الأسر التي كانت تعيش زمن السامانيين وكانت مشهورة بالشعر والادب، اسرة الصُغائيين (چغانيان) (آل محتاج)^٢، وأسرة الميكاليين التي كانت توصل نَسَبها إلى الساسانيين.^٣

كان الميكاليون في مقدمة من يشار اليهم بالبنان في مضمار الشعر والادب العربي و قد اورد الثعالبي^٤ اخباراً كثيرة مبسطة عنهم، من شعرائهم المشهورين في اللغة العربية ابو محمد عبدالله بن اسماعيل^٥ وابنه ابو جعفر محمد بن عبدالله الذي كان يحظى بمنزلة مرموقة في اللغة العربية و آدابها و بحور شعرها و قد خلّف لنا تأليف كثيرةً و اشعاراً جمّةً فيها.^٦ ومن شعراء هذه الاسرة المشهورين بنظم الشعر العربي ابو الفضل الميكالي و قد ذكره الثعالبي في يتيمته واثني عليه كثيراً. و آخر ايضاً اديب معروف و سياسي مشهور في هذه الاسرة هو الخواجه ابو علي حسن الميكالي المعروف في الادب الفارسي و تاريخه «بمسك وزير»، قتله السلطان مسعود الغزنوي سنة ٤٢٢هـ ق، كان مشهوراً بحبه للادب اضافة الى أنه كان من اساطين الشعر والبيان.^٧

مواضيع الشعر العربي في هذه الفترة اكثرها في المدح والرثاء والهجاء والاخوانيات و غيرها، و مما قاله نصر بن احمد الساماني في قتل رافع بن هرثمة:^٨

أخوك فيك على خُبرٍ و معرفةٍ إنّ الذليلَ ذليلٌ حيثما كانا
لولا زمانُ خُؤونٌ في تصرّفه و دولةٌ ظلّمتْ ما كان انسانا

١. المصدر نفسه.
٢. هذه الاسرة عرفت باللغة العربية بأسرة صغانيان (چغانيان) و چُغان كانت مدينة من مدن ماوراء النهر و في الجنوب الشرقي من خوارزم، بلدان الخلافة، ص ٤٨٣.
٣. معجم الادباء ١٨/١٣٧.
٤. يتيمة الدهر ٤/٤٠٧-٤٠٨.
٥. المصدر نفسه ٤/٤٨١.
٦. المصدر نفسه ٤/٤٨٢.
٧. تاريخ البيهقي، ص ١٧٨ و مابعدھا. للاطلاع على تاريخ اسرة الميكاليين انظر تعليقات سعيد نفيسي على تاريخ البيهقي ٣/٩٦٩ و تاريخ ادبيات در ايران ١/٥٣٨.
٨. الكامل ٧/٤٥٦ (حوادث سنة ٢٧٩).

الشعر العربي زمن الغزنویین

ترجع الغزنویون على عرش ایران بعد السامانیین، كانت هذه الاسرة من اصل تركي إلا أنها من حيث السياسة والادب كانت وراثتاً لطريقة السامانیین. وبما أن اللغة الرسمية في ديوان رسائلهم كانت هي العربية، فقد اجتمع في بلاطهم كثير من كتاب العربية و شعرائها، كذلك ضمّ بلاطهم مشهور شعراء الفارسية مثل الفرّخي السیستانی والعنصري البلخي (ملك الشعراء في زمن الغزنویین) والمنوجهري والفردوسي.^١

على هذا لا ترى فرقا واضحا من حيث اللغة العربية والشعر العربي بين بلاطي الغزنویین والسامانیین، فقد كان سلاطينهم يشجعون شعراء العربية والفارسية على السواء، كان بلاطهم يضمّ شعراء ذوي لسانين، العربي والفارسي. فقد جاء في تاريخ الیمني أن ناصرالدين خلف بن احمد الصفاري، حاكم سيستان عندما ارسل ابنه طاهراً لتسخير قهستان^٢ اصطدم بجند السلطان محمود الغزنوي وهزمهم هزيمة منكرة وقتل قائدهم وعندما وصلت اخبار الهزيمة الى مسامع السلطان محمود تمثل بهذين البيتين:^٣

أسارتِ الفرسُ في اخبارِها مثلاً وللأعاجمِ في أيامها مثل
قالوا اذا جملُ حانت مَنِيئُهُ اطاف بالبرِ حتى يهلكَ الجملُ

ومن شعراء العربية وكتّابها المعروفين في هذه الفترة ابو الفتح البستي^٤ و ابو نصر المشكان و بديع الزمان الهمداني. و اذا تتبّعنا جذور ازدهار العربية زمن الغزنویین و في بلاطهم خاصةً وجدناها تكمن في البلاط نفسه فقد كان ملوكهم مثل السلطان محمود^٥ وابناه محمد و مسعود يشجعون العربية وادبها، خاصة هذين الاخيرين، ذكر البيهقي في

١. زبان نازی در میان ایرانیان، ص ١٥٥، ٢٥٣.

٢. قهستان اسم لاراض جبلية تقع في افغانستان الحالية.

٣. ترجمة تاريخ الیمني، ص ١٥٤؛ زبان نازی در میان ایرانیان، ص ١٦١.

٤. عاش هذا الشاعر في عصرين: العصر الساماني والعصر الغزنوي، على هذا يمكن أن نطلق عليه اصطلاح المخضرم.

٥. تاريخ البيهقي، ص ١٣٢ و ١٣٣ و مابعدهما (تصحیح الدكتور فياض).

تاريخه قصةً حول السلطان مسعود نقلاً عن شخص اسمه عبدالغفار جاء فيها ما معناه: ^١ قبل أن يترجّع السلطان مسعود على عرش السلطنة اراد ذات يوم أن يذهب الى هرات فصادف في طريقه ثمانية أسود في يوم واحد واستطاع أن يقتلها جميعاً. وبعد أن رجع مساء ذلك اليوم الى فسطاطه، وبعد أن استقرّ به المقام طلب من الشعراء الموجودين هناك أن يصفوا هذه الحوادث شعراً، وكان ابوسهل الزوزني حاضراً. فقال على البداهة قصيدة طويلة طرب لها الأمير ونالت رضى الآخرين فكتبها بعضهم ولكنها مع الاسف الشديد ضاعت ولم يبق منها الا هذه الابيات: ^٢

السيفُ والرِّيحُ والتَّشَابُ والوَتْرُ	غُنِيَتْ عَنهَا وحاكِي رَأَيْتَكَ القَدْرُ
مَنْ إِنْ نَهَضَتْ لَأَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ	إِلَّا انشَيْتَ وَ فِي اظْفَارِكَ الظَّفَرُ
مَنْ كَانَ يَصْطَادُ فِي رَكْضِ ثَمَانِيَّةٍ	مِن الضَّرَاعِمِ هَانَتْ عِنْدَهُ البَشْرُ
إِذَا طَلَعَتْ فَلَاشْمُسٌ وَلَا قَمْرٌ	إِذَا سَمَحَتْ فَالْأَجْرُ وَلَا مَطْرٌ

وإذا قارنا هذه الابيات، بآبيات المتنبي في مدح سيف الدولة رأينا أن الجو الأدبي و خاصةً الشعري في ايران على عهد الغزنويين هونفسه في الشام و بغداد، وعلى هذا يمكن أن نستنتج أنه كانت هناك رابطة قوية بين البلاط الغزنوي و بلاطي بغداد و الشام. ^٣ من القصة السابقة نستنتج أيضاً أن الامير مسعود كان يعرف العربية تماماً، و لو لم يكن كذلك لما كان يطرب لقصيدة الزوزني. كذلك كان افراد حاشيته يُجيدون اللغة العربية و لو لم يكونوا كذلك لما أعجبوا بها و لما كتبوها و حفظوها. ^٤

أورد العوفي صاحب لباب الالباب (٢٦/١) في ترجمة محمد الغزنوي اخي السلطان

١. المصدر نفسه، ص ١٣٣ و ١٥٢.
٢. كان هذا صاحب ديوان السلطان مسعود الغزنوي وبعد وفاة ابي نصر المشكان اصبح صاحب ديوان الرسائل. انظر: تاريخ البيهقي ١٧٧/١ و ١٧٨ تحقيق: خطيب رهبر.
٣. من مدح المتنبي سيف الدولة قوله:
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
يَفْدِي أُمَّ الطَّيْرِ عَمراً سِلَاحَهُ
وذلك ما لا تدعيه الضراغم
نُورُ الفِلا أَحْدَاثُهَا وَ القِشَاعِمُ
٤. انظر: تاريخ البيهقي، ص ٣٩١ و ٣٩٢ و ما بعدها.

مسعود الغزنوي: أنه عندما تُوفيت زوجته رثاها كاتبه علي بن الحسن بقصيدة باللغة العربية وهذا دليل على أن محمداً وحاشيته كانوا يجيدون العربية ايضاً.
من المغنّين المشهورين في بلاط الغزنويين زمن السلطان محمود الغزنوي عبدالرحمن القوّال الذي ذكره البيهقي في تاريخه قائلاً ما معناه:^١

قال لي عبدالرحمن القوّال: كنتُ مغنّياً للامير محمد (ابن السلطان محمود) وكان يطرب لغنائي كثيراً فكنْتُ أغنّيه بأصوات نادرة وكان يطرب بصورة خاصة لصوت واحدٍ قلماً تركتُ غنائه في مجالس طربه وهذا الصوت هو:

وليس عذرُكم بدعاً ولا عجباً لكنْ وفأؤُكم منْ أبدعِ البدعِ
مالشأنُ في عذرِكم كالشأنِ في طمعي وكاعتدادي بقول الزور والمخدعِ

نستنتج من قول البيهقي هذا أن حاشية الامير محمد الغزنوي ايضاً بالاضافة اليه كانت هي الاخرى تعرف العربية جيداً ولولا ذلك لما كانوا يطربون للغناء العربي بصوت عبدالرحمن القوّال، وكذلك ورد في ترجمة علي بن حسن القهستاني كاتب السلطان محمد الغزنوي أنه كان من اعلام البيان العربي في زمانه فكان ينظم الشعر ليغنى وكان شعره هذا يُغنى في مجالس الطرب لهذا السلطان. وهذا يدل على أن محمداً هذا وحاشيته جميعاً كانوا يجيدون اللغة العربية ويطربون للغناء بها.^٢

لم تكن العربية لغة البلاط الرسمية فقط في العهد الغزنوي بل كان عامة الناس في كل بلاد خراسان يتكلمون بها ويفهمونها جيداً، فالثعالبي في ترجمته لقبوس بن وشمكير يخبرنا أن الناس هناك كانوا يتغنون ببعض أبياته منها:^٣

خَطراتُ ذَكَرِكَ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي فَأَحْسَسُ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيئاً
لَا عُضْوِي إِلَّا فِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُسْلُوناً

من الجدير بالذكر ان نشير الى ان ترجمة الاشعار الفارسية الى العربية شعراً، كانت متداولة بين الشعراء في هذا العهد فكان هؤلاء يمتحنون قرائحهم وقدرتهم على نظم الشعر

٢. انظر: معجم الادباء ١٨٧/٧.

١. المصدر نفسه، ص ٨٦، ٨٧.

٣. يتيمة الدهر ٧٠/٤.

العربي بواسطة نقل الشعر الفارسي الى اللغة العربية بشكل منظوم، من ذلك ما ذكر العوفي في لباب الالباب من أن نقل الشعر الفارسي الى اللغة العربية نظماً كان متعارفاً عند الشعراء في مناطق مختلفة في ايران، فيذكر أن بديع الزمان الهمداني عندما وفد لأول مرة على الصاحب بن عباد اختبره هذا بترجمة شعر المنطقي الرازي^١ الى اللغة العربية واثني على اجادته في هذه الترجمة.^٢

لمعرفة مدى ازدهار اللغة العربية و شعرها في العهد الغزنوي، يجب علينا أن نرجع الى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وخاصة تتمته لنرى أنه يذكر مائة وثلاثة من شعراء العربية الفرس المفوّهين في ايران تحت عنوان «في محاسن اهل خراسان وما يتصل بها من سائر البلدان»^٣ فيذكر أن كثيراً من هؤلاء كانوا يشغلون وظائف حكومية عالية، منها الوزارة والديوان والقضاء وغير ذلك، فهؤلاء اضافة الى وظائفهم الحكومية كانوا شعراء مرموقين.^٤

ومن الأسر الحاكمة المعروفة بحبها للادب في هذا العصر، أسرة الخوارزمشاهيين الاولى التي كانت تحكم بعضاً من مناطق ماوراءالنهر من قبل الغزنويين، ومن العلماء والادباء الذين كانت تربطهم رابطة خاصة بهذه الأسرة وبلاطها ابن سينا والبيروني والثعالبي النيشابوري.^٥

ومن الأسر الحاكمة المعروفة بحبها للادب في هذا العصر ايضاً، أسرة الصفاريين التي كانت تحكم منطقة سيستان، كان اعضاء هذه الأسرة - بخلاف اسلافهم - يتعصبون للعربية كثيراً، منهم الامير يعقوب ابن ابي جعفر اخو طاهر خلف بانو، كان هذا نفسه ادبياً وكان يشجع الشعراء كثيراً فقد منح^٦ شاعراً أربعة آلاف درهم على رثائه اباه بالآيات التالية:^٧

١. شاعر فارسي عاش في القرن الرابع الهجري وكان رازياً. ٢. لباب الالباب ١٧/٢.

٣. يتيمة الدهر ١١٢-٧٣/٤. ٤. انظر: تتمة يتيمة الدهر ١١١/٥-٣١٦.

٥. يتيمة الدهر ١٨٥ و ٧٣؛ تاريخ ادبيات در ايران ٢٧٩/١ و ٢٨٥.

٦. كان ابو جعفر الصفاري احد امراء سيستان. قتله احد غلمانه في مجلس أنسه سنة ٣٥٢هـ وكان له ولدان احدهما امير خلف المعروف بخلف بانو الذي خلف اباه على حكومة سيستان والثاني يعقوب. ٧. تاريخ سيستان، ص ٢٧٦-٢٧٧.

أَتَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ الْمُرْتَجِيَّ فَأَصْبَحْتُ مِنْ جُودِهِ فِي الْغِنَى
وَكُنْتُ امْرُؤًا خَائِفًا فِي الزَّمَانِ فَأَصْبَحْتُ فِي الْأَمْنِ لِمَا أَتَى
وَصَيَّرَنِي فِي ضِيَاءٍ وَنُورٍ وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ فِي الدَّجَى
هُوَ الْمَلِكُ السَّيِّدُ الْمُجْتَبَى بِهِ كُلُّ نُورٍ لَدَيْنَا بَدَى

خلف بانو و شعراء^١ العربية الفرس

كان هذا اميراً من امراء الصفاريين على سيستان وقد حكم هذه المنطقة مدة طويلة بصورة شبه مستقلة، كان ملتزماً بالدين التزاماً شديداً، محباً للعلم والعلماء، مجيداً للغة العربية، عاشقاً لادبها، والذي يدل على ذلك أنه تمثّل بالبيت التالي عند سماعه خبر موت سبكتكين الغزنوي.^٢

قَتْلٌ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكأنْ قَدْ

هناك بعض الشعراء والادباء كانوا يلزمون بلاط الأمير خلف هذا منهم ابو الفتح البستي، والهمداني و ابوبكر الخوارزمي و ابو منصور الثعالبي و احمد حسين الخطيب و قد قالوا في الثناء عليه قصائد كثيرة. لم يهتم هذا الامير بالادب الفارسي اهتمامه بالادب العربي^٣ و لذلك انتقده بعض الادباء الفرس.^٤

ومن جملة الامراء الصفاريين في سيستان الذين اشتهروا بحبهم للادب العربي ابو الحسين^٥ طاهر السيستاني، كان هذا في نزاع دائم مع الامير خلف بانو و قد مدحه بعض شعراء العربية الفرس، مثل ابي بكر الخوارزمي.^٥

في خاتمة هذا الفصل تجدر الاشارة الى نقطة مهمة و هي أن الغزنويين وإن كانوا من الاتراك إلا أنهم بسبب شغفهم بالثقافة الفارسية الاسلامية قد ذابوا في هذه الثقافة وسعوا

١. انظر: تاريخ اليميني، ص ٢٥٢ و ٢٥٣ ايضاً تاريخ سيستان، ص ٣٤٢.

٢. زبان تازی درميان ايرانيان، ص ١٧٨- نقلاً عن ترجمة تاريخ يميني، ص ٢٠٥، چاپ بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

٣. انظر: چهار مقاله عروضي، تحقيق العلامة القزويني، ص ٥٨.

٤. انظر: تاريخ سيستان، ص ٣٢٥-٣٣٧. ٥. انظر: يتيمة الدهر ٤/٢٢٣.

كثيراً الى نشر اللغتين العربية و الفارسية و ادبهما كما سَعَوْا الى مدِّ الاسلام الى شبه القارة الهندية، فهدّوا السبيل لوصول الحضارة الاسلامية الى ذروتها و ظهور نوابغ من علماء العربية الفرس و ادبائها أَعْنَوْا اللغة العربية و الحضارة الاسلامية على السواء.

الشعر في ظلّ حكومة الديالمة

كانت قبيلة الديالمة تتألف من شعبٍ كبيرة تعيش داخل منطقة طبرستان و جيلان. لم تكن رابطة هذه القبيلة الكبيرة في بداية امرها حسنةً مع الخلفاء العباسيين، بل كانت في نزاع دائم معهم، استطاعت، في النهاية، أن تصل الى الحكم في هذه المنطقة، و من اهم أسرها و عشائرها المعروفة الزّياريون و البويهيون و اسرة «ما كان كاكى» و اسرة حسن فيروزان. بعد ان ترَبَّع هؤلاء على اريكة الحكومة حاولوا مجدّين أن ينشروا الثقافة الاسلامية و اللغة العربية و قدّموا الى العالم الاسلامي علماء و ادباء مرموقين.^١

الشعر في ظلّ الزّياريين

من اهم امراء الديالمة المعروفين، مرداويج و قابوس بن وشمكير. لمع اسما هذين في التاريخ و جريا على الالسن كثيراً لشهرتهما بحبّ العلم و الادب خاصة قابوس،^٢ فقد كان مشجعاً للغة العربية لانه كان يُتقنها جيداً نظماً و نثراً اضافة الى قوله الشعر باللغة الفارسية ايضاً، و قد عُدّ من الشعراء الذين يحسنون نظم الشعر باللسانين، لكن شهرته بالكتابة طغت على شهرته بالشعر.^٣

اضافة الى أنّ هذا الامير كان نفسه ذا بيان رائع في اللغة العربية كان يشجّع ادباءها و شعراءها ايضاً، و كان بلاطه موثقاً لهم يقصدونه و يناولون جوائز اميره، فمن هؤلاء البجلي^٤ الذي مدّحه المتنبّي في بعض قصائده و منهم الخسروي^٥ السرخسي ذو اللسانين شعراً و

٢. الكامل ٨/٨٤.

١. زبان تازی در میان ایرانیان، ص ١٨٢ و ما بعدها.

٣. لباب الالباب ١/٢٩ و ٣٠.

٤. انظر تعليقات قويم على ترجمة تاريخ يميني، ص ٦٥.

٥. حدائق السحر، ص ١٤٤.

ابوالتقاسم^١ زياد الجرجاني. كان هؤلاء يلازمون هذا الامير ويمدحونه في كل المناسبات. من الادباء المعروفين في جرجان الذين ذكرهم الثعالبي في يتيمة الشيخ ابوالمحاسن سعدبن محمد بن منصور المعاصر لقابوس. أمضى هذا مدةً من عمره في بلاط السلطان محمود الغزنوي، وكان بارعاً في اللغة العربية نظماً ونثراً وقد ذكر له الثعالبي في تنمة يتيمة اشعاراً كثيرة. كان لابي المحاسن هذا أخٌ يُسمّى أبا معمر، وكان هذا - هو الآخر - اديباً و شاعراً معروفاً بالعربية وقد أعجب الصاحب بن عبّاد ببعض اشعاره العربية فكتب رسالة الى ابيه ابي سعيد بن اسماعيل من اعيان جرجان يُثني على فن ابنه الشعري في هذه اللغة.^٢

مما سبق نستنتج اولاً أن مدينة جرجان كانت معقلاً للغة العربية و آدابها على عهد الزياريين خاصة زمن قابوس.

ثانياً ازدهار النهضة الادبية في جرجان زمن قابوس لانه كان مشجعاً للادب العربي والفارسي جميعاً وبتشجيعه هذا دفع النهضة الادبية الى الأمام بشكل ملحوظ.

ثالثاً نستنتج أن اللغة العربية كانت لغة الادب والسياسة والثقافة العامة.

الشعر في ظلّ البويهيين (٥٣١٥ - ٤٤٧هـ)

من الامراء المهّمين سياسياً في هذه الاسرة ثلاثة هم عليّ و حسن و احمد، و عندما احتلّ هذا الاخير (الملقب بمعز الدولة) بغداد سنة ٣٣٤هـ تشكّلت اول دولةٍ مستقلةٍ في ايران بعد الفتح الاسلامي - وهي دولة البويهيين - لأنه لم يستطع الخلفاء العباسيون بعد ذلك أن يزحفوا على ايران عملياً.^٣

من الشعراء الكتاب في عصر البويهيين ابواسحاق ابراهيم بن هلال الصابي والصاحب بن عبّاد و عضد الدولة و شاپور اردشير المهلي و عبدالرحمن فضل الشيرازي.^٤

من الجدير بالذكر أن امراء هذه الأسرة كانوا مشغوفين باللغة العربية وادبها

١. باب الالباب ١٦/٢.

٢. تنمة يتيمة الدهر ١٦٥/٥ و ١٤٤/١-١٤٩؛ يتيمة الدهر ٤١/٢ و ما بعدها.

٣. الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ١٣٢؛ احسن التقاسيم، ص ٤٠٠.

٤. معجم الادباء ١٢١/٩؛ زبان نازی در میان ایرانیان، ص ١٩٤ و ١٩٥.

شغفاً شديداً، لهذا السبب تُقْفُوا ابناءهم ثقافةً عربيّةً جيّدة، فنشأ هؤلاء مجيدين للغة العربية بارعين فيها نظماً ونثراً، منهم ابومنصور بختيار الملقّب بعزالدولة (الذي خلف معزالدولة على الحكم). ومنهم عضدالدولة ابن عليّ ركن الدولة، كان هذا شاعراً ممتازاً في اللغة العربيّة وكان يشجع شعراءها ايضاً. شغفه باللغة العربيّة وآدابها وتشجيعه اياها في المناطق التي كانت خاضعة لحكومته جعل منه شخصية عبقرية في الادب والسياسة والادارة.

ومما اورده الثعالي دليلاً على حبه للادب العربي وتشجيعه للغة العربيّة ما قاله في حقّ شاعر العربيّة السّلامي: «إذا رأيت السّلامي في مجلس ظننتُ أن عطارد نزل من الفلك الي»^١. وكان اخو عضدالدولة، خسروفيروز من شعراء العربيّة - ايضاً - وكان ابنه تاج الدولة (م ٣٨٧) من شعرائها المشهورين ايضاً، عدّه الثعالي من أحسن شعراء البويهيين وقد جمع شعره في يتيّمته.

ومما تجدر الاشارة اليه أن الثعالي خصّص باباً مستقلاً لشعراء العربيّة من الامراء البويهيين اورد فيه اشعارهم^١.

و من شعراء العربيّة الفرس الذين لزموا بلاط عزالدولة (بختيار) ابواسحاق ابراهيم الصابي، وكان هذا نابغة عصره في الادب العربي وقد رثاه الشريف الرضيّ بقصيدة رائعة مطلعها:^٢

أرأيتَ كيفَ خَبا ضياءُ النادي	أَعَلِمَتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ
مِن وَقَعِهِ مَتَتَابِعِ الْأَزْيَادِ	جَبَلٌ هَوَى لَوْحَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى
أَنَّ التَّرَى يَغْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ	مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي التَّرَى

بالاضافة الى شعراء العربيّة الفرس الذين نشاهدهم في بلاط البويهيين كان يفد على بلاطهم شعراء عرب من شتى اقطار العالم الاسلامي لمدهم ونيل جوائزهم، من هؤلاء المنتسبي الذي وفد على عضدالدولة وعلى ابن العميد ومدحهما ونال عطاءهما^٣ ومنهم ايضاً

١. يتيمة الدهر ٢/٢١٦، ٢١٧، ٢١٩. ٢. الديوان ١/٢٩٤.

٣. تاريخ ادبيات در ايران ١/١٢٥.

ابن نباتة^١ الشاعر المصري المعروف فقد وفد على عضدالدولة و وزيره المهلي و ابن العميد و مدحهم و نال جوائزهم، كانت بينه و بين هذا الاخير رابطة ادبية قوية.

إذا قارنا بين شعراء العربية الفرس في هذا العصر و بين شعرائها الفرس في القرن الثاني نجدهم يختلفون من ناحيتين:

الاولى: من ناحية العدد: فقد كان عددهم في القرن الثاني قليلا، أما في هذا العصر فقد كانوا كثيرين.

الثانية: من حيث الفن: فلم يظهر في هذا العصر من يوازي شعراء القرن الثاني في هذا المضمار إلا اذا استثنينا مهيار الديلمي، والسبب في ذلك أن شعراء العربية الفرس في القرن الثاني عاش اكثرهم في البادية و ترعرع بين اهلها و أخذ اللغة العربية الاصيلة من ينابيعها، فبشار - مثلا - نشأ بين بني عقيل. أما في هذا العصر، فالشعراء الذين نحن بصددهم لم يذهبوا الى البادية و لم يأخذوا العربية من اهلها، و إنما عاشوا في وطنهم ايران و تعلموا اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية.^٢

٢. انظر: زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٢٠٥.

١. يتيمة الدهر ٢/٢٢٤.

الشعر العربي في ايران (الفترة الثانية)

تبدأ هذه الفترة كما اشرنا سابقاً بتسلط السلجوقيين على الحكم في ايران وتنتهي بنهاية الخلافة العباسية وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ. ق. تسلط طغرل على نيشابور (في سنة ٤٢٩هـ) و تربع على عرش مسعود الغزنوي بعد أن هزمه هزيمة منكرة. لم يكتف طغرل بنيشابور وإنما مدّ ظلّ حكومته على جميع مناطق ايران، وقد وصلت عظمة السلجوقيين الى ذروتها زمن السلطان ملكشاه (م ٤٨٥هـ)، لأنه كان قوياً مدبراً يعضده وزراء عقلاء مدبرون مثل عبد الملك الكندري والخواجه نظام الملك الطوسي. بعد وفاة هذا خلفه السلطان سنجر وكان ضعيفاً فضعفت بذلك قدرة السلجوقيين وعمت الفوضى كل مناطق ايران حتى انتهت حكومتهم (سنة ٥٥٢هـ) وزالت سيطرتهم على ايران بموته. خلف السلجوقيين الخوارزمشاهيون وكان اهم ملوكهم آتسيز (٥٢٢-٥٥١) وتكش (٥٦٨-٥٩٦) الملقب بعلاء الدين الذي أيده الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٩٥ واعترف به رسمياً. خلف تكش ابنه قطب الدين محمد على السلطة واستطاع أن يسيطر على كل بلاد ايران ويمدّ حكومته الى تركستان على حدود المغول، السبب الذي دعا المغول الى الدخول معه في حرب بشعة وهزيمته هزيمة منكرة بحيث لم يستطع بعده ابنه جلال الدين محمد أن يوقف حملاتهم هذه مما أدّى الى استيلائهم على كل بلاد ايران وتدميرها تماماً.^١ لم تتغيّر حالة اللغة العربية في ايران عند مجيء السلاجقة وإنما بقيت محتفظة بحالتها

١. الكامل، ج ١٠، حوادث سنة ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٨٥.

واهميتها الاولى، فعندما استقرّ السلطان طغرل السلجوقي في نيشابور واراد أن يتخذ له كاتباً أُشير عليه أن يتخذ عبد الملك الكندري^١ و كان هذا يفوق أقرانه في العربية نظماً ونثراً، فضّمه الى بلاطه.

كذلك نشاهد في بلاطه وبلاط آل بارسان كاتباً قديراً آخر من جهاذة الكتاب ذا لسانين هو الباخري صاحب دمية القصر.^٢

لم يضمّ بلاط السلاجقة هذين الادبيين فقط وإنما كان يضمّ ادبياً ثالثاً من ادباء العربية الفرس - شعراً ونثراً - هو علي احمد القهستاني الذي اتصل بهم عندما استولوا على خراسان.^٣

من الجدير بالذكر أن الباخري كان ملازماً للوزير عبد الملك الكندري وزير السلطان طغرل وقد قال في مدحه قصائد كثيرةً وعندما قُتل هذا بيد السلطان آل بارسان رثاه بقصيدة مشهورة ستنترق اليها في مكانها الخاص عند الحديث عنه.^٤

ومن شعراء العربية الفرس الذين نشاهدهم في بلاط وزراء السلاجقة ايضاً احمد عبدالرزاق الطنطراي (م ٤٨٥هـ)، كان هذا ملازماً للخواجه نظام الملك الطوسي ومن شعرائه المقرئين وقد اشتهر بتصيدته الطنطراية التي يستهلها بقوله:^٥

يا خَلِيّ البَالِ قد بَلَبْتُ بالبَلْبَالِ بِالسَّالِ
بالتَّوَيِّ زُرْتُ لِنَتِي والعَقْلُ في الزُّرْأَالِ زَالِ

١. هو ابو نصر منصور بن محمد الكندري كان من بلغاء العربية المشهورين نظماً ونثراً و مما نقل عنه شعراً ابيات قالها في غلام تركي كان يبري قلماً.

انا مشغولٌ بحبّه وهو مشغول بلعبه
نُقِلَتْ رِقَّةٌ حَدِيهِ الى قَسْوَةِ قَلْبِهِ
لو اراد الله خيراً وصلاحاً لمحبه
صانه الله، فما اكثر اعجابي بعجبه
الكامل ١١/١؛ وفيات الاعيان ١٣٨/٥ و مابعدھا. انظر: عدد من بلغاء ايران في لغة العرب، ص ١٥٨. ٢. وفيات الاعيان ١/٤٥٤-٤٥٥؛ لباب الالباب ٦٩/٢.

٣. معجم الادباء ١٢/١٣ و مابعدھا.

٤. منها

وَعَمَّكَ ادْنَاهُ وَاَعْلَى حَمَلَهُ
وَبَوَّأَهُ مِنْ مُلْكِهِ كَنَفًا رَحْبًا
(عدد من بلغاء ايران، ص ١٥٨)

٥. آداب اللغة العربية ٢٧/٢.

إذا نظرنا إلى عصر الخوارزمشاهيين فاننا لانجد شاعراً في العربية مشهوراً يوازي رشيد الدين الوطواط ولكن هذا لم يشتهر بالشعر وإنما، اشتهر بالنثر.^١ ومن شعراء العربية الفرس الذين كانوا في بلاط الامراء داخل ايران و خارجها وحازوا قصب السبق في النبوغ الشعري وكان لهم منزلة ذات قيمة بين شعراء العرب ايضاً هو الطغرائي الاصفهاني (م ٥٢١هـ). كان هذا وزيراً للسلطان مسعود السلجوقي في الموصل كما كان قبل ذلك صاحب ديوان ابيه ملكشاه السلجوقي.^٢

النقطة المهمة التي يجب ملاحظتها هنا هي أن اللغة العربية خاصة الشعر العربي زمن السلاجقة والخوارزمشاهيين ولو أنها كانت محتفظة بمكانتها إلى حد ما في هذه الفترة إلا أنها فقدت رونقها الذي كانت قد بلغت في الفترات السابقة خاصة في عهد البويهيين وهذا يرجع إلى سبب مهم وهو:

أن الامراء والسلاطين في جميع البلاد الاسلامية (داخل ايران و خارجها) لم يكونوا يعتنون بشعراء العربية المدّاحين، لانهم لم يكونوا عرباً فكانت النتيجة قلة الشعراء المدّاحين في قصور الامراء والسلاطين وكساد سوقهم فأخذ الشعراء يشكون في شعرهم من الفقر والبؤس، فتحول الشعر من المدح إلى موضوعات أخرى هي:

(الف) الشكوى من الزمان فقره وبؤسه.

(ب) الموضوعات التي كان الناس يرغبون فيها.

(ج) الشعر الصوفي والعرفاني وما يشابهها.

وهنا نلاحظ أن بعض الشعراء الفرس بلغوا القمة في الموضوعين الاخيرين. كل هذا أدى إلى قلة شعراء العربية في هذا العصر، وعلى حد قول بعض المعاصرين^٣ أن الشعراء المرموقين في هذا العصر لا يبلغ عددهم نصف عدد الشعراء الذين كانوا في عصر البويهيين. ومع ما بيننا من قلة عدد شعراء العربية الفرس في هذه الفترة للأسباب المارة الذكر

١. معجم الادباء ٩١/٧.

٢. وفيات الاعيان ١٧٢/٢ و مابعدھا؛ معجم الأدباء ٥٢/٩؛ الكامل ٢٩٢/٨؛ زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٣٠٢.

٣. زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٣٠٨ و مابعدھا؛ آداب اللغة العربية ١٣/٣.

فقد ظهر بعض شعرائها الممتازین (في ایران و خارج ایران)، مثل ابی الحسن الباخري (م ٤٦٧) و ابی اسحاق الغزني (م ٥٢٤) و ناصح الدين الارجاني (م ٥٤٤) و صلاح الدين الأبيوردی (م ٥٥٧) و ابی المظفر بهرامشاه فرّخ شاه الایوبي، حاکم بعلبک (م ٦٢٨) و عماد الدين الكاتب (م ٥٧٧) إضافةً الى الطغرایی الاصفهاني (م ٥١٥ هـ) صاحب لامية العجم الذي غلبت شهرته الشاعرية شعراء العجم والعرب في عصره.

وفي خاتمة المطاف يجدر بنا أن نذكر بعض النقاط المهمة وهي أن هناك شعراء ذوي لسانين قد لمعوا في هذا العصر ولكن كُتِبَ التاريخ والتراجم لم تذكر شيئاً عنهم في حين أن هؤلاء قد نظموا شعراً، اقلّ ما يوصف به أن عدداً غير قليل من الشعراء العرب انفسهم لم يستطيعوا أن يقولوا مثله أو يحاكيوه و هؤلاء الشعراء هم: عبدالواسع الجبلي، والامير فخرالدين خالدربيع، و مسعود سعد سلمان، و ناصرالدين خسرو القبادياني، و سيد حسن الغزنوي، و جمال الدين عبدالرزاق، والحكيم عمرالحنيام، و رشيدالدين الوطواط، و غيرهم لا مجال لذكرهم في هذا الحديث.^١

يحسن بنا هنا ان نشير الى ان بعض هؤلاء مثل رشيد الدين الوطواط قد اجاد اللغة العربية كاجادته الفارسية بحيث كان يستطيع أن يقول البيت بالعربية و يأتي بالمعنى نفسه ببيت بالفارسية وكلاهما من بحر واحد.^٢

ومما تجدر الاشارة اليه ايضاً أن الشعراء ذوي اللسانين في هذه الفترة كانوا يفرقون عن الشعراء ذوي اللسانين في الفترات السابقة لأن هؤلاء كانت قريحتهم الشعرية أصيلة في اللغة الفارسية وكانوا ينظمون احياناً باللغة العربية. فنظمهم باللغة العربية يأتي بالدرجة الثانية في حين أن الشعراء ذوي اللسانين في الفترات السابقة كانوا على العكس من ذلك. إن هذا التطور في الادب الفارسي - و ما حدث عكسياً في الادب العربي - في هذه الفترة عند شعراء العربية الفرس لم يحدث فجأة و إنما كان كغيره من ظواهر التطور في الآداب الأخرى حدث بصورة تدريجية كما نرى ذلك عند الباخري و ابی اسحق الغزني اللذين كانا يقولان الشعر باللغة العربية اصالة و باللغة الفارسية أحياناً.^٣

١. تاريخ ادبيات در ایران ١/١٦٢، ١٦٣، ٤٥٦، ٥٤٧.

٢. معجم الادباء ١٩/٢٩.

٣. زبان تازی در میان ایرانیان، ص ٣٠٩.

شعراء العربية الفرس

١. زياد الاعجم (م ١٠٠هـ)

هو زياد بن سليمان، مولى' عبدالقيس وكنيته ابوامامة قيل ان اصله و مَوْلدهُ ومنشأه في اصفهان و كان ينزل اصطخر، ثم انتقل الى خراسان ولم يزل بها حتى مات، و قد لُقّب بالاعجم لِلْكِنَةِ كانت في لسانه، فقد كان يَعِجُزُ عن النطق بالعين والصاد، رويت اخبار مختلفة عن لکنته و عدم فصاحته، منها:

«أَنَّهُ دَعَا غُلَامًا لَهُ - ذَاتَ مَرَّةٍ - لِيُرْسِلَهُ فِي حَاجَةٍ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ لَهُ: مِنْذُ دَأَوْتُكَ إِلَيَّ أَنْ قُلْتَ لِي بِكَ مَا كُنْتُ تَسْنَأُ؟ كَانَ يَتَكَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ بِلَهْجَةِ الْإِصْفَهَانِيِّ يَرِيدُ مِنْهُ دَعْوَتَكَ إِلَيَّ أَنْ قُلْتَ لِي بِكَ مَا كُنْتُ تَصْنَعُ؟^١

قيل أَنَّهُ شَهِدَ فَتْحَ إِصْطَخَرِ (أَحَدِي بِلَادِ فَارَسِ) مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ثُمَّ ادْرَكَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْخِلَافَةِ سَنَةَ ١٠٥هـ فَيَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، لِذَلِكَ - قِيلَ - زَادَتْ سَنَّهُ عَلَى مِائَةٍ. غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ تَجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ تَوَفِّيَ سَنَةَ ١٠٠هـ قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى هِشَامُ الْخِلَافَةَ.^٢

كان ملازماً لعمر بن عبيدالله بن معمر و صديقاً له، فلما تولى هذا فارس من قبل عبدالله بن الزبير سنة ٦٧هـ قصده و مدحه و نال منه جوائز سنّية. سكن خراسان مدةً و مدح واليها المهلب بن ابي صفرة (٧٨-٨٢هـ). و يبدو أَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعِرَاقِ فَكَانَ

١. الاغانى ١٥/٣٧١؛ خزنة الادب ١٠/٧.

٢. راجع: البيان والتبيين ١/٧١ الحاشية الثالثة (تعليق محمد عبدالسلام هارون).

يُنشدُ شِعْرَهُ فِي مَرَبِدِ البَصْرَةِ.^١ كان زياد الاعجمُ خطيباً قديراً، و كاتباً داهياً، و شاعراً مجيداً، و اكثر شعره المهجاء و هجاؤه خبيث، هجا أبا جلدَةَ اليشكري و غيره، و توعد الفرزدقَ بالمهجاء فأرهبه، ولكنه هاب أن يهجو جريراً^٢، وله رثاءٌ بارعٌ و مدحٌ ممتاز و شيء من الشعر الوجدانيّ الجيد.

نماذج من شعره

تتوزع اشعار زياد الاعجم على فنون أهمّها: المهجاء ثم المدح والحكمة والرثاء ولكن اكثرها في المهجاء، كما نرى ذلك عند الفرزدق و جرير ولعلّ سبب هجائه، أنّه كان معاصراً للفرزدق و جرير و لذلك غلب على اكثر شعره.^٣

جاء في الاغاني ان الفرزدق لقي زياداً الاعجم فقال: لقد هممتُ أن أهجو عبد القيس، فقال له زياد: كما أنت حتى أسمعك شيئاً ثم بعد ذلك انت وما تريد! فقال له الفرزدق هات، فقال:

وما تركَ الهاجونَ لي إن هَجَوْتُهُ مَصَّحًا اراه في أديم الفِرزدق

فأنا وما تُهدي لنا إن هَجَوْتَنَا لكالبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي البَحْرِ يَغْرِقُ^٤

فقال له الفرزدق: حسبك هلمّ نتتارك،^٥ قال: ذاك اليك، وما عاوده بشيء.^٦

هجائياته كثيرة لذلك يمكن أن نقارنه بالفرزدق و جرير، أو نقول انه جرير ايران في

المهجاء، فن خبث هجائه قوله للاشاعر:

قُبَيْلَةٌ خَيْرُهَا شَرُّهَا وَأَصْدَقُهَا كُذِبُ الْآثَمِ

وَضَيَّفُهُمْ وَسَطَ اَبْيَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِماً صَائِماً^٧

و قال يهجو يزيد بن حنبل الصبي حين رده عن ان يهجو الناس و يمزق اعراضهم،

١. الاغاني ٣٨٥/١٥-٣٩٠.

٢. خزنة الادب ٧/١٠؛ معجم الادباء ١٦٨/٦؛ الشعر والشعراء، ص ٣٤٣.

٣. الاغاني ٣٨٢/١٥.

٤. المصدر نفسه؛ معجم الادباء ١٦٨/٦؛ الشعر والشعراء، ص ٣٤٣؛ خزنة الادب ٧/١٠.

٥. الاغاني ٣٩٣/١٥، قبيلة: مصغر قبيلة.

قائلاً: حتى متى تنهادي في الضلال كأنك بالموت قد صبّحك أو مساك، فقال زياد فيه:^١
يُحذّرني الموتَ ابنُ حنّباءَ والفتى إلى الموت يغدو جاهداً ويروحُ
وكلّ امرئٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ وإن عاش دهرًا في البلادِ يسبحُ
فقلّ ليزيدٍ يا ابن حنّباءَ لا تعظُ أخاك وعظّ نفساً فأنتَ جنوحُ
تركتَ التّقى والدينُ دينُ محمدٍ لاهل التّقى والمسلمين يلوحُ
و تابعتَ مُراقَ العراقيين سادراً وأنتَ غليظ القُصيرين صحيحُ^٢
أما اشعاره في المدح فمتها:

انه دخل على عبد الله بن جعفر بن ابي طالب زوج زينب (ع) بنت علي (ع) فسأله في خمس ديات فأعطاه ثم عاد في خمس ديات أخر فأعطاه، ثم عاد فسأله في عشر ديات فأعطاه فأنشأ يقول:^٣

سألناه الجزيلَ فا تلکّا وأعطى فوقَ مُسنيّنّا و زادنا
و أحسنَ ثمّ أحسنَ ثمّ عُدنا و أحسنَ ثمّ عُدتْ له فعادنا
مراراً لا أعودُ إليه إلا تبسّم ضاحكاً وتّنى الوسادا
وله مدائح أخرى، لم نتطرق اليها. فللقارىء أن يراجعها^٤ في مضانها وله شعر في الرثاء جميل، منه قصيدته التي رثى بها المغيرة بن المهلب وهي من عيون الشعر العربي سهلة الالفاظ صادقة العواطف، منها قوله:^٥

قُلْ للقوافلِ والغُزّيّ إذا غَزَوْا والبّاكِرين وللْمُجِدِّ الرّائِحِ^٦
إنّ المُروءةَ والسّامحةَ ضُمّنا قسراً بمروءةِ الطّريقِ الواضِحِ

١. المصدر نفسه ٣٩٠/١٥.

٢. المراق: الخوارج، جمع مارق، والقصريان: مثني القُصيرى وهي آخر ضلع الجنب اسفل الاضلاع. ٣. معجم الادباء ١٦٩/٦؛ فوات الوفيات، ص ٣٠.

٤. الاغانى ٣٧٤/١٥.

٥. العقد الفريد ٢١٣/٣ و ٢٨٨؛ الاغانى ٣٨١/١٥؛ معجم الادباء ١٧١/٦؛ الشعر والشعراء، ص ٣٤٤؛ فوات الوفيات، ص ٣٠.

٦. القوافل: جمع قافلة؛ وهي الرفقة الكثيرة الراجعة من السفر او المبتدئة به. الغزى: اسم جمع للغازي، الباكر: من يخرج في الصباح.

فَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ
 وَأَنْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدُمَائِهَا
 يَا مَنْ بِمَهْوَى الشَّمْسِ مِنْ حَىِّ إِلَى
 مَاتَ الْمَغِيرَةَ بَعْدَ طَوْلِ تَعَرَّضِ
 وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَى الْقِتَالِ وَلَا أَرَى
 كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ^١
 فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَادِمِ وَذَبَائِحِ^٢
 مَا بَيْنَ مَطْلَعِ قَرْنِهَا الْمُتَنَازِحِ^٣
 لِلْمَوْتِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَصَفَائِحِ^٤
 حَيًّا يُؤَخَّرُ لِلشَّفِيقِ النَّاصِحِ

امتحن زياد بموت المغيرة صديقه و صاحب الايادي عنده، فأدنى ما يجب من الوفاء للصديق على الصديق. ان موت صديقه اثار عاطفته وهاج احزانه فصدرت عن قلبه و شعوره و ضميره هذه الابيات التي تعتبر من خير الشعر ورائعه، هذه الابيات التي يشيع فيها غناء حزين اقل ما نقول فيه انه خيبة امل الشاعر بموت صديقه.

في هذه الابيات حرارة صادقة تبعث الحزن و تدعو الى الالم، اضافة الى اخذها الانسان بالتعزية والصبر على الموت والاذعان له، الموت الذي لا محيد عنه ولا وقاء منه. اسمع الى هذا الغناء الحزين والى هذه الحسرة التي تشيع في البيت الثاني، أنها حسرة اليأس والقنوط لموت السماحة والكرم والندى، واستمع الى هذه الكلمة القوية (فاعقر به) في البيت الثالث هذه الكلمة التي يملؤها الحزن والاشفاق انه يريد للفقيد ان يكون كريماً حتى بعد موته، فيجب ان تذبج عند قبره الذبائح و يجب ان تسيل عنده الدماء. انظر الى هذه الآمال كيف خابت، انه يخبر الناس جميعاً بهذه الخيبة التي اصابته بموته، هذا الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه.

ومن شعره في الحكمة قوله:^٥

لِإِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى
 لِوَكُؤْتِ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
 لِأَخِيرِ فِي كَذِبِ الْجَاوَا
 دِ وَحَبِّذَا صِدْقِ الْبَخِيلِ

١. عقر: نحر. كوم: قطع الابل. الهجان: من الابل البيض الكرام، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع. الطرف: الفرس الجواد. السابح: الفرس السريع الجرى.
٢. نضح: رش. الذبائح: القرابين.
٣. المهوى: اسم مكان على وزن مفعّل. المتنازح: المبتعد، ما ليس بقريب.
٤. الصفائح: ج صفيحه: السيف العريض. ٥. العقد الفريد ١/١٦٩.

وقوله أيضاً:^١

وكل امرئٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ وإن عاشَ دَهراً في البلادِ يسيحُ

٢. اسماعيل بن يسار^٢ (م ١١٠ هـ)

اسماعيل بن يسار اصله من آذربايجان في ايران و مولده و منشأه في المدينة، كان يسار والدُ اسماعيل يبيع اثاث المنازل والفرش ويُعدّ الطّعام الذي يتّخذُ للأعراس، ولذلك سُمّي بالنسائي. كان يسار مولى لبني مرة من بني تميم نشأ اسماعيل بن يسار في اسرة عرفت بقول الشعر: كان ابوه شاعراً و كان اخوه موسى شهوات شاعراً، وكذلك كان ابنه محمداً شاعراً ثم نشأ حفيده عبيدالله بن محمد شاعراً أيضاً.

وكان طيّب النفس، مليح الحديث، فكها، كثير الهزل والمزاح منقطعاً الى آل الزبير لأنه كان مُبغضاً لبني امية. كذلك كان يُفضّل العجم على العرب في شعره. وقد على الوليد بن عبد الملك ثم على هشام بن عبد الملك ومدحه، ولكن لم يكن له حظٌ ولا نصيبٌ عند بني امية وكانت وفاته نحو سنة ١١٠ هـ.^٣

اسماعيل بن يسار شاعرٌ مجيد فصيح الالفاظ، سهل التراكيب، قريب المعاني عذب الشعر، تكاد تكون خصائصه الفنية منقطعة عن خصائص معاصريه من امثال الفرزدق و جرير، إذ هي من حيث الاغراض والاسلوب أقرب أن تكون مُحدثة، و في بعض شعره شبه بشعر عمر بن ابي ربيعة. واغراضه الغزل والهجاء والفخر بالفرس على العرب وله رثاءٌ ومدح.

عاش اسماعيل عمراً طويلاً ونراه يفخر على العرب فيقول:^٤

إنما سُمي الفوارس بالفُرِّ
سِ مُضاهاةً رِفْعةً الأنسابِ
فاتركي الفخر يا أمامَ علينا
واتركي الجورَ وانطقي بالصواب

١. الاغانى ٣٩٠/١٥.

٢. الشعر والشعراء، ص ٣٦٦؛ الاغانى ٤٠٨/٤.

٣. تاريخ آداب اللغة العربية ٢٧٧/١.

٤. المصدر نفسه، ص ٢٧٨ والاغانى ٤١١/٤.

واسألي إن جهلتِ عتًا وعنكم
اذ نُرَبِّي بناتِنَا وتَدُسُّو
وَلَهُ شَعْرٌ فِي الْغَزْلِ حَاكَ فِيهِ عَمْرٌ بِنِ ابْنِ رِبْعَةَ فِي رَأْيَيْتِهِ فِي بَعْضِ الْوَجُوهِ:^١
كَلِمَتُمْ أَنْتِ الْهَمُّ يَا كَلِمَتُمْ
وَأَنْتُمْ دَائِي الَّذِي أَكْتَمْتُمْ^٢
أَكْتَمْتُمْ النَّاسَ هَوًى شَفَنِي
وَبَعْضُ كَتَانِ الْهَوَى أَحْرَمْتُمْ^٣
قَدْ لُمْتِنِي ظُلْمًا بِالْأُظُنَّةِ
وَأَنْتِ فَمِيمًا بَيْنَنَا الْوَمُّ^٤
لَا أُمْنَحُ الْوُدَّ وَلَا أُصْرَمُ
لَا تَتْرُكْنِي هَكَذَا مَيِّتًا
إِنَّ الْوَفَى الْقَوْلَ لَا يَنْدَمُ
أَوْ فِي بُعَا قَلْبِي وَلَا تَنْدَمِي
بَعْدَ الْكِرَى وَالْحَمَى قَدْ نَوْمُوا
أَيَّةٌ مَا جِئْتُ عَلَى رَقَبَةٍ
وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلَمٌ
أُخَافُ الْمَشِيَّ حِذَارَ الْعَدَا
وَعَارَتِ الْجِوَزَاءُ وَالْمِرْزَمُ^٥
حَتَّى إِذَا الصَّبِيحُ بَدَا ضَوْؤُهُ
خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِي كَمَا
يَنْسَابُ مِنْ مَكْنِهِ الْارْقَمُ^٦

لَمَّا غَنَّى الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي مَجْلِسِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: مَنْ يَقُولُ هَذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسَارِ النَّسَائِي، فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ اسْتَشْدَهُ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا وَأَمْرًا لَهُ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ وَسَرَّحَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.^٧
رَوَى الْأَصْفَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي قَائِلًا:^٨ اصْطَحَبَ شَيْخٌ وَشَبَابٌ فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَالَ الشَّبَابُ لِلشَّيْخِ: إِنَّ مَعَنَا قَيْنَةً^٩ لَنَا، وَنَحْنُ نُجَلِّكَ وَنُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَ غِنَاءَهَا. قَالَ: اللَّهُ

١. الاغانى ٤/١٦٤.

٢. كَلِمَتُمْ: فِي الْأَصْلِ يَا كَلِثُومُ، فَهُوَ مُنَادَى الْمُرْخَمِ.

٣. أَكْتَمْتُمْ: كَاتَمَهُ الْعِدَاوَةُ: سَاتَرَهُ. ٤. الظُّنَّةُ: التُّهْمَةُ.

٥. الْجِوَزَاءُ: صُورَةٌ بِمَجْمُوعِ نَجُومٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. الْمِرْزَمُ: نَجْمٌ تَابِعٌ لِلشَّعْرَى الْجِوَزَاءِ وَالشَّعْرَى مِنْ مَجْمُوعَاتِ النُّجُومِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي سَمَائِنَا فِي الصَّبْفِ.

٦. الْوَطْءُ: وَطْئُهُ وَطْئًا: دَاسَهُ. يَنْسَابُ: يَزْحَفُ خَفِيَةً الْمَكْنُ: الْخُبَاءُ. الْارْقَمُ: الْحِيَّةُ.

٧. الاغانى ٤/١٦٦ و ٤/١٨٨. ٨. الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ ٤/١٨٨.

٩. قَيْنَةٌ: مَرْأَةٌ مَغْنِيَّةٌ.

المستعان فأنا ارقى على الاطلاع^١ و سأُنكم، فغنت:

حتى إذا الصبحُ بدأ ضوءه و غارتِ الجوزاءُ والمِرزمُ
اقبلتُ والوطءُ خفي كما ينساب من مكمنه الارقمُ
قال: فالنبي الشيخُ بنفسه في الفرات و جعلَ يخبُّ بيديه و يقول: أنا الارقمُ! انا الارقمُ!
فأدركوه وقد كاد يغرق، فقالوا: ما صنعتَ بنفسك؟ فقال: اني والله أعلمُ من معاني الشعر
مالا تعلمون.

هذه الابيات هي الشعر حقاً، بهذه الالفاظ العذبة، وبهذا الاسلوب الجميل، والمعنى
الغزير اظهر الشاعر صدقَ عاطفته وما يكتنه من الحبِّ الخالص لمن يهواها لأنه قد افتتن بها
افتتاناً شديداً يدلُّنا على ذلك انه يذكر اسمها مرخماً. إنَّها همته و سروره، داؤه و دواؤه، أنه
يغالب هواه الذي شفَّه و أنحله من جرَّاء هجرانها الذي لا طاقة له به، أنه يحاول حذراً
زيارتها ليلاً بعد تأكده أن اهل الحي قد غرقوا في نوم عميق، لكي يهدأ بعض ما به من شوق
يتأجج، و من نار تضطرم، حتى اذا بدأ ضوء الصباح خرج محتفياً ينساب في مشيه كما
ينساب الثعبان حذراً من عيون الرقباء والحسَّاد. فانظر الى هذا الشعر الرقيق كيف ينساب
الى القلوب في سهولة و يسرٍ كانسياب صاحبه من بيت صاحبه.

رثاؤه لمحمد بن عروة

وفد عروة ابن الزبير الى الوليد بن عبد الملك و اخرج معه اسماعيل بن يسار، فمات في تلك
الوفادة محمد بن عروة بن الزبير و كان مطلقاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك، فسقط من
فوق السطح بينها، فجعلت تضربه بأرجلها حتى قطَّعته، كان جميل الوجه جواداً، فقال
اسماعيل بن يسار يرثيه:^٢

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيَّ فَتَى فَارَقْتُهُ بِالشَّامِ فِي جَدَّتِ الطَّوِيِّ الْمَلْحَدِ^٣

١. الاطلاع: جمع ظل، وطل السفينة: شراعها.

٢. المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

٣. الطوي: المراد به هنا القبر المعرَّش بالحجارة والآجر، الحد القبر: عمل له لحداً.

بـوَأْتُهُ بـيـدِي دَارَ إِقْسَامَةٍ نَائِي المَحَلَّةَ عَن مَزَارِ العُودِ^١
 وَغَبْرَتُ أَعْوِلُهُ وَقَدْ اسْلَمْتُهُ لِيَصْفَا الأَمَاغِرَ وَالصَّفِيحَ المُسْتَدِ^٢
 مَتَخَشِعًا لِلدَّهْرِ أَلْبَسُ حُلَّةَ فِي النَائِبَاتِ بِحَسْرَةٍ وَتَجَلَّدِ^٣
 أَعْنِي ابْنَ عَرُورَةَ إِنَّهُ قَدْ هَدَّنِي فَقَدْ ابْنِ عَرُورَةَ هُدَّةً لَمْ تَقْصِدِ^٤
 كَانَ الَّذِي يَزْعُ العُدُوَّ بِدَفْعِهِ وَيُرَدُّ نَخْوَةَ ذِي المِرَاحِ الأَصِيدِ^٥
 فَضْنِي لَوَجْهَتِهِ وَكُلُّ مُعَمَّرٍ يَوْمًا سَيُدرِكُهُ هَمَامُ المَوْعِدِ
 فِي آيَاتِ الشَّاعِرِ لِيَحْسَّ القَارِيءُ عَاطِفَةً مُتَأَجِّجَةً صَادِقَةً وَلا حِينِيًّا وَاشْتِيَاقًا إِلَى
 مَن فَارَقَهُ، لِأَنَّهَا لا تَمَثَلُ تِلْكَ النَفْسَ الحَزِينَةَ الكَثِيْبَةَ المُلْتَمَاعَةَ. هِيَ دَعَاءٌ لِلْمَيْتِ بِالْخَيْرِ، الَّذِي
 دَفَنَهُ الشَّاعِرُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ وَوَارَاهُ التُّرَابَ وَلبَسَ عَلَيْهِ السَّوَادَ، إِنَّهُ بَمَوْتِهِ قَدْ فَتَقَدَّ مَن يَدْفَعُ عَنْهُ
 ظِلْمَ المُسْتَبْدِينَ وَنَخْوَةَ المُتَكَبِّرِينَ.
 المَوْتُ لا يَبْدُ مِنْهُ لِأَنَّهُ نِهَائِيَّةٌ كُلِّ حَيٍّ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ.

فخر الشاعِر

دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ عَلَي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ بِالرِّصَافَةِ جَالِسٌ
 عَلَي بَرَكَةِ لَهُ فِي قَصْرِهِ، فَاسْتَنْشَدَهُ وَهُوَ يَرِي أَنَّهُ يُنْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ فَانْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي
 يَفْتَخِرُ فِيهَا بِالعَجْمِ:^٦

١. العُودُ: جَمْعُ العَائِدِ: الزَّائِرِ.
٢. أَعْوِلُ الرَّجُلُ: رَفَعُ صَوْتَهُ بِالبِكَاءِ. الصَّفَا: جَمْعُ صَفَاةٍ وَهِيَ الحِجْرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ لا يَنْبِتُ.
 الأَمَاغِرُ: جَمْعُ أَمْغَرٍ: وَهُوَ المَكَانُ الصَّلْبُ الكَثِيرُ الحَصِي. الصَّفِيحُ وَالصَّفِيحَةُ: وَاحِدُ الصَّفَائِحِ وَ
 هِيَ الحِجَارَةُ العَرِيضَةُ. وَالمُسْتَدُ: المُتْرَاكِبُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.
٣. النَائِبَاتُ: جَمْعُ النَائِبَةِ: المَصِيبَةُ.
٤. هُدَّةٌ هُدَّةٌ: أَسْقَطُهُ وَكَسَّرَهُ، وَهَدَّ الرَّجُلُ هُدًّا: ضَعَفَ وَهَرَمَ وَالمِرَادُ فِي هَذَا البَيْتِ الضَّعْفُ وَ
 السَّقُوطُ.
٥. النَخْوَةُ: الكِبَرُ. المِرَاحُ: الأَشْرُ وَالنَّشَاطُ. الأَصِيدُ: الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ كِبْرًا لِأَنَّهُ لا يَلْتَمِثُ يَمِينًا
 وَلا شِمَالًا.
٦. المَصْدَرُ نَفْسُهُ ٤/٢٢٢ وَ ٤٢٣.

يَا رَبِّعَ رَامَةَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ رَيْمٍ
 إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا عُوْدِي بِذِي خَوْرٍ
 أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لِأَيْقَاسٍ بِهِ
 أَحْمِي بِهِ مَجْدَ اقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ
 جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلُجٍ مَرَازِبَةٍ
 مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعَاً
 أَسْدُ الْكِتَائِبِ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ زَحَفُوا
 يَمِشُونَ فِي حَلْقِ الْمَآذِي سَابِغَةً
 هُنَاكَ إِنْ تَسْأَلِي تُنَبِّئِي بِأَنَّ لَنَا
 هَلْ تُرْجَعَنَّ إِذَا حَايَيْتُ تَسْلِيمِي^١
 عِنْدَ الْحِفَاطِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ
 وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ
 مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بِتَاجِ الْمُلْكِ مَعْمُومٍ
 جُرْدٍ عَتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَاعِيمٍ^٢
 وَالْمُرْمَزَانَ لِفَخْرٍ أَوْ لِتَعْظِيمٍ^٣
 وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ التَّرِكِ وَالرُّومِ^٤
 مَشَى الضَّرَاعِمَةَ الْأُسْدِ اللَّهَامِيمِ^٥
 جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عَزَّ الْجَرَائِمِ^٦

فغضب هشامٌ وقال له: ^٧أعلى تفخر وإيائي تُنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك، غطوه في الماء، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج، ثم امر باخراجه ونفاه الى الحجاز.

الفاظ الشاعر في هذه الابيات جزلة قوية واسلوبه متين رصين، مقتنياً في ذلك اسلوب الجاهليين، لأنه يفخر بنفسه وبقومه، إنه يقسم بأنه ليس ضعيفاً ولا جباناً عند

١. رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة. وقيل: رامة: هضبة او جبل. رثم: (بكسر اوله وهمز ثانيه وسكونه وقيل بالياء غير مهموز)، واد لمزينة قرب المدينة وقيل: على ثلاثين ميلاً من المدينة وقيل: على اربعة برد من المدينة او ثلاثة (والبريد فرسخان او اربعة فراسخ).
٢. جحاجح: جمع جَحَجَحَ: السيد الكريم. بُلُجٌ: جمع أبلج: واضح، منور. المرازبة: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس. جُرد: جمع أجرد: قصير الشعر، صفة الفرس اذا كان جيداً. عتاق: جمع عتيق: هنا الكريم. مساميح: ج مسمَح: كثير السباح. مطاعيم: جمع المِطْطَعام: كثير الاضياف والقرى. ٣. المرزمان: الكبير من ملوك العجم.
٤. الكتائب: جمع الكتيبة: الجيش. الروع: الخوف والمراد هنا يوم الحرب.
٥. حَلَقٌ: ج حَلَقَةٌ وهي هنا الدرع. المآذئ: الدروع السهلة اللينة أو البيضاء. اللهميم: جمع لهميم: وهو السابق الجواد من الخيل والناس.
٦. جُرْثُومَةُ الشيء: اصله.
٧. المصدر نفسه ٤/٤٢٣.

الدفاع عن الحمى والحياض. ان اصله كريم ولسانه لاذع مسموم كحد السيف، يدافع به عن شرف اجداده ومجدهم اثمهم كرام مساميح مطاعيم في السلم وأسد الكتائب في الروع اذلوا الترك والروم واخضعوهم، فاصله يفوق الاصول جميعاً وشرفه يفوق شرف الجميع.

٣. موسى شهوات

هو موسى بن يسار المدني مولى قريش، وقيل موسى بن سهم واما لقب بشهوات لأنه كان سؤالاً ملحفاً، اذا رأى شيئاً أعجبه من متاع أو ثياب تباكى، فاذا قيل له: مالك؟ قال اشتهي هذا، فلقب بشهوات^١ وقيل غير ذلك كان اصله من آذربيجان. جاء في الشعر والشعراء:^٢ «ليس بالمدينة شاعرٌ من الموالي إلا وأصله من آذربايجان. ثم عدّ اسماعيل بن يسار وأخاه وموسى شهوات و ابا العباس الاعمى» ومن شعره:

ليس فيما بدالنا منك عيبٌ عابه الناس غير أنك فاني
أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للناس

يقول سزكين: هو موسى بن يسار المدني، أخوه اسماعيل بن يسار، عاش بالمدينة في العصر الاموي وانتقل ايضاً الى دمشق، لثلي شعره في مدح مشاهير الشخصيات بها، و نظم ايضاً في الغزل والهجاء.^٣

وجاء في الاغاني، قال موسى شهوات لمبعد (المغني المعروف في عصر الشاعر):
أمدح حمزة بن عبدالله بن الزبير بأبياتٍ وتُغني فيها و يكون ما يعطينا بيني وبينك؟ قال
نعم فقال موسى:^٤

حمزة المبتاع بالمال الثنا ويرى في بيعه أن قدغبن
فهو إن أعطى عطاءً فاضلاً ذا إخاءٍ لم يكدره بمن^٥
وإذا ما سنةً مجحفةً برت الناس كبري بالسفن^٦

١. معجم الادباء ١٠/١٩٩؛ الاغاني ٣/٣٤٧؛ الشعر والشعراء، ص ٤٨١.

٢. الشعر والشعراء، ص ٤٨٢؛ الاغاني ٣/٣٤٧.

٣. تاريخ التراث العربي ٣/١٨٥. ٤. الاغاني ٣/٣٥٢. ٥. المن: الاذني.

٦. مجحفة: مهلكة. برى: قسّر. السفن: كل ما يُنحِتُ به الشيء أو يُلين من فأسٍ أو قُدومٍ.

حَسَرَتْ عَنْهُ نَقِيًّا عِرْضُهُ ذَا بِلَاءٍ عِنْدَ مُخْنَاهَا حَسَنٌ^١
 نُورٌ صَدِيقٍ بَيِّنٌ فِي وَجْهِهِ لَمْ يُسَدِّسْ ثَوْبَهُ لَوْنُ الدَّرَنِ^٢
 كُنْتُ لِلنَّاسِ رَبِيعًا مُغْدِقًا سَاقِطَ الْأُكْنَافِ إِنْ رَاحَ أَرْجَحَنُ^٣

ان ممدوح الشاعر وهو حمزة جواد معطاء يشترى ثناء الشعراء بالمال و يعتقد أن ما يعطيهم من جائزة أقل بكثير مما يقدمون له من ثناء لكنه لا يتمكن على أكثر من ذلك و هو الرابع إذن في هذه الصنفقة، إنه كريم جواد معطاء لا يكدر عطائه بمن أو أذى و اذا ما أصاب الناس قحط و بخلت السماء عليهم بمائها، و الارض بنباتها، و يرتهم بري القدرح فان حمزة لا يرضن عليهم بماله و ثرائه. إنه يقدمه إليهم باراً بهم، عطوفاً عليهم، مرتاحاً لما يقدم من الندى و المعروف، صان نفسه عن الرذائل و حملها على الفضائل، انه كسحاب الربيع اذا اشتدت به الريح تجمع و ثقل و أمطر مطراً غزيراً في كل مكان و هذا كناية عن كثرة عطائه و غزارة معروفه و زيادة نداءه. أسلوبه جميل و ألفاظه سهلة على السمع إلا بمحفنة و مخناها، و ارجحن.

نموذج آخر من شعره

في مدح^٤ سعيد بن خالد

أَبَا خَالِدٍ أَعْنِي سَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ أَخَا الْعَرَفِ لِأَعْنِي ابْنَ بِنْتِ سَعِيدِ
 وَلَكُنْتِي أَعْنِي ابْنَ عَائِشَةَ الَّذِي أَبُو أَبِيهِ خَالِدُ بْنُ أَسِيدِ^٥
 عَقِيدُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيدِ^٦

١. حَسَرَتْ: كشفت. مُخْنَاهَا: أهلاكها.

٢. الدَّرَنِ: الوسخ، يقول: أنه صادق و بعيد عن الخبائث.

٣. مغدقاً: كثير المطر، كثير العطاء. راح اليوم: اشتدت ريجه. ارجحن: السحاب بعد تبسق اي نُقِلَ و مال بعد علوه.

٤. العقد الفريد ١/ ٢٢٠؛ النسب لابن سلام، ص ٢٠٠؛ الاغانى ٣/ ٣٥٢؛ الشعر والشعراء، ص ٤٨٢.

٥. جاء في معجم الادباء: «كلا ابويه» بدل «ابو ابويه» ١٠/ ١٩٩.

٦. عقيد الندى: كريم الطبع. جاء في العقد الفريد «عميد الندى» بدل «عقيد الندى».

دعوه دعوه اُنكم قد رَقْدْتُمْ
فِدَىً لِلكَرِيمِ الْعَبْسِيِّ ابْنِ خَالِدٍ
تَرَى الْجَنْدَ وَالْجُنَّابَ يَغْشُونَ بَابَهُ
فِيُعْطِي وَلَا يُعْطَى وَيُغْشَى وَيَجْتَدِي
قَتَلْتُ أَنْسَاءً هَكَذَا فِي جَلُودِهِمْ
يَعِيشُونَ مَا عَاشُوا بِغَيْظٍ وَإِنْ تَحْنُ
فَقُلْ بُغَاةَ الْعُرْفِ قَدَمَاتِ خَالِدٍ
وَمَا هُوَ عَن أَحْسَائِكُمْ بِرَقُودٍ
بَنِيٍّ وَمَالِي طَارْفِي وَتَلِيدِي
بِحَاجَاتِهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ^١
وَمَا بَابُهُ لِلْمَجْتَدِي بِسَدِيدٍ^٢
مِنَ الْغَيْظِ لَمْ تَقْتُلْهُمْ بِجَدِيدٍ
مَنَايَاهُمْ يَوْمًا تَحْنُ بِحَقُودٍ
وَمَاتَ النَّدَى الْأَفْضُولَ سَعِيدٍ

مدوح الشاعر ابو خالد كريم معطاء ينشط الى المعروف و يرتاح الى الندى، انه والندى اخوان لا يرضى الندى بغيره بديلاً، إذا حرص الافراد على ما لهم وحافظوا عليه فانه يهلكه بتقدمه الى العاقين والسائلين ممن يغشون بابه رغبة في قضاء حاجاتهم، انه يؤثرهم على نفسه حباً بالندى والمعروف ورغبة في الكرم والاحسان وبهذا يغيب اعداءه و حساده. فهم ان عاشوا عاشوا و نار المحقد تأكل احشاءهم و ان حانت مناياهم ماتوا بغيبضهم وحقدهم وانايتهم. ان جود المدوح وكرمه متأصل فيه قد ورثه عن ابيه فابوه كان كريماً جواد معطاء أيضاً بل كان عين الكرم والجود والعطاء فلما مات مات الجود والندى معه الا ما كان من كرم ابنه سعيد و جوده و نداء.

٤. ابو العباس الاعمى (م ٥١٣٦)

اسمه السائب بن فروخ مولى بنى الدُّنْل، عربيّ بالولاء وليس بالنسب و أصله من آذربايجان في ايران فهو من جملة الشعراء الموالي و من أبناء الذين اسلموا من غير العرب و هو من شعراء بني أمية المعدودين المقدّمين مدحهم و تشيع لهم و مال بهواه إليهم. وكان يقيم في مكة وله اشعار كثيرة في مدح بني أمية و هجاء ابن الزبير من ذلك يحرضهم على حربه:^٣
أَبْنِي أُمِّيَّةَ لَا أَرَى لَكُمْ شِبْهًا إِذَا مَا التَّقَتِ الشَّيْعُ

١. الجُنَّاب: جمع الجانب وهو الغريب.

٢. اجتدى فلاناً: طلب منه حاجته.

٣. انظر: الاغانى ١٦/٢٩٨.

يقول فؤاد سزكين^١: إنه عاش في مكة وكان محدثاً وشاعراً، مدح الامويين وكانت له معارك مع عمر بن ابي ربيعة والبُعَيْثِ المجاشعي، عندما زار مكة، ادرك نهاية بني امية و نظم ابياتاً في رثاء سقوط دولتهم و توفي بعد سنة ١٣٦هـ.

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل ينتبج شيعة بني امية فينفيمهم عن المدينة و مكة فيبلغه أن ابا العباس الاعمى يكاتب الأمويين و يتجسس لهم و يمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه و أنه ضرير فعفا عنه، فنفاه الى الطائف، فهجاه و هجا سائر بني اسد بأبيات منها:^٢
 بنى أسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا و تحمقوا

روايته الحديث^٣

«روى ابو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث و روى عنه جمع من المحدثين المشهورين مثل عطاء و عمرو بن دينار و حبيب بن ابي الثابت.

قال ابو العباس عن سعيد بن المسيب عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص) اسباغُ الوضوء على المكاره، و اعمال الأقدام الى المساجد، و انتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلاً.

قال حبيب ابن ابي ثابت: سمعت ابا العباس الاعمى الشاعر، يحدث عن عبد الله بن

عمر.

قال: جاء رجل الى النبي (ص) يستأذنه في الجهاد، فقال (ص): أحيى والداك؟

قال: نعم، قال (ص): فيهما فجاهد».

اكثر شعره في المدح والهجاء خاصة مدح بني امية، و هجاء آل الزبير و تحريض

بني امية عليهم، من ذلك قوله:^٤

أبني امية لا أرى لكم	شبهاً اذا ما التفقت الشيع
سعةً وأحلاماً اذا نزع	أهل الحُلومِ فضرها النزع
الله أعطاكم و إن رغمت	من ذاك أنفُ معاشر رتعوا

٢. تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٦٢.

١. تاريخ التراث العربي ٣/١٧١.

٤. المصدر نفسه، ص ٣٠١، ٣٠٢.

٣. الاغانى ١٦/٢٩٨.

أبني أُمِّيَّةَ غَيْرِ أَنْكُمُ والنَّاسُ فِيهَا أَطْمِعُوا طَمِعُوا
 أَطْمَعْتُمْ فَيَكُمُ عُدُوَّكُمْ فسَمَا بِهِمْ فِي ذَاكُمُ الطَّمَعُ
 فَلَوْ أَنْكُمُ كُنْتُمْ لَقَوْلِكُمْ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا لَكُمْ رَجَعُوا
 عَمَّا كَرِهْتُمْ أَوْ لَرَدَّهُمْ حَذِرُ الْعَقُوبَةِ إِنَّهَا تَزَعُ

إن بني أمية ليس لهم شبه ولا مثيل، إنهم ذوو أحلام وصبر لا يغرب عنهم حلمهم إذا ما غربت أحلام الآخرين، فضلهم الله على غيرهم بما أعطاهم من العقل والنعم، ولصبرهم وحلمهم طمع فيهم اعداؤهم ولو انهم كانوا مثل اعدائهم لما ظمعوا فيهم ولكفوا عن اذاهم وايصال الضرر اليهم حذر العقوبة ومغبة المصير السيء.

هجاؤه الزبيرين^١

«إنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ لما غلبَ على الحجاز، جعل يتتبع شيعَةَ بني مروان، فينفهم عن المدينة ومكة، حتى لم يبقَ بها أحدٌ منهم، ثمَّ بلغه عن أبي العباسِ الأعمى الشاعرِ بُدُّ من كلامه، وأنَّه يَكاتبُ بني مروان بعوراته، ويمدحُ عبدَ الملك، وتجيئه جوائزُه و صلَّاته، فدعا به، ثمَّ أغلظَ له، وهمَّ به، ثمَّ كلَّمَ فيه وقيلَ له إنَّه: رجلٌ مضرورٌ، فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يقولُ يهجوُه ويهجوُ آلَ الزبيرِ»:

بني اسد لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تُكذِّبوا وتُحَقِّقُوا
 بُعِيدَاتِ بَيْنِ خَيْرِكُمْ لَصَدِيقِكُمْ وَشَرِّكُمْ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيَطْرُقُ^٢
 متى تُسألُوا فضلاً تَضُنُّوا وتَبْخَلُوا ونيرَانُكُمْ بِالشَّرْفِهَا تُحَرِّقُ
 إذا استبقتُ يوماً قريشُ خرجتمُ بني أسد سَكَنُوا وَذو المجد يسبقُ
 تجيئون خلفَ القومِ سُوداً وجوهكم إذا ما قريشُ للأضاميمِ أَصْفَقُوا^٣
 وما ذاك إلا أن للوم طابعاً يسلوحُ عليكم وَشَمُه ليس يخلقُ

١. المصدر نفسه ١٦/٣٠٤ و ٣٠٥.

٢. في اللسان ذيل بعد: ابو عبيد: يقال لقيته بعيدات بين اذا لقيته بعد حين. وهو من ظروف الزمان التي لا تتمكن ولا تستعمل الا طرفاً.

٣. الاضاميم: الجماعات واحداها اضمامة. واصفقوا لهم: جاؤهم من الطعام بما يشبعهم.

٥. بشار بن برد (م ١٦٧هـ)

صور لنا الشعراء الذين اشتهروا في هذا العصر الحياة العباسية بكل نواحيها تصويرا رائعا، و قد ساعدتهم على ابرازها بشكل فني دقيق ثقافتهم الواسعة و ذهنيتهم الحادة و خيالهم المرهف، فقد خلفوا لنا ما انتجت قرائحهم من آيات الادب و ألوان الفن ما لم يسبقهم اليها من تقدمهم من الشعراء في العصور السابقة و ما لم يبلغ شأوهم من جاء بعدهم في العصور التالية، وليس من السهل - ونحن نتوخى الايجاز - ان نترجم لكل شعراء العربية الفرس في هذا العصر في هذا البحث المحدود، لذلك سنقتصر بحثنا على تناول أهمهم وأشهرهم حسب درجاتهم الفنية و اهميتهم الأدبية متوخين فيه الجانب الادبي التعليمي العفيف ما وسعنا ذلك و من هؤلاء بشار بن برد.

مولده ونشأته: انحدر بشار من اسرة فارسية اصيلة في النسب عريقة في الشرف تتصل جذورها بالأسر الفارسية المالكة. وقع جده يرجوخ وابنه برد في اسر المهلب بن ابي صفرة فاهداهما الى زوجته فاخذا يعملان في خدمتها بالبصرة ثم زوجت بردا واهدته الى امرأة من بنى عقيل فولدت له زوجته بشارا سنة ٥٩٦هـ، و قد حرم بشار النظر من حين ولادته فلم ير ضوء الشمس والدنيا قط. و قد حرم بشار من حسن الصورة أيضاً، فقد ولد اعمى لم ير الضوء ولم يرزق جمال الصورة فكان قبيح المنظر، ولكنه اذا كان قد فقد بصره و حسن صورته فقد رزق ذكاء حادا، و بصيرة متوقّدة، و ذهنا قويا، و حسا مرهفا وله في ذلك قوله:^١

عَمِيْتُ جَنِينًا وَ الذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجَنُتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلْمِ مَوْئِلا
نشأ في ربوع بنى عقيل في البصرة و ترعرع بين ظهرانيتهم يرهف سمعه الى لغتهم الفصيحة و يستوعب بذهنه القوي و ذكائه الحاد كل ما يسمعه منهم من الأقوال و الأخبار و الأشعار، فلا عجب اذن من ان يفتق لسانه بقول الشعر وهو في اول الصبا و ريعان الشباب. يقول ابوالفرج الاصبهاني نقلا عن ابي عبيدة «قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو مخشى معرفة لسانه».^٢

١. العصر العباسي الاول، ص ٢٠٢ شوقي ضيف؛ الاغانى ٣/ ١٣٥. ٢. الاغانى ٣/ ١٣٥.

اخذ بشار يتردد على حلقات العلم والمعرفة والادب و يتصل بشيوخها حيث كانت البصرة آنذاك من حواضر العلم والثقافة، وكانت مركزا للشعر وأساطين الشعراء وخاصة شعراء الغزل والهجاء كجرير والفرزدق. طُبع بشار على الهجاء والغزل واخذ ينظم فيهما دون تخرج وعفة لسان، وقد كان يهجو الناس بلاذع الهجو وبذىء القول يقول ابو الفرج: قال بشار «الشعر وهو صغير فاذا هجا قوما جاؤا الى ابيه فشكوه فيضربه ضربا شديدا، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الضرير، اما ترجمه، فيقول: بلى والله انى لارحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه اليّ، فسمعه بشار فطمع فيه فقال له: يا ابت ان هذا الذى يشكونه منى اليك هو قول الشعر، وانى ان ألمتُ عليه اغنيتك و سائر اهلى^١، فان شكوى اليك قتل لهم: أليس الله يقول: «ليس على الاعمى حرج» فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله له بشار؛ فانصرفوا وهم يقولون: فقه برد أعيظ لنا من شعر بشار»^٢.

خرج بشار بهجائه اللاذع الذى نال به اعراض الناس، وغزله المكشوف عما تفرضه التقاليد، وتوجهه العفة ويمليه الحياء، مما أثار غضب الناس و حفيظة الفقهاء فشكوه الى ولاية الامر واستعانوا بهم عليه حتى اخرجوه من البصرة فذهب الى واسط واتصل بيزيد بن عمر بن هبيرة يمدحه ويمدح قومه من القيسيين فاغدق عليه العطاء وشمله بالرعاية فوجد بشار عنده ضالته وبغيته.

وبعد ان خلت البصرة من خصومه رجع اليها يمدح ولاتها وينال جوائزهم، ثم استهوته حياة بغداد المتهتكة و لذات الدنيا فيها فقصدها و اقام فيها واتصل بالمنصور يمدحه ويثنى عليه ثم بخالد بن برمك يغالى في مدحه وهذا يزيد في عطائه، وبعد ان تولى المهدي زمام الخلافة جعله من سهاره وندمائه وهو يغالى في الهجاء والغزل المكشوف (الماجن) فامر المهدي ان يكف عن ذلك فاستجاب له مكرها، ولما حلت محنة الزندقة وابتلى اصحابها على يد المهدي كثر خصوم بشار فعاد الى البصرة خائفا، ويروى انه هجا

١. نشأ بشار في عائلة فقيرة فقد كان أبوه طيَّانا يعيش من صناعة اللبن وكانت هذه المهنة آنذاك لا تدر على صاحبها ما يكفيه للحياة المرفهة.

٢. الاغانى ٢٠٨/٣.

الخليفة المهدي و وزيره يعقوب بن داود في مراثيه التي رثى فيها اصدقاءه و اصحابه الذين قتلهم المهدي فقال:^١

بني أميَّة هُجِّوا طال نومكم انَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتُكمْ يا قومُ فالتَّمِسُوا خليفةَ اللهِ بين الرِّقِّ والعُودِ

فبلغ المهدي ذلك فقبض عليه و جلده سبعين سوطا مات بسببها سنة ١٦٧هـ و قد تجاوزت سنُّه السبعين عاما.

ثقافة بشار و عقيدته: تقدم أن بشارا ولد في البصرة ونشأ و ترعرع فيها و هي آنذاك احدى حواضر العلم و مراكز المعرفة فاستطاع بدقة فكره، و وحدة ذهنه، و بما تهيأ له من البيئة العلمية ان يوسِّع معارفه و يغدِّي عقله حتى احتلَّ درجة مرموقة في هذا الميدان؛ بل ربما احتلَّ درجة السبق فيه حتى عدّه صاحب الاغانى من المتكلمين الستة الذين كانوا يتواجدون في البصرة فقال «كان في البصرة ستة من اصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، و اصل بن عطاء، و بشار الاعمى، و صالح بن عبدالقدوس، و عبدالكريم بن ابى العوجاء، و رجل من الازد، قال ابواحمد يعنى جرير بن حازم، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي و يختصمون عنده، فاما عمرو و اصل فصارا الى الاعتزال، و اما عبدالكريم و صالح فصححا التوبة، و اما بشار فبقى متحيرا، و أما الأزديّ فقال الى قول السُّمَيْيَّة^٢، وهو مذهب من مذاهب الهند».^٣

هذه الرواية تشهد باضطراب عقيدته اضافة إلى سعة ثقافته و غزارة عقله و قوة فكره و ربما كان لثقافته و عمق فكره اثر في اضطراب عقيدته. فقد ذكر عنه انه كان يؤيد فكرة اصل بن عطاء ثم خالفها مما اوقع الخصومة بينها و ربما نسبوه الى الزندقة لانه يروى عنه انه فضّل النار على التراب بقوله.

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ و النارُ معبودةٌ منذ كانتِ النارُ

١. الاغانى ٢٤٥/٣.

٢. قوم من اهل الهند من الدهريين و هي نسبة الى سومنات و سومنات بلد بالهند. و الدهريون هم الذين ذهبوا إلى قدم الدهر و اسناد الحوادث اليه و هم قومٌ ملحدون لا يؤمنون بالآخرة.

٣. الاغانى ١٤٦/٣ دار احياء التراث العربى و ١٣٩/٣ دارالكتب العلمية.

إن ما يلفت نظر الباحث عند سبره حياة بشار امران، الاول: إنه كان مسلماً لكنه كان مضطرب الأهواء لا يستقر على رأي ولا يقبل رأياً دون دليل مقنع فكانت ثقافته و عقله يُمليان عليه ان يجادل و يطالب بالدليل لذلك كان يشترك في محاورات كلامية و جدال عنيف مع المتكلمين والفقهاء كواصل بن عطاء مطالباً اياهم بالدليل المؤيد لاقوالهم، ومن هنا ينسبون اليه بعض المعتقدات و ينسبونه الى اصحابها، فنسبوه الى المعتزلة مرة و الى الشيعة اخرى و الى الزندقة نالته كما لم يبرّئوه من الزردشتية و المانوية كل ذلك بسبب عدم استقرار آرائه من جهة و خصومتهم له بسبب لسانه اللاذع من جهة اخرى. الثاني: انغماسه في المحرمات و عدم اكثرائه بامور الدين و العرف الاجتماعي فقد اطلق العنان لنفسه و لسانه يشبع رغباته المادية و لذاته الجسدية غير مقتصد في ذلك لايراعي للعادات الاجتماعية حرمة و لا يقيم للدين وزناً، اطلق العنان للسانه يصور فيه حياته العابثة و تتبعه الموبقات من جهة، و يسلط سياط هجائه اللاذع على اعراض الناس ببذية الكلام من جهة اخرى. ان هناك عوامل نفسية داخلية كانت تتنازع وجدان بشار و ضميره يمكن ان نلاحظها في امرين مهمين:

١. احساسه بالنقص المزري بسبب قبح خلقته و بالنقص الاجتماعي بسبب ولائه للعقبيلين.
٢. شعوره بالترفع على الاخرين بما طبع عليه من ذهن و قّاد و عقل غزير و ثقافة واسعة و ادب جمّ.

فنون بشار الشعرية

مع ان عقيدة بشار و آراءه كانت مضطربة غير مستقرة و لاناضجة الا ان شخصيته الشعرية كانت متكاملة احتلت المرتبة الاولى بين الشعراء حيث كانت تتدفق حيوية و نشاطاً. كان بشار ذا مواهب و مؤهلات و ملكات خاصة ساعدته على قول الشعر مبكراً و القبض على ناصيته عندما تمكن منه، مما حدا بالنقاد و الادباء كابي عبيدة و الاصمعي ان يفرقوه على سائر الشعراء قال فيه ابو عبيدة: «حكّم بشار لنفسه بالاستظهار انه قال ثلاثة عشر الف بيت جيد، و لا يكون عدد الجيد من شعراء الجاهلية و الاسلام هذا العدد، و ما احسبهم

برزوا في مثلها»^١ وقال فيه الاصمعي: «وبشار سلك طريقا لم يسلك واحسن فيه و تفرّد به وهو اكثر تصرّفا و فنون شعر و اغزر و اوسع بديعا»^٢ و هذا الإطراء و التعريف من هؤلاء النقاد انما يدل على كفاءة بشار الادبية و استعداده الفني و تمكنه من ناصية الشعر، لقد صوّر لنا بشار بشعره ماشاع في عصره من فكري الجبر و الاختيار خير تصوير و مثل لنا بيئته البصريّة خير تمثيل و قد برّرنا فيه سلوكه السييء بانه مجبور عليه غير مختار فقال:^٣

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُحَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهْذَبَا
اريدُ فلا أُعْطَى وَأُعْطَى فلم أُرِدْ وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ اِنَالَ الْمُغَيَّبَا
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَحَلْمِي مُبْلَغِي وَأُضْحِي وَمَا اِعْقَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا

إنّه خُلِقَ عَلَى غير ارادة منه، ولو أنّه كان قد خُيِّرَ في ذلك لاختار الطُّهْرَ و النِّقَاءَ و الخَيْرَ و الاخْلَاصَ. إنّه يريد شيئاً و يسعى جاهداً ليناله لكنّه لا يحصل عليه، كما أنّه ينال شيئاً لم يردّه. إنّ علمه مهما كان واسعاً و عقله مهما كان مدبّراً قاصران عن أن يرصدا الغيب و يعلمنا علمه. إنّه يُصْرَفُ عن هدفه و غايته التي يقصدها و الحال أنّه يعلم أنّ عقله يستطيع أن يوصله اليها، و هذا كله مدعاة للعجب و الاستغراب.

لقد اكثر بشار من جيّد الشعر و جاء بمعان مليئة بالصور الحية لم يسبقه اليها احد و ما ذلك الا لانه كان اعمى فقد املاها عليه عماه اولا و دقّة حسّه و ثقافته الواسعة ثانيا منها قوله متغزلا:

يا قومُ اذْنِي لبعْضِ الحِيسِ عاشقَةٌ و الاذُنُ تعشَقُ قَبْلَ العَيْنِ احيانا
قالوا مِن لاترى تهْذي فقلْت لهم الاذُنُ كالعينِ تُوفِّي القلبَ ما كانا
إنّه يعشَقُ بأذنه لابعينه لأنّ الاذُنَ تعشَقُ احيانا قَبْلَ العينِ و لا تُبْصِرُ كالعَيْنِ تنقل الى القلب ما هو موجود من الحقائق، و إنّ قلبه لا يزهد في حبّ عبدة و إنّ زهده العذال فيه، فهو يقول لهم: أتركوا قلبي و مَنْ يرتضيه و يختاره، لأنّ العاقل يُبصر بالقلب لا بالعين، و العينان - إذا عشق الانسان و أحب - لا تُبصران الا بالقلب، و كذلك الاذنان لا تسمعان الا منه.

١. الاغانى ١٣٦/٣.

٢. المصدر نفسه، ص ١٤٥.

٣. ديوان بشار ١/٢٤٦ و ٤/١٩٤.

ومنها أيضاً:

يُزهدني في حبِّ عبدة مَعَشَرُ قلوبهم فيها مخالفةٌ قلبي
فقلت: دَعُوا قلبي وما اختارَ وارْتَضَى فبالقلبِ لبالعينِ يُبصرُ ذواللبِّ
وما تُبصرُ العينانِ في موضعِ الهوى ولا تسمعُ الاذنانِ الا مِن القلبِ
ولم يقتصر بشار في جيد الشعر وصوره المتدفقة حيويةً وجمالاً على الغزل فقط بل

شملت صورته الحية كل اغراضه فمنها قوله في المشورة.^١

اذا بلغَ الرَّأْيُ المشورةَ فاستعِنُ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أو نَصِيحَةٍ حَارِمٍ^٢
وما خَيْرُ كَفِّ امْسَكَ الغُلُّ اُخْتَهَا وما خَيْرُ سَيْفٍ لم يُؤَيِّدَ بِقائِمٍ^٣
وخلَّ الهونينا للضعيفِ ولا تُكُنْ نَوُوماً فانَّ الحزْمَ ليس بِناثِمٍ^٤
وحارِبِ اذا لم تُعْطِ الا ظلامَةً سَباباً الحروبِ خَيْرٌ من قَبُولِ المَظالمِ^٥
وأدنِ على القُرْبَى المُقَرَّبِ نَفْسَهُ ولا تُشهِدِ الشورى امرئاً غيرَ كاتمٍ
فانك لا تَسْتَطِرِدُ الهَمَّ بالمُنَى ولا تَبْلُغُ العَلْيَا بِغَيْرِ المكارِمِ^٦
اذا كُنْتَ فَرِداً هَرَكَ القومُ مُقْبِلاً وإن كنتَ اذُنِي لم تَنْفُرْ بِالعَزائمِ^٧
وما قَرَعَ الاقوامَ مِثْلُ مُشَيِّعٍ أريبٍ ولا جَلِي العَمَى مِثْلُ عَالِمٍ^٨

١. الديوان ١٧٢/٤؛ الاغانى ٣/١١١.

٢. معنى بلغ الرأي المشورة: عرض له من الأشكال ما يدعو الى المشورة.

٣. الغلُّ، بضم العين: القيد. قائم السيف: ما تشد عليه اليد، وهو المقبض الذي تضم عليه الأصابع.

٤. لما أشار عليه بترك الهونينا، وهي التهاون بالأمر المهمة، جعلها من شأن الضعيف، وكأنَّ حاصل ذلك أنه يأمره بالحزم، فلذلك فرَّع عليه قوله: فان الحزم ليس بناثم، فشبّه الحزم بشخص يقظان على طريقة المكنية، وأثبت للحزم ما هو من لوازم الانسان، وهو نفي النوم.

٥. الظلامه، بضم الظاء: ما يظلم به، وهى فعلة معينة من الظلم. والشبا، بالفتح جمع شباة، وهى طرف السيف.

٦. العليا: بفتح العين و بالمد اسم للعلو وقصره للضرورة.

٧. هرَّك: نبك، شَبَّهَهُمُ بكلاب يستضعفون المنفرد، وهذا تحريض على اتخاذ البطانة وأهل العصية.

٨. المشيع، بفتح التحتية: الشجاع المقدم.

أخوك الذي إن ربته قال إنما
 إذا كنت في كل الذنوب معاتياً
 فغس واحداً أو صلأ خاك فإنه
 إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
 أربتُ وإن عاتبته لأن جانيه^١
 صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه
 مُقارِفُ ذنب تارةً ومُجانبه
 ظمئتُ، وأئى الناس تصفو مشاربُه؟

لايستغني الانسان في الحادثات والخطوب والملآت عن المستشار الحازم النصيح،
 لأنه لايقوى منفرداً بعقله على مقابلتها، فإذا ما عرض له من المعضلات والمشكلات ما
 يدعو الى المشورة شاوَرَ و حاوَرَ وأصغى واستمع وهو في ذلك بين أمرين «بين صواب يفوز
 بثمرته أو خطأ يُشارِكُ في مكروهه»^٢ لأن الكف الوحيدة والسيف العديم المقبض ليس
 فيها خير و فائدة. ولايجدر الضعف والحمول إلا بالانسان النؤوم والحامل الضعيف،
 والجدير بالانسان الحرّ القوي والعاقل الحازم أن يأبى الجور والظلم و يدافع عن حقه و
 حوضه، والدِّفاع عن الحقوق خيرٌ من قبول المظالم. والجدير بالعاقل الحازم أن يقرب
 الأقارب المخلصين من مجالس شوراها ويشركهم فيها وأن يُبعد عنها من لايعتمد عليهم ومن
 لايكتمون الأسرار في ضمائرهم و نفوسهم. وبالتمني والآمال لايستطيع الانسان أن يدرك
 غايته و يُبعد عن نفسه أسباب الهمّ والغمّ و دواعي الحزن والألم، فالمنازل الرفيعة السامية
 لاثنال إلا بالأعمال الجبارة العظيمة، وهذه لاتتأقن للانسان إلا إذا كان أريباً حازماً ذا
 إرادة، حليماً عاقلاً ذا عزيمة.

والصديق المخلص هو الذي إذا رأى منك ما يريبه، لم يقطعك ولم يصرمك بل يبق
 على وده واخلاصه، وإذا عاتبته ولمته صافاك الودّ والصدق والاخلاص. ثم إن الانسان
 العاقل الحازم لايلوم إخوانه على كل صغيرة وكبيرة لأن الانسان مهما بلغ من الصدق
 والصفاء والطهر والتقاء مُعرّض للنقص والخطأ، وإذا كان الأمر كذلك فالانسان إما أن
 يعيش واحداً بعيداً عن خطأ الآخرين وأذاهم أو أن يعاشرهم مرتكبين ذنوباً مرة او

١. المعنى: أخوك الذي ان رأى منك ما يريبه و علم منك الريبة لم يفضحك و لم يقطعك بل
 ينسب الريبة الى نفسه كأنه هو المريب وحده، وإن عاتبته لم يجمد على العتاب بل يلين جانبه.

٢. ديوان بشار ١٧٢/٤ الهامش.

مقلعين عنها مبتعدین منها مرة أخرى، والنتيجة أنّ الانسان، في هذه الحياة، إذا لم يشرب الكدر من الماء أحياناً لا يمكنه شرب الصفو منه دائماً فيضماً وبيضماً وبيقاً ضمناً.

٦. أبو نواس (م ١٩٩هـ)

إختلف المؤرخون في نسب أبي نواس هل هو مؤلّد او فارسيّ الأصل، والصحيح أنّه ولد في الاهواز من أمّ و أب فارسيّين سنة ١٣٩هـ وبعد وفاة ابيه نقلته أمّه الى البصرة وكان عمره آنذاك ست سنوات^١ فاسلمته الى الكتاب، فحفظ القرآن وكثيراً من الشعر، وعندما شبّ اخذ يختلف الى حلقات الدرس يستمع الى اللّغويّين والرّواة و يأخذ عنهم، ثم ساقه القدر إلى ان يذهب الى الكوفة مع والبة بن الحباب احد شعرائها ومجانها المشهورين فسلك طريقته في التّهتك والمجون،^٢ ثم رجع الى البصرة، ينهل من علوم اللّغويّين والفقهاء والمفسرين والمحدثين والرواة وخاصة خلفاً الأحرر حتّى قيل انه «كان عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفنّي بصيراً بالاختلاف صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه»^٣. كان أبو نواس ايضاً مطلعاً على الثقافة الهندية واليونانية والفارسية، ولاشك أنّه كان اكثر عمقاً في الاخيرة لانه كان فارسيّاً يحسن الفارسيّة كثيراً. بعد ذلك انتقل إلى بغداد يتّصل بالأمرء وخاصة البرامكة ويلمّ بحاناتها واديرتها ثمّ اتّصل بعد ذلك بالأمين ينادمه و يشاركه عبثه وهوه وفجوره، الأمر الذي استغلّه المأمون عندما صمّم على حرب أخيه الأمين.

«يعدّ ابانواس من أعاجيب عصره في الشعر، إذ كان يحظى بملكات شعريّة بديعة، و هي ملكات صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم واللّغة العربيّة الأصيلة، حتّى قال الجاحظ: «ما رأيت أحداً أعلم باللّغة من أبي نواس»^٤.

كان أبو نواس رجلاً «يقدره اهل عصره، ويكبرونه في كل ما عرض له من الفنون، فكان اهل اللّغة يقولون: إنّهُ أعلم الناس بالغريب، وكان الأدباء يقولون: إنّهُ ارقّ الناس أدباً

١. الاغاني ١١/٢٥ دار الفكر: العصر العباسي الاول، ص ٢٢١، شوقي ضيف.

٢. الاغاني ١٥/٢٥-٢٠. العصر العباسي الاول، ص ٢٢٢.

٤. العصر العباسي الاول، ص ٢٢٧.

وأحسنهم شعراً، وكان الخلفاء والوزراء والأمراء يُعجبون بظرفه، وحسن حديثه، وكان الشعراء يعترفون له بالزعامة والتفوق، وكان الفقهاء والمحدثون لا يأنفون أن يحدثوه وأن يتحدثوا عنه»^١.

كان أبو نواس مستهتراً خليعاً يتطلب اللذة المادية العاجلة مسرفاً في ذلك اشدّ الإسراف غير مكترثٍ بالأمور الدينية والنظم الاجتماعية وقد أمضى عمره مستمتعاً بلذات الحياة ما استطاع مجاهراً فيها، لا يخشى سخط الأمراء ولا انكار الفقهاء، وفي ذلك يقول:^٢

عَدَوْتُ عَلَى اللذَاتِ مِنْهَتِكَ السِّتْرِ وَأَفْضَتْ بِنَاتِ السَّرِّ مِنِّي إِلَى الْجَهْرِ^٣
 وهَانَ عَلَيَّ النَّاسُ فِيمَا أُرِيدُهُ بِمَا حِثُّتُ فَاسْتَغْنَيْتُ عَنْ طَلَبِ الْعَذْرِ
 رَأَيْتُ اللَّيَالِي مُرْصِدَاتٍ لِمُدَّتِي فَبَادَرْتُ لِدَاتِي مُبَادَرَةَ الدَّهْرِ
 رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِكَأْسٍ وَشَادِنٍ تَحْيِرٌ فِي تَفْصِيلِهِ فَطِنُ الْفِكْرِ
 وقوله أيضاً:

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقَلِّ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ
 وَبُحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُفَى فَلَاخِرَ فِي اللذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

كان أبو نواس يفضل الحياة المترفة الحضريّة على شظف الحياة البدويّة وخشونتها، وكان يذمّ الحياة البدويّة ومعيشتها في شعره كثيراً لكنّه لم يكن في ذلك متعصباً على العرب، لأنّه لم يكن يهتمّ بالشعوبيّة التي كان يوجع بها عصره، فأنّه لم يكن متعصباً لا للعرب ولا عليهم،^٤ فمن ذمّه الحياة البدويّة قوله:^٥

وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الْأَعْرَابِ هُوًّا وَلَا عَاشِئًا فَعَيْشُهُمْ جَدِيدُ
 ذَرِ الْأَبْلَانَ يَشْرِبُهَا أَنْاسٌ رَقِيقُ الْعَيْشِ عِنْدَهُمْ غَرِيبُ
 فَأَطْيَبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ سَمُولُ يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقِي أَرِيبُ

١. حديث الاربعاء ٤٥/٢ الطبعة العاشرة.

٢. تاريخ الادب العربي، الاعصر العباسيّه: ١٦٥ عمر فروخ، ديوان ابي نواس، منشورات الشركة العالمية للكتاب. الجزء الاول ص ٤١٦. ٣. بنات السّر: الاسرار

٤. راجع: العصر العباسي الاول، ص ٢٢٧ شوقي ضيف.

٥. تاريخ الادب العربي، الاعصر العباسيّه: ١٥٩ عمر فروخ، ديوانه ٧١/١.

أنه لا يرتضي الحياة الجاهلية البدوية، لأنها لا توافق هوى نفسه ولا تلائم عواطفه ولا تُرضي حاجة من حاجاته الى الحياة وجمالها، لأن العيش فيها جديب والترف والنعيم فيها غريب.

شعره

شعره في اللهو

يعتبر أبو نواس من الشعراء المحدثين الذين مثلوا الإتجاه الأدبي في أوائل العصر العباسي وصوروا لنا الحياة فيه خير تصوير، فقد كان مثلاً لعصره يُعجب به معاصروه و يقدّمونه على شعراء عصره جميعاً الأبخاراً.^١ طرق جميع فنون الشعر مدحاً وهجاءً ورثاءً ووصفاً وطردها، لكنه اشتهر بالغزل بالمؤنث والمذكر و وصف الخمر خاصة، فهو يعتبر شاعر الخمر في العصر العباسي؛ بل شاعر الخمر على الاطلاق. فقد اجاد في وصفها اجادة لم يسبقه احد اليها ولم يقل احد بعده مثل ما قاله فيها بحيث اصبحت الخمر وما يتعلق بها فناً مستقلاً في شعره.^٢

لم يكن أبو نواس يمتاز من معاصريه إلا بشعره في الخمر وباغراقه في الخلاعة والمجون و حسن مداعبته في شعره للنساء والغلمان، وكلّ هذا كان يأتيه من رقة طبعه وخفة روحه. انه كان يحب الخمر حباً لا يحيط به الوصف يجبها حباً هو الدين او ما يشبه الدين بل قلّ أنه كان يقدّسها «كان يُدمنُ شربها، يشربها اذا امسى و يشربها اذا اصبح وربما عكف عليها ليله و يومه وربما عكف عليها الأسبوع كلّ»،^٣ فاستمع اليه كيف يُثني عليها في هذه القطعة السهلة الرقاقة:^٤

أثْنِ عَلَى الخمرِ بِأَلَيْهَا	وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَشْيَائِهَا
لَاتَجْعَلَ المَاءَ لَهَا قَاهِراً	وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا
كَرْخِيَّةٌ قَدْ عُنُقَتْ حِقْبَةً	حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا

١. حديث الاربعاء ٥١/٢، ٥٦، ٥٧. ٢. المصدر نفسه، ص ٨٣.

٣. المصدر نفسه، ٨٧/٢؛ راجع: الاغاني ١٩/٢٥، دارالفكر.

٤. حديث الاربعاء ٨٧/٢.

فلم يَكْدُ يُدْرِكُ خَمَّارُهَا منها سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا
دارتْ فَأَحْيَيْتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ نفوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَائِهَا
والخمرُ قد يشرِبُهَا مَعَثَرٌ لَيُسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

إذا أمعنا النظر في قراءة هذه القطعة وجدنا الفاظها حلوة جميلة، بريئة من التكلف مع ما لها من نظم بسيط و معنى 'دقيق يمثل عقل أبي نواس و عقل عصره المتفلسف. إنه يريد منك بجلو لفظه و سهولة معناه أن تنعت الخمر بأفضل أسمائها، فكأنها أفضل ما في الوجود، إنه يريد من شاربيها أن يوازن بينها وبين الماء في المزاج فلا يسلطها على مائها ولا يسلط الماء عليها، إنها من بنات الكرخ قد مضى عليها مدة طويلة من الزمن فلم يبق منها إلا روحها بل آخر روحها، فهي قد صفت و تطهرت، فلم يدرك منها خمارها إلا آخر نفسها، وإن من يعشقونها يذوبون حسرة و تلهفاً عليها، وهم عندما يتذوقونها تحييم كما تحيي المعشوقة عشاقها، فالجدير يمثل هذه الخمر أن يشربها من هو اهل لها و من يعرف قدرها، ولكن ربما يشربها قوم لا يدركون قيمتها ولا يفقهون كنهها، وهذا الوصف للخمر وصف صوفي و إن لم يكن أبو نواس صوفياً، فخمره هذه خمر روحانية لاحسية. وكما نرى فإن أول القطعة، على ماله من المجون والحلاعة والإستهتار بالدين وعدم الإكتراث به يكاد يكون تسبيحاً لهذه الخمر و تقديساً لها، فهو «على براءته من ألفاظ المجون أشد ألوان المجون»^١.

شعر أبي نواس بشكل عام و خاصة في موضوع وصف الخمر، سهل الالفاظ واضح المعاني، متين الاسلوب و هو حين يصف الخمر او يتغزل «يريد ان يتخذ - ويتخذ الناس معه - في الشعر مذهباً جديداً، و هو التوفيق بين الشعر و بين الحياة الحاضرة، بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة، و معنى ذلك العدول عن طريقة القدماء، لأن هذه الطريقة كانت تلائم القدماء، و ما ألفوا من ضروب العيش، فاذا تغيرت ضروب العيش هذه، و جب أن يتغير الشعر الذي يتغنى بها، فليس يليق بساكن بغداد، المستمتع بالحضارة و لذاتها، ان يصف الخيام و الأطلال، او يتغنى الإبل و الشاء، و إنما يجب عليه أن يصف القصور و الرياض، و يتغنى الخمر و القيان، فان فعل غير ذلك فهو كاذب متكلف. اراد

أبونواس ان یشرع للناس هذا المذهب، فجدّ فيه ووفّق التوفیق كلّه، واتخذ وصف الخمر وما إليها من اللذات وسيلة الى مدح طریقته الحديثة وذمّ طريقة القدماء^١ فهو اذن من اصحاب الجديد وحامل لوائه^٢، فأقرأ ابیاته التالية واحكم علیه بعد ذلك:^٣

لا تبك لیلی ولا تطرب الی هند	وأشرب علی الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا أهدرت من حلق شاربها	أجدته حمرتها فی العین والحدّ
فالخمر یاقوتة والكأس لؤلؤة	فی كفّ جاریة ممشوقة القدّ
تسقیك من یدها خمراً ومن فیها	خمراً هالك من سكرین من بدّ
لی نشوتان وللندمان واحدة	شیء خصصت به من بینهم وحدي

قطعة شعرية جميلة اللفظ جميلة المعنى، لیس فیها من الألفاظ ما تمجّه الأذن او ینبو علی السمع، إنّها من أحسن شعر أبی نواس بل من أحسن الشعر، فیها تشبیهات حلوة جميلة یتلو بعضها بعضاً، ویکمل بعضها بعضاً فی ألفاظ حلوة متخيرة، ونسق منظم رقرق یمعث علی الإعجاب، ویشیر الأحساس ویبئی بالترف والحضارة ورغد العیش ولطافته، و فیها موسیق تصل الی القلب قبل أن تسمعها الأذن. إنّهُ لا یطرب الی لیلی ولا الی هند وإنّما یشرب خمرة كالورد من یدساقية كالورد جمالاً وبهاء أو أكثر، یشرب خمراً تُعیره حمرتها فی الحدّ والعین اثر إحدارها من حلقه، فهي یاقوتة والكأس لؤلؤة فی كفّ ساقية كالغصن والورد حسناً ورقة واعتدالاً، إنّهُ فی سكرین سكر الهوی وسكر الخمر، وهذان السكران قد خصّ بهما وحده.

وله فی ذلك ایضاً:^٤

عاج الشقی علی رشم یسائله	وعُجتُ أسأل عن حمارة البلید
یئکب علی طلل الماضین من أسد	لا درّ درّک قلّ لی من بنو أسد
ومن تمیم ومن قیس ولقهما	لیس الأعارب عند الله من أحد

١. حدیث الاربعاء ٢/٩٠، راجع: ص ٩٤، ٩٦.

٢. المصدر نفسه، ص ١١٨.

٣. المصدر نفسه، ص ٩١؛ دیوانه ١/٢٩٣، دارالکتاب اللبنانی.

٤. المصدر نفسه، ص ٩٦؛ دیوانه ١/٢٩٤.

لا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ
 كَمْ بَيْنَ نَاعِيَةِ خَمْرٍ فِي دَسَاكِرِهَا
 دَعَا ذَا عَدِمَتْكَ وَأَشْرَبَهَا مُعْتَقَةً
 مِنْ كَفِّ مُضْطَمِرِ الزُّنَارِ مُعْتَدِلٍ
 أَمَا رَأَيْتَ وَجُوهَ الْأَرْضِ قَدْ نَضُرَتْ
 حَاكِ الرَّبِيعِ بِهَا وَشَيْئاً وَجَلَّلَهَا
 وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصُوبُ إِلَى وَتَدِ
 وَبَيْنَ بَاكِ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنْتَضِدِ
 صَفْرَاءَ تَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 كَأَنَّهُ غُصْنٌ بَانَ غَيْرُ ذِي أَوْدِ
 وَأَلْبَسَتْهَا الزَّرَائِي نَثْرَةَ الْأَسَدِ
 يَبَانِعِ الزَّرْهِرِ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحْدِ

أبو نواس في هذه القطعة يذمّ القديم ويذمّ القدماء ويذمّ من يتبع طريقتهم ويتكلفها، إنّه يذمّ بني أسد ويذمّ من يبكي على أطلالهم ويتبرم بهم جميعاً، إنّه لا يكتفي بدمّ بني أسد بل يذمّ تيمماً وقيساً بل العرب جميعاً، إنهم ليسوا بشيء، إنّه يذمّ القديم ويدعو على من يتكلفه، إنّه يحث على الحياة الجديدة ويمدحها، إنّه يريد من الشعراء بل من الناس جميعاً أن يأخذوا بالجديد وينظروا إلى ما يحيط بهم من رياض وجنان وورود ورياحين وقصور وما فيها من بساتين وما تحوي من الترف وأسباب النعيم وما تضمّ من جوارٍ يسحرن في اللفظ واللحظ ومن غلمان كالورد إشراقاً وجمالاً وكالغصن قامة وأعتدالاً، إنّه يريد من الشعراء أن ينظروا إلى الطبيعة وما فيها من جمال، أن ينظروا إلى بغداد وما يحيط بها من الحانات وأماكن اللهو وما تقدّمه هذه من أسباب الفرح والبهجة واللذة والسرور، إنّه يريد منهم أن يصفوا ذلك ولا يشغلوا أنفسهم بوصف الطلول البالية والصحراء المجذبة الخالية، وبوصف الحياة القديمة.

شعره الجدّي

إذا وازنّا بين شعر أبي نواس في الغزل و وصف الخمر او بعبارة اخرى بين شعره في اللهو والمجون والعبث أي في الشعر الذي يقصد فيه إلى بيان اللذات واحاسيس النفس واهوائها و عواطفها، و بين شعره الجدّي الذي يتصل بالخلفاء والأمراء و اشراف الناس والذي يريد فيه إلى مدحهم ورتائهم، اذا وازنّا بين الأوّل وبين هذا الأخير، وجدناه في الأوّل حُرّاً يرسل العنان لنفسه ويطلقها على سجيّتها، و وجدنا شعره في هذا النوع يُظهر شخصيّته واضحة ناصعة جليّة يفهمها العامة والخاصة؛ اما في الثاني فهو يتأثر بطريقة القدماء من حيث اللفظ

والاسلوب والوزن والقافية لأنه يتحدث الى اشراف الناس، فهو يتخير اشرف اللفظ، و ينتخب أمتن الأسلوب ويتقيد في الوزن والقافية بأمر تجعله في مستوى ممدوحيه، وترفعه عن سائر الناس فلا يهتم بعد ذلك أن يفهمه العامة أو لا يفهموه.

وبعارة أخصر وأقصر، انه اذا هزل في شعره و تكلم الى العامة كان صادقاً في قوله فظهر شخصيته واضحة ناصعة، اما اذا تكلم الى الخاصة فهو يتأثر بطريقة القدماء بل يلبس شخصياتهم، فاقراً هذه الابيات من قصيدة يمدح فيها الرشيد و وازن بينها وبين ما تقدم من شعره في اللذة والعبث فهل ترى شهاً بين النوعين؟ قال يصف ناقته التي حملته الى ممدوحه الرشيد:^١

لَمَّا نَزَعْتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالصُّبَا	وَخَدَّتْ بِي الشَّدِيئَةَ الْمِدْعَانُ
سَبَطْتُ مَشَافِرَهَا دَقِيقٌ خَطْمُهَا	وَكَأَنَّ سَابِرَ خَلْقِهَا بُنْيَانُ
وَاحْتَارَهَا لَوْنُ جَرَى فِي جَلْدِهَا	يَقَعُّ كَقِرْطَاسِ الْوَالِدِ هِجَانُ

وأقرأ معي ايضاً آبيات قصيدته التي يمدح فيها العباس بن عبيدالله بن ابي جعفر المنصور، في هذه الابيات يصف فرسه الذي حمله الى العباس فيقول:^٢

يَكُنْتَسَى عُنُوثُهُ زَبْدًا	فَنَصِيلَاهُ الْإِ نَخْرَةَ
ثُمَّ يَغْتَمُّ الْحِجَاجُ بِهِ	كَاعْتِمَامِ السُّفُوفِ فِي عُشْرَةَ
ثُمَّ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ كَمَا	طَارَ قُطْنُ النَّدْفِ عَن وَتْرِهِ
كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاوَلَهَا	وَهُوَ لَمْ تُنْقَضْ قُوَى أَشْرِهِ

ثم يتخلص الى مدح العباس قائلاً.

ثُمَّ أَدْنَاهُ إِلَى مَلِكِي	يَأْمَنُ الْجَانِي لَدَى حُجْرِهِ
تَأْخُذُ الْأَيْدِي مَظَالِمَهَا	ثُمَّ تَسْتَذْرِي إِلَى عَصْرِهِ
كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ	مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفْرِهِ
فَأَسْأَلُ عَن نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ	حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطْرِهِ

١. حديث الاربعاء ٢/١٢٢؛ ديوانه ٢/٤٦٩.

٢. المصدر نفسه، ص ١٢٣؛ ديوانه ١/٤٩٧.

إذا قرأت هذه الابيات بل ابيات كلا القصيدتين بل قصائده المدحية في الخلفاء والامراء والاشراف فسترى أنها لا تمثل شخصية أبي نواس وروحه المرححة ونفسه الخفيفة وعاطفته؛ بل لا تمثل الحياة البغدادية وحضارتها المترفة التي كان يعيشها أبو نواس. فشخصيته اذن تنمو في اتجاهين «اتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعة دون ان يشتط في التجديد، واتجاه يجدد فيه تجديداً في معانيه والفاظه».^١

عندما علت سنّ أبي نواس وخطه الشيب واستولى عليه الضعف وتحلّلت قواه اخذ يُفِيق من سكره و غفلته و يفكر في الحياة والموت والبعث والنشور، فاخذ يزهّد في الدنيا ويردّد انغام التوبة وطلب المغفرة منها ما قاله في مرضه الذي مات فيه:

يا ربّ إنّ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً	فلقد عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
أدعوكَ ربّي كما أَمَرْتَ تَضَرُّعاً	فاذا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَنُ ذَايَرِحَمُ
إنّ كان لا يَرجوكَ الأَحمِسُنُّ	فمن الَّذي يَرجو وَيَحْشَى الجُحْرِمُ
مالي اليك وسيلةٌ إلا الرّجا	وجميلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

٧. القاضي الجرجاني^٢ (م ٥٣٣٧هـ)

تحدثنا الروايات ان القاضي الجرجاني ولد في جرجان سنة ٢٩٠هـ وعجم عوده فيها ولذلك نسب اليها. سُمّي علياً واتخذ بعد ذلك كنية ابي الحسن، واشتهر بالقاضي. فهو ابو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني المشهور بالقاضي، تطوف وهو في ريعان شبابه في فارس والعراق والشام، وكانت الدولة الاسلامية آنذاك قد بلغت ذروة ازدهارها العلمي. فقد تعددت فيها المدارس التي كانت تروج بالعلم وتزدحم بالعلماء، كان التطواف العلمي آنذاك سبيل التعلم والدرس وكسب المعرفة، فطاف ادبينا في الحواضر الاسلامية، ولقي مشايخ العلم والادب و اخذ منهم العلوم والآداب و نبغ فيها فصار علماً واماماً.^٣

١. العصر العباسي الاول، ص ٢٢٧ شوقي ضيف.

٢. نبتة الدهر ٣/٤؛ الوساطة بين المتنبّي وخصومه: مقدمة الكتاب: الكامل ٦٧/٩، معجم الادباء ١٤/١٤ وما بعدها.

٣. انظر: الوساطة بين المتنبّي وخصومه: مقدمة الكتاب.

برع بالفقه والتفسير واشتغل بالتاريخ أيضاً وله فيها آثار^١، ثم هو شاعر بارع مجيد، و كاتب مترسل، و ناقد نافذ البصيرة في النقد، قال فيه صاحب اليتيمة: «حَسَنَةُ جَرَّجَانِ، و فرد الزمان، و نادرةُ الفلك، و انسانٌ حَدَقَ العلم، و دُرَّةُ تاجِ الادب، و فارسُ عسکر الشعر، يجمع خطَّ ابنِ مُقَلَّة، الى نثرِ الجاحظ و نظمِ البحرى و ينظم عقد الاحسان و الاتقان في كل ما يتعاطاه»^٢.

وقال ياقوت الحموى:^٣

«وُلِيَ قَضَاءَ القُضَاةِ بالرَّيِّ و له يقولُ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ: و قد أَنشَأَ عَهْدًا للقاضي عبدِ الجبَّارِ عليّ قاضي الرِّيِّ:

إِذَا نَحْنُ سَلَّمْنَا لَكَ الْعِلْمَ كُلَّهُ فَدَعْنَا وَهَذِي الكُتُبُ نُحْسِنُ صُدُورَهَا
فَأَتَهُمْ لَا يَرْتَضُونَ بِجَمِينَتِنَا بِجَزَعٍ إِذَا نَظَّمْتَ أَنْتَ شُدُورَهَا»

اتصل القاضي الجرجاني بالصاحب بن عباد فكان بينهما وفاق و وداد أدى الى استحكام الصلة بينهما و تقويتها برغم ما كان بينهما من اختلاف الرأي في المتنبي، فلما ألف الصاحب رسالته في الكشف عن مساوئ المتنبي الف الجرجاني كتابه القيم الوساطة بين المتنبي و خصومه.

كان بلاط الصاحب ميداناً لرجال الفضل و الادب و حلبةً لفرسان الشعر، و مَحَطَّ رجال العلماء و الشعراء و الادباء «مثل ابي الحسن السلامي و ابي بكر الخوارزمي و ابي طالب المأموني و ابي القاسم الزعفراني و ابي الفضل الهمداني و غيرهم، و لكن القاضي... كان آثرهم عنده و اقربهم منه لفضله و مكانته، و علو منزلته، و شرف نفسه»^٥.

١. معجم الادباء ١٤/١٩.

٢. يتيمة الدهر ٤/٣-٢٥؛ معجم الادباء ١٤/٢٢؛ وفيات الاعيان ٣/٢٧٨.

٣. معجم الادباء ١٤/١٥-١٦.

٤. الجزع و الجزع: ضرب من الخرز، و قيل: هو الخرز اليماني، و هو الذي فيه بياض و سواد. شُدُور جمع شُدْر: قطع من الذهب يُلْقَط من المعدن من غير اذابة الحجارة. و المعنى: اَنْ كَلَامَنَا أَشْبَهَ بِالْجَزَعِ و نظمك الكلام أشبه بقطع الذهب.

٥. الوساطة بين المتنبي و خصومه: ص ٥٥، من المقدمة.

اغمض عينيه غمضته الاخيرة بالري سنة ٥٢٣٧ عن عمر ناهز ٧٦ عاماً و نقل جثمانه الى مسقط رأسه مدينة جرجان لتضمه بين اضلعها ثانية.^١

آثاره الادبية

ذكر ياقوت في معجم الادباء (١٤/١٨) أن له آثاراً منها: تفسير القرآن الكريم وكتاب تهذيب التاريخ وكتاب الوساطة بين المتنبّي و خصومه.
كان القاضي الجرجاني اماماً عالماً و شاعراً و نائراً و فقيهاً و متكلماً، لكنه اشتهر بالشعر و شعره رصين السبك، على النفس مع سهولة و عذوبة في المقطعات و القصائد على السواء، و هو شاعر مكثّر وله ديوان شعر و أحسن فنونه الحكمة و الغزل، أما نثره فسهلٌ ممتنعٌ مرسلٌ حسن التقسيم و المعالجة للموضوعات التي يتناولها.^٢

نماذج من شعره

من شعره في العلم على العالم:

يقولون لي: فيك انقياضٌ وإنما	رأوا رجلاً عن موقبِ الدُّلِّ أحجماً ^٣
أرى الناس: من دانا هم هان عندهم	ومن أكرمته عزة النفس أكرماً
إذا قيل: هذا مشربٌ، قلتُ قد أرى	ولكن نفس الحُرِّ تحتملُ الظماً ^٤
ومأكلٌ برقي لاح لي يستفزني	ولأكل أهل الأرض أرضاً منعباً ^٥
ولم أقبض حقّ العلم إن كنتُ كلماً	بدا طمع صيرته لي سلماً ^٦
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً

١. وفيات الاعيان ٢٨١/٣.

٢. وفيات الاعيان ٢٧٨/٣؛ تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٥٨٦/٢.

٣. الانقباض: الانكماش. قلة رغبة في الانبساط الى الناس. أحجَم: تأخّر، أمسك نفسه عن

الاقدام. ٤. الظّما: الظّما: العطش.

٥. لا أركض وراء كل أمل يبدو لي، ولا أرضى التفضل على من أرى انسان اتفق.

٦. صيرت العلم سلماً أي وسيلة إلى كل حاجة أو مطعم مادّي.

أَشَقِيْ بِهْ غَرَسًا وَأَجْنِيَهْ حَنْظَلًا؟
 لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
 إِذْنَ فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا^١
 وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفْسِ لَعُظِّمًا
 وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ، وَدَنَسُوا
 مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَبَّهَا

إنه عالي الهمة، أبي عزيز النفس، مكرم لها لا يخالط الناس كل الناس، ولا يرد كل مشرب كما يردونه؛ بل يصبر ويتحمل الظم لأنه حرّ أبي لا يستفزه الطمع ولا يغريه بريقه، لأنه يمين العلم إذا جعل الطمع سلماً للوصول الى غاياته وأهدافه. انه لا يبتذل نفسه في خدمة الآخرين؛ بل يعتقد بأنه يجب أن يكون مخدوماً بأعتباره عالماً. إنه تعب كثيراً وتحمل صعوبات شتى في تحصيل العلم، وشقي في ذلك كثيراً، فليس من الجدير به ان يقطف ثمرات العلم باذلال نفسه ايضاً، فإذا كان الامر كذلك فانتخاب طريق الجهل كان أجدر به وأحزم. ولو أن العلماء صانوا العلم وعظّموه لعظم ولصانهم وعظّمهم ولكنهم اهانونه بطمعهم ودنسوا محيائه باذلال نفوسهم فذلت نفسه وتجهّم محيائه.

وقال في البعد عن الناس:

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى
 لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الْعِلْمِ.....
 صِرْتُ لِابْنِ بَيْتٍ وَالْكِتَابِ جَلِيْسًا
 مِ قَلَمٍ أَبْتَعِ سِوَاهُ أَنْيْسًا^٢
 سِ فِدْعُهُمْ وَعِشٌّ عَزِيْزًا رَيْسًا
 إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ

إنه لم يذق لذة العيش و حلاوته إلا بعد أن تذوق حلاوة القراءة وأحس براحة الجلوس الى الكتاب والإصغاء الى نغياته العذبة و موسيقاه الجميلة، فصار العلم أعز شئ عنده فأصبح جليس البيت ولم يبتغ أنيساً وسميراً وجليساً غير العلم والكتاب، فالعز والكرامة في رأيه في منادمة الكتاب ومجالسته والأنس به والإصغاء اليه، أما مخالطة الناس فهي الذل والصغار بعينه.

١. طال شقائي وتعبي في غرس العلم (في التعلم و أنا صغير) فلا أريد أن أقطف الآن ثمراته باذلال نفسي للآخرين (يعني تسخير علمي للاستفادة المادية من الناس). لو كنت أرغب في مثل ذلك لما كنت تعلمت (فأنا استطيع باذلال نفسي للآخرين أن اتكسب منهم كثيراً، سواء أكنت عالماً أو جاهلاً).

٢. فلماذا أبتغي مونساً سوى العلم.

وله في الحكمة آيات: ^١

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال شيئا حراما
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
على الغنى: نفسي الأبيّة والدهر
إذا قيل هذا اليسر وأبصرت دونه
مواقف خير من وفوفي بها، العسر

إنه يأبى أن يصل إلى الغنى بإذلال نفسه وإهانتها لأن إذلالها وإهانتها هو الفقر نفسه، ما أجمل هذا الشعور الذي يتمتع به الشاعر إن نفسه أبيّة لا ترضى بإذلالها في سبيل الحصول على الدرهم والدينار أو الأبيض والأصفر، و زمانه زمان لا يقدر إلا الخانع والخاضع ولا يملأ إلا يد الذليل المتملق، فإذا قيل له دونك اليسر ورأى أنه لا يصل إليه إلا بإذلال نفسه فالعسر في نظره خير منه وعزة النفس وكرامتها في رأيه اسمى منه و افضل. ومن غزله الرقيق قوله: ^٢

أفدي الذي قال وفي كفّه
الورد قد أينع في وجنتي
مثل الذي أشرب من فيه ^٣
قلت: فلي باللثم يجنيه ^٤

انموذج من نشره «الشعر»

أنا أقول - أيدك الله - إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والزواية والذكاء، ثم تكون الدرّبة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولدي، إلا أنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر، فاذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها، والعلّة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب الا رواية، ولا طريق للرواية الا السمع، وملاك الرواية الحفظ، وقد كانت العرب تزوي وتحفظ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض، كما قيل: ان زهيراً كان راوية أوس، وإن الحطيئة راوية زهير، وإن أبا ذؤيب راوية

١. وفيات الاعيان ٢٧٩/٣. ٢. يتيمة الدهر ١٠/٤.

٣. مثل الذي أشرب من فيه كناية عن ريق المحبوب بها.

٤. الورد في الخد حمرة الخد، جمال الوجه لا يقطف باليد كورد الشجر بل يلثم بالفم.

ساعداً بن جُوَيَّةَ، فبلغ هؤلاء في الشعر حيثُ تراهم... وهذه أمور عامة في جنس البشر
لا تخصيص لها بالأعصار، ولا يتّصف بها دهرٌ دون دهر...»^١.

٨. عضد الدولة^٢ (م ٥٣٧٢)

هو ابو شجاع فنا خسرو، الملقب بعضد الدولة و تاج الملة، ابن ركن الدولة الحسن بن بويه
الديلمي، اعظم ملوك آل بويه شأنًا، واجلهم قدرًا، ووسعهم مملكة. تسلط على ما كان بيد
ابيه وأعمامه، وضم اليه الموصل وبلاد الجزيرة. وهو اول من خوطب بالملك في الاسلام، و
اول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة. من اعماله المهمة بناء البهارستان العسدي
ببغداد^٣ و بناء المشهد الشريف لقبر امير المؤمنين علي (ع) و قد دفن فيه. كان عضد الدولة
على جلالته في الملك، اديبًا، شاعرًا، محبًا للفضلاء، والشعراء، محتفياً بهم. صنّف له الشيخ
ابو علي الفارسي الفسائي^٤ كتاب الايضاح والتكملة في النحو. و صنّف له ابو اسحاق^٥

١. الوساطة بين المتنبّي و خصومه، ص ١٥.

٢. انظر: وفيات الاعيان ٥٠/٤ و مابعدھا؛ يتيمة الدهر ٢٥٧/٢.

٣. و هو كما يستفاد من ظاهر عبارة ابن خلكان قد كان عامراً الى القرن السابع الهجري.

٤. هو ابو علي، الحسن بن احمد، الفارسي النحوي، ولد بمدينة فسا سنة ٢٨٨ و دخل بغداد سنة
٣٠٧ و قدم حلب بحضرة سيف الدولة الحمداني سنة ٣٤١ و جرت هنا بينه و بين المتنبّي مجالس.
ثم انتقل الى بلاد فارس و صحب عضد الدولة ابن ركن الدولة و علت منزلته عنده حتى قال
عضد الدولة: «انا غلام ابي علي الفسوي في النحو» (وفيات الاعيان ٨٠/٢-٨٢).

٥. هو ابو اسحاق الصابي ابراهيم بن هلال بن ابراهيم، من الشعراء الكتاب كان كاتب الانشاء
ببغداد عن الخليفة و عن عزالدولة بختيار بن معز الدولة الديلمي، و تقلد ديوان الرسائل
سنة ٣٢٩ هـ كانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بما يؤمله، فحقد عليه، فلما قتل عزالدولة
و ملك عضد الدولة اعتقله سنة ٣٦٧ فشفع فيه بعض عيال بلاطه سنة ٣٧٠ فعمل بأمره
كتاب التاجي في اخبار الدولة الديلمية. و قيل لعضد الدولة انه قال في جواب صديق
كان قد رآه في شغل شاغل من الكتاب و سأله عما يفعل: اباطيل أتمقها، و اكاذيبُ الققها.
فهيج ذلك حقه، فلم يزل مبعداً في ايامه الى أن توفي سنة ٣٨٤ ببغداد، و رثاه الشريف الرضي
بقصيدته المعروفة و قد عاتبه الناس في رثائه صابئيا: فقال «أما رثيتُ فضله» (وفيات الاعيان
٥٤-٥٢/١).

الصَّابِي كتابه في اخبار بني بويه ونسبه الى لقبه «تاج الملة» فسماه بالتاجي. وقصده فحول الشعراء في عصره، ومدحوه بأحسن المدائح، منهم، ابوالطيب المتنبي، فقد مدحه بمدائح غراء ونال منه جوائز سنوية. من جملة ذلك قصيدته المشهورة الهائية^١ التي يقول فيها:

وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاها
ومَنْ مَنّا يَأْهُمُ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فَمِمْ وَيَنْهَاهَا
أبَا شَجَاعٍ بِفَارَسٍ عَضْدًا دَوْلَةَ فَنَّا خَسِرُوا شَهْنَشَاهَا
أَسَامِيٍّ لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَأَنَا لِدَةَ ذَكَرْنَاهَا
قال الثعالبي في منزلته الادبية:^٢

«كان على ما مكن له في الارض وجعل إليه من أزمة البسط والقبض وخص به من رفعة الشأن وأوتي من سعة السلطان يتفرغ للأدب ويتشغل بالكتب ويؤثر مجالسة الأدباء، على منادمة الأمراء ويقول شعراً كثيراً، وما أدري كم فصل بارع ووصف رائع قرأته للصاحب (بن عباد) في وصف عضد الدولة.»

ومن قوله:^٣

ليس شربُ الكأسِ الآفِي المَطْرِ وغناءٍ مِنْ جَوَارِيِ فِي السَّحَرِ
غَانِيَاتٍ سَالِبَاتٍ لِلنُّهْيِ نَاعِمَاتٍ فِي تَضَاعِيفِ الوَثْرِ
مُبرِزَاتِ الكَأْسِ مِنْ مَطْلَعِهَا سَاقِيَاتِ الرِّيحِ مَنْ فُاقَ البَشَرَ
عَضْدَ الدَوْلَةِ وَابْنَ رُكْنِهَا مَلِكِ الامَلَاكِ، غَلَّابِ القَدْرِ
سَهَّلَ اللّهُ لَهُ بُغْيَتَهُ فِي مُلُوكِ الأَرْضِ مَا دَارَ القَمَرِ
وَأَرَاهُ الخَيْرَ فِي اولَادِهِ لِيُسَاسَ المُلُوكُ مِنْهُ بِالغُرَرِ

١. ديوان المتنبي، ص ٥٥٤ بتحقيق الاستاذ عبدالوهاب عزّام - القاهرة ١٩٤٤ وقد مدحه بقصائد أخرى ومنها:

اروحُ وقد ختمتُ على فؤادي بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ
(وفيات ٥٢/٤ وديوانه، ص ٥٨٤).

٢. ينمة الدهر ٢٥٧/٢.

٣. المصدر نفسه ٢٥٩/٢؛ الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٧٢ ج ٧ ص ١١٤.

ان شرب الكأس لا يكون لذيذاً محبباً للنفس الا في الليالي الممطرة وقت السحر في جو مفعم بغناء الغانيات والحان الاوتار، هؤلاء الغانيات يسقين ملك الملوك وهو عضد الدولة. انه يدعو الله ليسهل له امنيته في الظهور على ملوك الارض ويُرِيه الخير في اولاده ليدبروا الملك ويسوسوه بعده.

٩. ابو الفتح البستي (م ٥١٠هـ)

هو ابو الفتح علي بن محمد البستي شاعر عصره و كاتبه، فتح عينيه على الدنيا في بُست (قرب سجستان) شرقي ايران، جنوبي خراسان سنة ٥٣٠هـ. وعندما شبَّ وعُجم عودُه بدأ يدرس علوم الدين، فنبغ في الحديث والشعر والكتابة، وبدأ حياته العلمية معلماً في بُست، ثم لبث أن أصبح كاتباً لدى باتيور (امير بست)، فلما استولى سبكتكين على بُست دخل البستي في خدمته مدة. وعندما اشفق أن يكدر حُسادُه ما بينه وبين سبكتكين استأذنه للذهاب الى بعض اطراف المملكة فارتاح سبكتكين لذلك، وشار عليه أن يذهب الى ناحية الرُخج (قرب نيشابور). فذهب اليها وبقي مدةً فيها، ثم استدعاه سبكتكين اليه مرة ثانية وبقي في خدمته حتى زمن ابنه محمود. وقد ساءت العلاقة بينه وبين هذا الاخير فذهب الى بلاد الترك، حيث توفي هناك في مدينة بخارى (أو زجند سنة ٥١٠هـ). ذكره صاحب اليتيمة قائلاً: ^٢ «هو صاحب الطريقة الأنيقه في التجنيس الانيس. البديع التأسيس وكان يسميه المتشابه، ويأتي فيه بكلّ طريقة لطيفة، وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغه قوله:

من كلّ معنى يكاد الميت يُفهمُه حُسناً ويعبده القرطاس والقلمُ

لبستي شعر كثيرٌ منه في الغزل والخمر ومنه مُلحٌ في الفقهيات والادبيات والطبيات
والفلسفيات والاخوانيات والشكوى والعتاب والدم والهجاء، والنجوميات. فن غزله: ^٣
يا يوسفَ الحُسنِ ليلي بعدَ فُرقتكم يحكي سني يوسفَ طولاً و تعذيباً

١. يتيمة الدهر ٤/٣٤٦ و ٣٤٧؛ شذرات الذهب ٣/١٥٨. ٢. يتيمة الدهر ٤/٣٤٥.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٥١.

والشأنُ في أنسني أرزقي من اجلِكُم
وله من تجاربه في الزمان قوله:

إذا غدا مَلِكٌ باللَّهِوِ مُشْتَعِلًا
أما ترى الشَّمْسَ في الميزانِ هابِطَةً
وله في الشكوى والعتاب قوله:

عفاءً على هذا الزمان فإنه
وكلُّ رفيقٍ فيه غيرُ مُوافقٍ
وله في الامثال والنوادر والحكم والمواعظ قوله:

بَيْنَ مَنْ يَعْطِي وَمَنْ يَأْ
فَقَيْدُ الْمُعْطِي سَبَاءٌ
وَعَلَى الْآخِذِ أَنْ يَشْكُرَ
وقوله ايضاً:^٣

دَمَامَةٌ أَوْ رِثَاةُ الْحُلَلِ
يَشْتَارُ مِنْهُ الْفَتَى جَنَى الْعَسَلِ^٤
وله في المطابقة والمجانسة اليد الطولى، فمن قوله:^٥

يَا أَيُّهَا الذَّاهِبُ فِي مَكْرِهِ
عَلَيْكَ بِالصَّحَّةِ عَنِ مَذْهَبِي
يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِ مَذْهَبِي

بِثَلِّ مَا قَدْ رَمَى إِخْوَانُكَ الذِّيْبَا^١
فاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
لَمَّا غَدَا بُرْجُ نَجْمِ اللَّهْوِ وَالطَّرْبِ^٢
زَمَانٌ عَقُوقٌ لِأَزْمَانٍ حُقُوقُ
وَكُلُّ صَدِيقٍ فِيهِ غَيْرُ صَدُوقٍ

١. يا من أرزقتي بعد فراقه وسلب الكرى عن عيني ببعده ان ليلى بعدك يحكى سنين بعاد يوسف طولاً وتعديباً إن مثلي فيك كمثل الذئب بالنسبة الى اخوان يوسف فكما أن اخوان يوسف اتهموا الذئب بأكل يوسف فالناس ايضاً يتهمونني فيك.

٢. المصدر نفسه، ص ٣٥٩ يقول الشاعر: اذا اصبح السلطان غافلاً عن رعيته لا يهتم بها مهملاً لأمرها فاحكم على ملكه بالويل والفناء والدمار ويأتي بدليل على ذلك وهو أن الشمس باعتبارها أعلى الكواكب تنزل الى مكان هابط عندما يصبح برج النجم غارقاً باللهو والطرب.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٦٩ و ٣٧٧ و ٣٧٩.

٤. الكامل ٥٨/٧.

٥. اشتار: استخرج.

منهاجى الحق وقع الهوى فهل لمنهاجى من هاجى^١
 اذا قنعت بميسور من القوت بقيت في الناس حراء غير ممقوت
 ياقوت يومى اذا ما در خلفك لى فلست امسى على در وياقوت
 افد طبعك المكدود بالجد راحة تجم و علله بشيء من المزح
 ولكن اذا أعطيت ذلك فليكن بمقدار ما تعطى الطعام من الملح
 لم يشتهر البستي بالشعر فقط بل كان له نثر كثير أيضاً يدل على تسلطه وتمكّنه من
 اللغة العربية، اسلوبه فيه اسلوب كتاب القرن الرابع يطفى عليه التكلف والتصنع ويلتزم
 فيه السجع كثيراً حيث لا يدع عبارة خالية منه، الامر الذي يؤدى الى ضياع المعنى في
 سبيل اللفظ.^٢

فأنه صاحب الطريقة الانيقة في التجنيس الأنيس، والبديع التأسيس وكان يسميه
 المتشابه وكان له حكمٌ وامثالٌ تعجب الادباء والحكماء في لحن قوله.

نيز من حكمه و امثاله^٣

لبستي عبارات قصيرة جرت مجرى الحكم والامثال تدل على سعة دائرة معارفه اضافة الى
 خبرته بالزمان واهله، اليك بعضها:

مَنْ أَصْلَحَ فاسِدَهُ، أَرْغَمَ حاسِدُهُ. مَنْ أَطَاعَ غَضِبَهُ، أَضَاعَ أَدَبَهُ. أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ
 لِلإِخْوَانِ مُذِلًّا. حَبِيبِكَ لِأَيِّعِيكَ. الأَثَارُ أَلْسِنَةُ الأَقْدَارِ إِذَا بَقِيَ مَا قَاتَكَ^٤، فَلَاتَأَسَّ عَلَى مَا
 فَاتَكَ. مَنْ حَسَنَ أَطْرَافَهُ، حَسَنَ أَوْصَافَهُ. مَنْ تَبَرَّجَ بِرُّهُ، تَأَرَّجَ ذِكْرُهُ.^٥ مَنْ كَانَ عَبْدَ الْحَقِّ
 فَهُوَ حُرٌّ. المراءُ يهدم المروءة.^٦ افراط التعاقل^٧ تناقل. أَحْصَنُ الجَنَّةِ لُزُومُ السُّنَّةِ.^٨ الفلسفة قُلٌّ

١. يتيمة الدهر ٤/٣٨٠. ٢. المصدر نفسه. ٣. يتيمة الدهر ٤/٣٤٨.

٤. اذا بقي ما قاتك: يعنى القوت من أجل الحياة.

٥. تَبَرَّجَ بِرُّهُ: اى انكشف خيره للناس فنالوا منه. تَأَرَّجَ ذِكْرُهُ: اصبح عاطراً.

٦. المراء: من راءى رثاءً و مراءةً: أرى الآخرين خلاف ما هم عليه.

٧. الافراط: الاكثار. التعاقل: التكلف في العقل.

٨. الجَنَّةُ: الدرع، السُّنَّةُ: الشريعة.

السَّنَفَهٗ. ^١ العَفْوُ يطمس الهفوَ. التصلَّفُ ترجمانُ التخلُّفِ. رَبٌّ مَعْبُوطٌ مَغْبُوطٌ. ^٢ اخوانُ هذا الزمانِ خَوَّان، الناسُ عبيدُ الخواطرِ. العقلُ جِهيدُ النقلِ، حدُّ العفافِ، الرضى بالكفافية.

١٠. مهيار الديلمي (م ٥٤٢٨هـ)

«ابوالحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور، كان مجوسياً فأسلم، ويقال إن اسلامه كان على يد الشريف الرضى أبي الحسن محمد الموسوي وهو شيخه، وعليه تخرج في نظم الشعر، وقد وازن كثيراً من قصائده. وكان شاعراً جزلاً القول، مقدماً على اهل وقته، وله ديوان شعر كبير يدخل في اربع مجلدات، وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده.

و ذكره ابوالحسن الباخري في كتاب دمية القصر، فقال في حقّه: هو شاعر، له في مناسك الفضل مشاعر...، وما في قصيدة من قصائده بيت، يتحكم عليه لؤ، وألئت، وهي مصبوبة في قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الزمان المذنب عن الذنوب».^٣

عرف مهيار بجزالة الشعر و رفته و طول النفس حتى تتجاوز قصائده مائة بيت، لا بد انه كان لنشأته مثقفاً بالثقافة الفارسية، كان يتبع طريقة استاذة - وهي طريقة القدياء - في قول الشعر من الوقوف على الاطلال و ديار الأحبة و الابتداء بالغزل الى وصف الرحلة في الصحراء قاصداً ديار الممدوح. يطغى على شعره الفخر بأصله الفارسي والتدين بالاسلام. كان مجاهراً بالتشيع لآل البيت (ع) يوحى لنا مدحه إشادة بهم بامتلاء قلبه حباً لهم وحقداً على اعدائهم، تطفح عاطفته الشعرية بالحب الصادق و الاخلاص الصافي مشوب بمرارة الحزن العميق، أنه يحبهم صادقاً، يحبهم بقلبه و روحه و افكاره. و من قصائده في مدح آل البيت (ع) القصيدة التالية.

١. الفلاسفة فلّ السفاهة: قطع السفاهة والقضاء عليها.
٢. المعبوط: الموت يأخذ الانسان شاباً. و مغبوط: من غبط غبطاً و غبطة: أى أن يتمنى أحد أن يكون حاله كحاله.
٣. وفيات الاعيان ٣٥٩/٥؛ الكامل ٤٥٦/٩؛ تاريخ بغداد ٢٧٦/١٣؛ البداية و النهاية ٤١/١٢؛ الشذرات ٢٤٢/٣؛ المنتظم ٩٤/٧؛ دمية القصر، ص ٧٦.

مدح آل البيت^١

لَمَّا اللَّهُ حَظِي كَمْ لَا يُجُودُ
وَكَمْ أَتَعَلَّلُ عَيْشَ السَّقِيمِ
لَيْنُ نَامٍ دَهْرِي دُونَ الْمُنَى
وَلَمْ أَكْ أُمَّدُ أَفْعَالَهُ
بِخَيْرِ الْوَرَى وَبَنِي خَيْرِهِمْ
وَإِكْرَامُ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ قَامَ
وَبَيْتٍ تَقَاصَرُ عَنْهُ الْبُيُوتُ
تَحْوُمُ الْمَلَائِكُ مِنْ حَوْلِهِ
أَلَا سَلُّ قَرِيشاً وَتُمْ مِنْهُمْ
وَقُلْ: مَا لَكُمْ بَعْدَ طَوْلِ الضَّلَالِ
أَتَاكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ فَاسْتَفَامَ
وَوَلَّى هَمِيداً إِلَى رَبِّهِ
وَكَدَّ جَعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ
وَسَمَاءَهُ مَوْئِيَّ بِإِقْرَارٍ مِنْ
فَلَيْتُمْ بِهَا، حَسَدَ الْفَضْلِ عَنْهُ
وَ قَلْتُمْ: بِذَاكَ قَضَى الْاجْتِمَاعُ
يَعِزُّ، عَلَى هَاشِمٍ وَالنَّبِيِّ
وَإِرْثُ عَلِيٍّ لِأَوْلَادِهِ
فَرِنْ قَاعِدٍ مِنْهُمْ خَائِفِ

بِمَا أَسْتَحِقُّ وَكَمْ أَجْتَدِي^٢
أَذِمُّ يَوْمِي، وَأَرْجُو غَدِي
وَأَصْبَحَ عَنْ نَيْلِهَا، مُقْعَدِي
فَلِي أَسْوَةٌ بِبَنِي أَحْمَدِ
إِذَا وَلَدَ الْخَيْرُ لَمْ يُوَلِدِ
وَ مَيِّتٍ تَوَسَّدَ فِي مَلْحَدِ
وَ طَالَ عَلِيّاً عَلَى الْفَرْقَدِ^٣
وَيُصْبِحُ لِلْوَحْيِ دَارَ النَّدِي
مَنْ اسْتَوْجَبَ اللَّوْمَ أَوْ فَنَدِ^٤
لَمْ تَشْكُرُوا نِعْمَةَ الْمُرْشِدِ؟
بِكُمْ جَانِثِينَ عَنِ الْمَقْصَدِ
وَ مَنْ سَنَّ مَاسِنَهُ يُحْمَدِ
لِحَيْدَرٍ بِالْخَبَرِ الْمُسْنَدِ
لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ لَمْ يُجْحَدِ
وَ مِنْ يَكُ خَيْرِ الْوَرَى يُحْسَدِ
أَلَا: إِنَّمَا الْحَقُّ لِلْمُقَرَّدِ^٥
تَلَاعَبُ تَيْمٍ بِهَا، أَوْ عَدِي!
إِذَا آيَةُ الْإِرْثِ لَمْ تُفْسَدِ
وَ مِنْ نَائِرٍ قَامَ لَمْ يُسْعَدِ

١. ديوان الشاعر ٢٩٩/١.
٢. لَمَّا اللَّهُ فَلَانًا: قَبَّحَهُ وَلَعَنَهُ.
٣. الْفَرْقَدُ: نَجْمٌ قَرِيبٌ مِنَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ ثَابِتُ الْمَوْقِعِ تَقْرِيباً، وَلِذَا يُهْتَدَى بِهَا وَهُوَ الْمَسْمُومُ: النُّجُومُ الْقُطْبِيَّةُ وَبِقُرْبِهِ نَجْمٌ آخَرٌ مِمَّا تَلُّ لَهُ وَ أَصْفَرُ مِنْهُ وَهِيَ فَرْقَدَانُ.
٤. فَنَدَ رَأَى فَلَانَ: أَضْعَفَهُ وَأَبْطَلَهُ.
٥. حَيْدَرُ: الْأَسَدُ وَهُوَ لَقَبُ عَلِيٍّ (ع).
٦. قَضَى الْاجْتِمَاعُ، إِشَارَةٌ إِلَى الْاجْتِمَاعِ الَّذِي عَقَدَ الْمُسْلِمُونَ تَحْتَ سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فِي الْمَدِينَةِ لِاتِّخَاَبِ أَوَّلِ خَلِيفَةِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ وَهُوَ أَوَّلُ اجْتِمَاعٍ سِيَاسِيٍّ عَقَدَ فِي الْإِسْلَامِ.

منهم، على سيّد سيّد
ولأعنفوا في بُنى المسجد
فأنقص مفاخرهم أو زد
عليلاً له الموت بالمرصد
أعادوا الضلال على من بُدي
بأي نكال غداً يرتدي
فبأء بقتلك ماذا يدي
كلوأن مولى، بعبد فدي
يقوت الردى وأكون الردى
امامك يا صاحب الشهيد
كقلب مغيظ بهم مُكمد

تسلط بغياً أيدي النفاق
وماصرفوا عن مقام الصلاة
أبوهم وأمه من علمت...
أرى الدين من بعد يوم الحسين
وما آل حرب جنوا إنما
سيعلم من فاطم خصمه
ومن ساء احمد يا سبطه
فداؤك نفسي ومن لي بذا
وليت دمي ما سقى الارض منك
وليت سبقت فكنت الشهيد
عسى الدهر يشفي غداً من عدا

لاتكاد تقرأ كلمات مهيار في هذه القصيدة إلا أحسست بهذه اللوعة العميقة، وهذا

الحزن الدفين، وهذه العاطفة المتأججة التي اشعلها ظلم الزمن والحكام.

لاتكاد تقرأها إلا احسست بصدق الحب، وصدق العاطفة، وصفاء الاخلاص لآل

البيت (ع)، سواءً أكان ذلك مدحاً أم رثاءً. ان قلب الشاعر يتفطر تفجّعاً وتوجّعاً بسبب ظلم الحكام لهم واغتصابهم حقوقهم.

ان اول ما يظالعنا في هذه القصيدة هذه الجدوة المتقدمة من الحب الحزين، والحنين

الجريح في قلب الشاعر لآل البيت (ع). هذه الكلمات الحزينة التي تؤثّر في القلوب اثرأ لا يزول لأن فيها ظلال هذه العاطفة العميقة الصادقة.

غزله

طرق مهيار فنون الشعر كافة ناهجاً في ذلك طريقة استاذه الشريف الرضى. و منها الغزل: ان غزله جزل دقيق، يتدفق عاطفة، وينساب الى القلب انسياب الماء الزلال في الارض السهلة، تطرب له الاسماع و تشتاق اليه النفوس و تهواه، فلنسمعه معاً يشدو باحبته شدواً

يؤثر في النفس والقلب والضمير:^١

يا نسيم الصّبحِ مِنْ كَاطِمَةٍ
 الصّبا إن كانَ لأبَدِّ الصّبا
 يا أندامايّ بسلع هل أرى
 اذكرونا مِثْلَ ذِكراننا لكم
 وأذكروا صَباً إذا غَنَى بكم
 قد شَرِبْتُ الصّبرَ عنكم مُكرهاً
 وَعَرَفْتُ الهَمَّ مِنْ بَعْدِكُمْ
 شَدَمًا هِجَتَ الجوى وَ البرحاً^٢
 إنَّها كانت، لِقَلبي، أروحا
 ذلك المَغْبِقُ وَ المِصْطَبِحاً^٣
 رَبِّ ذِكرى قَرَّيْتُ مَنْ نَرَحاً
 شَرَبَ الدَّمْعَ وَ عافَ القَدَحاً
 وَ تَبِعْتُ السُّقْمَ فيكم مُسْمِحاً^٤
 فكأنِّي ما عَرَفْتُ الفَرَحاً

لايكاد القارئ يبدأ بقراءة هذه القطعة حتى يجد نفسه يشاطر الشاعر عاطفته و يعيش في ظروفه، فنلاحظه في ابياته هذه على قلة عددها، كيف يشدنا اليه عند مخاطبته النسيم و كيف يهيج عاطفتنا، انه بشعره يفجر الحياة في آفاق انفسنا فينشر عبير الحب فيها، وكأنه قدسبر عواطفنا و عرف دخائل نفوسنا، فتاب عنا في اظهارها و اعلانها، فَرُحْنَا معه فرح و نالم، نذكر الاحبة و نتغنى بهم، نشدو و نظرب لذكراهم و نبكى و نشرب الدمع لبعدهم. نحزن و نصبر على فراقهم كأننا لم نعرف الفرح و لم نذق طعم السرور.

قوله في القناعة^٥

يَلْحَى عَلَى البَخْلِ الشَّحِيحِ بِمالِهِ
 أَكْرِمُ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤَالِ فَإِنَّمَا
 افلاتكونُ بَماي وَجْهَكَ أَجْثَلًا^٦
 قَدَرُ الحِياةِ أَقلُّ مِنْ أن تَسْأَلًا

١. ديوانه ٢٠٢/١.

٢. كاطمة: موضع في العراق. شدما: للتعجب كما لوقلت: ما اشدما. الجوى: الحزن. البرحا: شدة الاذى و المشقة.

٣. المغبق: الغبوق: الشرب بالعشي (اللسان). المغبق: اسم مكان او مصدر ميمي. المصطبح: الصبوح: كل ما أكل أو شرب غدوة و هو خلاف الغبوق. الصبوح من اللبن: ما حلب بالغداة. واصطبح القوم: شربوا الصبوح (اللسان). المصطبح: اسم مكان او مصدر ميمي. السلع: موضع بقرب المدينة، و قيل: جبل بالمدينة (اللسان).

٤. المسمح: المتساهل.

٥. وفيات الاعيان ٣٦٢/٥؛ ثم انظر الى الديوان المهبّار ٣/١٣٨.

٦. لحا فلانا: لامة و عدله. الشحيح: النجيل. ج: الشحاح.

وَلَقَدْ أَضْمَّ إِلَىٰ فَضْلِ قَنَاةِي وَأَبَيْتُ مُشْتَمِلًا بِهَا مُتَزَمِلًا
وَأُرِي الْعَدُوَّ عَلَىٰ الْخِصَاصَةِ شَارَةً نِصْفَ الْغَنَىٰ فَيُخَالِنِي مُتَمَوِّلًا
وَإِذَا أَمْرُهُ أَفْنَىٰ اللَّيَالِي حَسْرَةً وَأُمَانِيًا أَفْنِيَهُنَّ تَوَكُّلًا

الشاعر في موضوع القناعة يُلقي علينا درساً وينهج لنا سبيلاً. إن السعادة في نظره في القناعة و في صيانة النفس و حفظ ماء الوجه. ان الراحة عند الشاعر هو التوكل على الله تعالى و الاستعانة به و الاعتماد عليه.

إنه يحمل بين ضلوعه عاطفة دينية متأصلة. في نفسه إنه لا يجزع مما يهدده من عوز و حاجة و فقرٍ و أمّا يلدجاً بالفطرة الى القوة العليا التي تسيطر على عوز البشر و تهيمن على بؤسهم، أنه يبتهل الى الله و يتكل عليه مستسلماً لرحمته و حكيمته صائناً عرضه من سؤال غيره.

يتعاقب الليل و النهار على الناس فيقبلان على بعض و يُدْبِرانِ عن بعض و في تعاقبها تذوب اعمار الناس، فعلى الانسان أن يتعظ بمصائر الآخرين و الماضين و يدرك أن الدنيا إلى زوال و فناء.

فالعجب كل العجب أن يقبل الانسان على الدنيا لجمع الاموال و كنزها و هي مدبرة عنه فالخير كل الخير لو زهد فيها و ما فيها و اراح نفسه من همّها و غمّها و اراح جسمه من تعبها و كدّها و الايبات التالية على قلّتها توحى بخبرة مهيار و تجربته و فهمه للحياة. و من قديم قد قيل: «القناعة كنزٌ لا ينفد».

١١. الابيوردى (م ٥٠٧هـ)^١

شاعرنا ابو المظفر محمد بن ابى العباس الابيوردى، فتح عينيه على الدنيا في قرية كوفن قرب ابيورد من بلاد خراسان،^٢ و قضى عمره فيها و في اصفهان و العراق^٣، حيث كان بخدمة

١. معجم الادباء ١٧/٢٣٤-٢٦٦، طبع دارالفكر؛ معجم البلدان ١/١٠٢؛ وفيات الاعيان

٤/٤٤٤-٤٤٩ طبع دار صادر؛ الابيوردى لممدوح حقي، صفحات ١١ و ١٢ و ٥٥ و ٥٦.

٢. معجم البلدان ١/١٠٢؛ وفيات الاعيان ٤/٤٤٩ طبع صادر.

٣. معجم الادباء ١٧/٢٣٤ و ٢٣٧.

مؤيد الملك ابن نظام الملك و قد ولى خزانة دارالكتب بالنظامية ببغداد بعد وفاة خازنها صديقه الأسفرايني ويورد ياقوت قول اليبوردي متحدثاً قائلاً:^١

«كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرن طبعي على العربية وبعد أنا أرتضخ لكتة»

امتاز الشاعر باتساع ثقافته وامتداد افقه العلمي، مدحه جماعة من اكابر الشعراء في عصره، ذكره صاحب الشذرات وعده من الابداء المشهورين.^٢

تولى اليبوردي في اواخر عمره أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي في اصفهان (الولاية على اشرافها) و توفي مسموماً سنة ٥٠٧هـ.^٣

اختلف المؤرخون في مذهبه فعده بعضهم متعصباً على علي^٤ (ع) امير المؤمنين كما عده بعضهم الاخر متشيعاً لعلي^٥.

كان اليبوردي اديباً شاعراً كاتباً متبحراً بالعلوم العربية صاحب ديوان يحكي عن قريحة حادة في الشعر وله آثار قيّمة في الادب والتاريخ منها:^٦

تاريخ ايبورد ونساء، المختلف والمؤتلف، الانساب (كتاب كبير)، تعلقة المشتاق الى ساكنى العراق، الدرّة الثمينه، كتاب تعلقة المقرور في وصف البرد والنبيران و همذان، كتاب سهلة القارح (ردّ فيه على ابي العلاء المعري في سقط الزند).

ادبه و اسلوبه^٧

كان اليبوردي عالماً نحريراً في الادب العربي الاّ انه لا يوجد بين ايدينا من آثاره النثرية ما نعرف منه كيفية كتابته الأرسالة صغيرة كتبها الى بعض الاكابر ورسالة اخرى كتبها

١. المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

٢. شذرات الذهب ١٨/٤-٢٠، طبع دارالكتب العلمية.

٣. معجم الابداء ١٧/٢٣٥ و ٢٣٨؛ اليبوردي ممثل القرن الخامس، صفحات ١٥ و ما بعدها و ٥٥٨-٥٥٥. ٤. اليبوردي...، ص ٦٤ نقلاً عن تاريخ ابن خلكان ١٢١/٣ طبع بولاق.

٥. اعيان الشيعة ٩/٣٧٩.

٦. معجم الابداء ١٧/٢٤٣؛ شذرات الذهب ٢٠/٤؛ اليبوردي...، ص ٩٣ و ٩٤.

٧. اليبوردي ممثل القرن الخامس، ص ٩٧-١٠١، انظر ديوانه، اليبوردي: ص ١٨٧-٢٩٨ (مقتطفات من ديوانه).

للمستظهر (الخليفة العباسي) يعتذر فيها عن هربه من بغداد.^١ فهاتان الرسالتان تدلّاننا على أنه يتبع الجاحظ في أسلوبه و ذلك بالتزامه ترادف الالفاظ على معان متقاربة ويتابع الجمل على معان متشابهة كالجاحظ لكن قدرته الادبية تبدو واضحة في الشعر. هو شاعر ظريف فصيح متين السبك، لائق المعنى، طرق في شعره فنّ المدح والفخر والهجاء والعتاب والغزل والوصف.

يقول صاحب كتاب الابيوردي ممثل القرن الخامس: «لم يكن الابيوردي شاعراً واحداً فقط، بل كان جملة من الشعراء في جسد واحد كأنهم جميعاً ارواح حلّت به وتقمّصت في ديوانه، فهو في طموحه وكثرة اسفاره طلباً للعزّ، صورة للممتني وفي غزله التقليدي، نسخة من عمر ابن ابي ربيعة، وفي تصاويره وتلوينه، للسبحترى و في لغته، ابوتمام. وفي فخاره، الفرزدق... وان كان في أسلوبه لايشبه احداً من هؤلاء...»^٢

فماذج من شعره

قال الابيوردي يفتخر:^٣

تَنكَّر لي دَهري ولم يَدْر أَنِّي أَعزَّزُ وَأَحْدَثُ الزَّمانِ تَهونُ
فبات يُرِيني الخُطْبَ كيفَ أَعْتادُوه وَبَتُّ أَرِيه الصَّبْرَ كيفَ يَكُونُ
تَجَهَّم وجه الدهر للابيوردي بعد أن كان مشرقاً وعبس له بعد أن كان باسمًا صبوحةً فتنكَّر
له وتمرد عليه، لكنّه أخطأ في ذلك لأنّه لم يسبر كنه الأبيوردي ولم يعرف حقيقته.
فالابيوردي عزيزٌ قويٌّ والزمان هو الضعيف، فهما تنكر الزمان له ومهما عظمت
خطوبه وجلّت فالابيوردي هو المنتصر في النهاية وهو الذي يعرف كيف يلوى عنان
الزمان وكيف يهزم خطوبه وذلك لتجلّده وصره وثباته.

١. الابيوردي...، ص ٩٨-١٠١.

٢. الابيوردي...، ص ٢٩٣، انظر شذرات ١٨/٢.

٣. الابيوردي...، ص ٢٩٣؛ شذرات الذهب ١٨/٢.

وله في الغزل:^١

وعلييلة الأُلحَاظِ تَسْرُقُ دُونَ عَن
وَقُوَادِهِ كَسِيوارها حَرَجُ
عَسَانَتُهَا وَالشُّهُبُ نَاعِسَةٌ
وَلَمَّتْهَا وَاللَّيْلُ مِنْ قِصَرِ
بِمَعَانِقِ أَلْفِ الْعَفَافِ بِهِ
ثُمَّ افْتَرَقْنَا حَسِينَ فَاَجَانَا
وَيَسْنَحُهَا مِنْ أَدْمَعِي بَلَلُ
انها علييلة الالحاظ، نظراتها فاترة، لكنّها حادةٌ ايضاً، فنفتدت سها ما الى قلبه فلنتته
حباً بها وشغفاً بجبالها، فحرمته الكرى وسلبته النوم وتركته ارقاً مسمداً، لكنها لم تكن
قاسيةً ظالمةً فقد منحته وصالها في ليلة نامت نجومها وكواكبها، فسمّهر ليلتها آخذين بحظّهما
من نعيم العناق البرىء عناق العفة والتقى حتى عانق الفجر الشفق. لكنّ زمان الصفو الحلو

١. المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

٢. ترقد عن صبّ: تتغافل عن محبّها (وهو يتعذّب في حبّها). يصافح جفنته الارق: كناية عن السهر وهرب النوم عنه، لأنّه محب.
٣. سوارها حرج (بكسر الراء): ضيق (كناية عن سمن معصمها فلا يتحرك فيه السوار) والفؤاد: (القلب) الحرج الذي يضيق بكل امر (لأنّه مملوء بالحب). وشاحها قلق: مضطرب يتحرك فيه بسهولة على كتفها (كناية عن أنّها نخيلة هيفاء) وساده (مخدّة) قلق (كناية عن النوم المتقطع).
٤. الشهب: النجوم. ناعسة: لاتكاد تلمع لشدة الظلام. منتطق (يلبس نطاقاً او منطقة بكسر الميم): محاط.
٥. الليل كاد يلثم فجره الشفق: قرب طلوع الفجر.
٦. علق: متعلق، متمسك بالعفة.
٧. صبح تقاسم ضوءه الحدق (العيون): انتبهنا كلانا لطلوع الصبح، فامتلات عيوننا بضوء الصباح.
٨. النحر: ما على الصدر. بنحراها من أدمعي بلل: لأنني كنت واضعاً وجهي عليه وأنا أبكي كرهاً للفراق، وبراحتى: كفى، من نشرها: رانحتها، عبق (رائحةٌ زكية شديدة) لشدة امساکها بيدي كيلاً أفارقها.

مهما طال فأثته قصر وليل الوصال البرىء مهها تناول، فأثته يأبى أن ينقضى دون أن يعقب
حزناً وحرارةً وشكوى فقد فرّق بينها الصباح متعاقبين باكيين.

لما استولى الصليبيون على بيت المقدس (٤٩٢هـ) قتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد
على سبعين ألفاً. وكان أمراء المسلمين في ذلك الحين مختلفين متنازعين، فنظّم الأبيوردي في
ذلك كلّه قصيدة منها:

و شرُّ سلاحِ المرءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ	إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالصوارِمِ ^٢
فَإِيهَا، بَنِي الْإِسْلَامِ، إِنَّ وِراءَ كُـمِ	وقايِعِ يُلِحِقْنَ الذُّرَى بِالْمَناسِمِ ^٣
أَتَهْوِيئَةً فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ	وَ عَيْشِ كَنُوارِ الحَمِيلَةِ ناعِمِ ^٤
وَ كَيْفِ تَنامِ العَيْنِ مِلاءَ جُفُونِها	عَلَى هَفَواتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نائِمٍ؟ ^٥
وَ إِخْوانِكمِ بِالشَّامِ يُضْحي مَقِيلُهُمِ	ظُهُورَ المِذاكِي أَوْ بَطُونِ القِشاعِمِ ^٦
تَسْومُهُمُ الرُّومُ المِهانَ وَأَنتمُ	تَجْرُونَ ذَيْلَ الحَفْضِ فِعْلاً المُسالمِ ^٧
وَ كَمِ مِنْ دِماءٍ قَدِ أَيَّحِثُ وَ مِنْ دُمى	تُوارِي حَياءً حُسبَها بالمَعاصِمِ ^٨

١. الكامل ٢٨٣/١٠ حوادث سنة ٤٩٢؛ شذرات الذهب ٢/٣٩٦ طبع دارالكتب العلمية.
٢. الصوارم: جمع صارم: السيف القاطع.
٣. أيها بكسر الهمزة و تنوين الهاء: اسم فعل. وقايع: معارك. يلحقن الذرى الأعلى، الرؤوس.
بالمناسم المنسم: خفّ البعير.
٤. تهوية: سهوة، نوم خفيف هادىء (استرخاء في النوم بلا مبالاة). النوار: الزهر. الحميلة:
الشجرة الصغيرة التي كثر ورقها وزهرها.
٥. الهفوة: السقطة، الزلّة (الخطأ الفادح).
٦. القيل: مكان نومهم أو استراحتهم. المذاكى من الخيل: الكبيرة (التي تحوض المعارك).
مكانهم ظهور الخيل (في الحرب) أو بطون القشاعم (جمع قشعم: النسر)، أى قتلى اكلتهم الطيور
الكواسر.
٧. الروم: اسم يطلقه العرب عادة على النصارى، سواء أكانوا روماً (يونانيين) أو فرنجية أو
رومان. الحفض: العيش الناعم الهنىء. المسالم: الذى لا يحارب، أو لا يريد أن يحارب.
٨. الدمى: جمع دميه: الصورة الجميلة أو التمثال (المرأة الحسناء). توارى حسنها بالمعاصم: تغطى
وجهها بمعصمها (بيديها) خجلاً من اعمالكم (لانكم لاتقاتلون الا فرنج).

بِحَيْثُ السِّیْفِ الْبِیضِ مُحَمَّرَةً الظُّبَا
 وَبِیْنَ اِخْتِلَاسِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقْفَةً
 وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنِ یَغِیْبُ عَنْ غِبَارِهَا
 یَكَادُ لَهَا الْمُسْتَجِنُّ بِطِیْبَةٍ
 أَرَى أُمَّتِي لِأُیْشِرِعُونَ إِلَى الْعِدَى
 وَیَحْتَبِیُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى
 أَتَرْضَى صَنَادِيدَ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى
 فَلِیْتَهُمْ - إِذْ لَمْ یَذُودُوا حَمِیَّةً
 وَإِنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ - إِذْ حَمَسَ الْوَعَى
 وَسُمِّرُ الْعَوَالِي دَامِيَاتُ اللَّهَادِمِ^١
 تَظَلَّ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ^٢
 لِيَسْلَمَ - یَقْرَعُ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ^٣
 یُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يَا آلَ هَاشِمِ^٤
 رِمَا حَهُمْ، وَالذِّیْنُ وَاهِي الدَّعَائِمِ^٥
 وَلَا یَحْسَبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لِأَزِمِ^٦
 وَیُعْضِي عَلَى ذَلِّ كُفَاةِ الْأَعَاجِمِ^٧
 عَنِ الذِّیْنِ - ضَنُّوا غَيْرَةً بِالْحَارِمِ^٨
 فَهَلَّا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْغَنَائِمِ^٩

١٢. الطغرانی (م ٥١٥ هـ)

ابو اسماعیل الحسین بن علی بن محمد بن عبدالصمد المشهور بالطغرانی الاصفهانی، ولد في

١. الظُّبَا: جمع ظُبَّة: حدّ السيف. العوالي: جمع عاليه: صدر الرمح، الرمح. اللّهزم: الحديدية في اعلى الرمح.
٢. اختلاس الطعن «بالرمح» والضرب «بالسيف»: تطاعن المسلمین والافرنج في حرب تطاعنا شديداً فيه اختلاس (انتهاز كل محارب غفلة خصمه ليقتله). القوادم: جمع قادم: رأس الانسان.
٣. الغمرة: معظم الماء في البحر، وسط المعركة. يقرع سن نادم: يندم.
٤. المستجن: المستتر. طيبة: المدينة بالحجاز. المستر بطينية: المدفون في المدينة المنورة (محمد رسول الله (ص)).
٥. أشرع المقاتل الرمح الى خصمه: سدده وصبه اليه. واهي: ضعيف. الدعامة: عماد البيت الذي يقوم البيت عليه (العمود الاوسط في الخيمة).
٦. اجتنب: ابتعد عن النار (نار الحرب). الردى: الموت. ولا يحسبون العار ضربة لازم: ينسبون أن العار سيلزمهم بعد ذلك.
٧. صنديد: جمع صنديد: الشجاع. الكمي: الشجاع المقدم المتقلد سلاحه تاماً كاملاً. أغضى (اغض عينيه) على الذل: رضى بالذلّ. المراد بالأعاجم: الفرس، الايرانيون.
٨. ذاد: دافع. حمية: حماسة. ضنوا بالحارم: بخلوا أن تؤسر نساؤهم، أي خافوا أن تؤسر نساؤهم.
٩. الاجر: الثواب في الاخرة، حمس: اشتدّ. الوعى: الحرب.

ضواحي^١ اصفهان (في منطقة سميرم العليا او منطقة من مناطق سميرم السفلى) باسم طاخونجه من قرى قمشه في جنوب محافظة اصفهان) سنة ٤٥٣هـ وقيل: ولد في منطقة جى من اصفهان في أسرة من ولد ابي الأسود الدؤلي.

عاصر ملكشاه وابنه، اهم ملوك السلاجقة والمستظهر بالله من خلفاء بني العباس واتصل بهم. اضطلع بمعارف عصره، ونبغ في الشعر العربي واحسن في نفسه حرصاً على المناصب الحكومية، فانخرط في سلك الكتاب، يتقرب من المتقّدين والوزراء كمعين الملك ونظام الملك ومن السلاطين فخدم ملكشاه السلجوقي ثم ولده محمداً^٢.

وفي اشتهاره بالطغرائي قيل: ^٣ هو صاحب الطغراء وهي «الطّرة التي تكتب في اعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ، و مضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه» و يضم ديوان الطغراء: الرسائل والانشاء.

جاء عن بعض المؤرخين^٤ عندما تُوفي عميد الملك الكندري سنة ٥٠٥هـ جلس الطغرائي مكانه في ديوان الطغراء «وكان ذا فضل غزير وأدب كثير، وكان اذا أنشأ تروى بطلاً وتفكر ملياً وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغريبة» كان فريداً في الترسّل والانشاء زمن السلجوقية وخلفاء الفاطميين في مصر.^٥

ولم تدم عزّته هذه، فقد بدأ يخاصموه يسعون به عند السلطان ملحين عليه في ذلك فازدادت عليه السعايات، فنقص نفوذه وأفل جاهه و ضاق عليه المنصب الديواني، فقال الى الاعتزال و تنازل عن كل مناصبه و علاه من دونه و تنكّر له اصدقاؤه، و ثقلت عليه الاقامة ببغداد، فنظم قصيدتين هما من أحسن ما قال امتزج فيهما الواقع بالمثال، و العقل بالقلب، و الحكمة بالطيش، و الحرب بالسلم، و الطموح بالقناعة و التواضع بالكبرياء و

١. وفيات الاعيان ١٩٠/٢؛ شذرات الذهب ٤/١٤.

٢. ديوان الطغرائي، ص ١٠؛ الشعر العربي في العراق و بلاد العجم، ص ١٠٦ و مابعدھا.

٣. ديوانه، ص ١٠.

٤. العباد الاصفهاني في عود الشباب و في شرح الصفدى على اللامية: انظر: حاشية الشعرالعربي في العراق و بلاد العجم، ص ١١٢، على جواد الطاهر.

٥. المصدر نفسه.

التصيدتان هما: اللامية المشهورة:^١

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ و حِلْيَةُ الفِضْلِ زانتني لدى العطلِ
و بائيةٌ لا تقلُّ عنها في الإعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم و سخط و
مطلعها:^٢

أهابَ به داعي الهوى فأجابا و عاوده نكس الصبا فتصابى
فطبيعي أن يتذكر الوطن (اصفهان) و بذلك يجزم فيها جر اليه و يُضي فترةً من عمره
متعزلاً عن الناس، منصرفاً إلى الكيمياء و التأليف فيها.^٣ ثم انصرف عن العزلة و تولى
ولاية الطغراء باصفهان.

لكنه لم يلبث فيها طويلاً فقد دَسَّ عليه شخص سميمي فاضطَّرَّ الى مغادرة اصفهان
و التوجُّه إلى الموصل لتدبير منصب الطغراء هناك حيث الملك مسعود بن السلطان
محمد السلجوقي و كان صغيراً. اقبلت الدنيا على الطغراني في الموصل حيث تقدمت
به المدارج حتى اصبح وزيراً للسلطان مسعود، لكنَّ الدسائس لم تكن غافلةً عنه، فقد دَسَّ
عليه كمال الملك السميمي مخبراً السلطان محموداً كذباً و افتراءً بانه ملحد فامر بقتله
سنة ٥١٥هـ، لكن الحادة لم يكن انكاره امراً من اوامر الدين او ضرورياً من ضرورياته بل
لانه كان شيعياً.

كان الطغراني فاضلاً، واسع الاطلاع، صاحب آثار نفيسة، له ديوانٌ في الشعر، وصفه
السمعاني بأنه جيد. وله في الكيمياء تصانيف معتبرة عند ارباب العلوم منها: كتاب مفاتيح
الرحمة و جامع الأسرار، و كتاب مصابيح الحكمة، و كتاب تراكيب الأنوار و رسالة سماها
بذات الفوائد، و كتاب حقايق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيمياء و ردِّ فيه على
ابن سينا في هذا الموضوع.^٤ كان الطغراني فخوراً بمكانته في علم الكيمياء، قال في مقدمة
احد مؤلفاته فيه «و لما علمتُ أنَّ العِلْمَ أحرصُ شَيْءٍ إلى نفسي تحققت أن لا يناله أحدٌ
من غير أهله و لا أبناء جنسه فالفْتُ في ذلك كُتُباً لم يسمح الدهر بمنلها. و لما فرغت منها

٢. المصدر نفسه، ص ٦٦.

١. ديوانه، ص ٣٠١.

٤. اعيان الشيعة ٦/١٢٨.

٣. الشعر العربي في العراق و بلاد العجم، ص ١١٤.

عنّ لي أن أجعل كتاباً في ذلك جامعاً لذلك الفن على العموم والشمول و محيطاً بكلّ ما عزّ على الاوائل ذكره، و اني أعلمُ قطعاً أنّي لو كنتُ في زمنِ افلاطون و اطّلعَ على ما فعلتُهُ و نبّهتُ عليه و أظهرته للعالم من هذا الفن في هذا الكتاب لما كان يسع أحدهم إلاّ ذمّجي و لتحيل على إخراجي من هذا العالم بقتلي، و لكنني استخرت الله تعالى مراراً و أنا أنظرُ...الإذن و الارادة لابرز هذا الكتاب... و سمّيته «بمفاتيح الرحمة و اسرار الحكمة» ليكون بما اودعته فيه من العلوم و اوضحته مطابقاً فحواه لاسمه، و رتبته على مقدمة و سبعة ابواب...»^١

شعره و نثره^٢

كان الطّغراني شاعراً، كاتباً حسن الكتابة مالكاً ناصية الشعر و الانشاء، و لم يكن للدولتين السلجوقية و الامامية في دولة الفاطميين في مصر من يصل الى ذروته في التّرسل. و لم يصل اليها من نثره الأرسالة واحدة هي جوابه على تهنئة ابن الحريري، منها:^٣

«و صلني... كتاب اتّسم بالمكرمة الغراء و ابتسم عن التكرمة العذراء، فخلته كتاب

الأمان من الزّمان، و تلقيته كما يتلقّى الانسان صحيفة.»

اتصلت حياة الطّغراني و شعره اتصالاً و ثيقاً بتاريخ العصر السلجوقي: ادباً و سياسةً. يؤلف طموحه الى المناصب مفتاحاً يفسّر كثيراً من آلامه و آماله و كثيراً من اشعاره. و مع انه عاش في زمن يعتبر بدايةً لعصر الانحطاط في تاريخ الشعر العربي، إلاّ أنّ رثاءه لزوجه يكاد يكون منقطع النظير في الادب العربي، ففي هذا الرثاء و في الفخر و الشكوى، و في اللامية و البائية التي ذكرناها سابقاً من العواطف و المعاني و الأساليب ما يدلّ على قريحة جديرة بالعناية لذاتها فضلاً عن فوائدها التاريخية، لانه كان اميراً لشعراء عصره و متنبّئهم الصغير.

١. الشعر العربي في العراق و بلاد العجم، ص ١٢٩.

٢. وفيات الاعيان ١٨٥/٣؛ الشعر العربي في العراق و بلاد العجم، مقدمته؛ اعيان الشيعة ١٢٧/٦ و

٣. وفيات الاعيان ١٨٥/٣.

٤. الشعر العربي في العراق و بلاد العجم، ص ١٣٥.

نماذج من شعره

و من رقیق شعره قوله:

يا قلبُ مالِكٍ وَ الهوى مِنْ بَعْدِ ما
أَوْ ما بَدَأَ لَكَ في الإفِاقَةِ وَ الألى
مَرَضِ النسيمِ وَ صَحَّ وَ الذاءُ الَّذي
و هذا خُفوقُ البرقِ وَ القَلْبُ الَّذي
طابَ السُّلُوُ وَ أقصَرَ العُشاقُ
نارَعَتَهُم كَأَسِ الغَرامِ أَفاقوا
تَشكوهُ لا يُرْجى لهُ إِفراقُ
تُطوى عَلَيْهِ أَضالِعي خَفَّاقُ^١

الشاعر ملتان القلب خفاقه، قد شفته الغرام واذابه الهوى والحب، انه يريد من قلبه ان يصحو ويثيق لأن المحبوب قد سلاه وهجره، لا أمل في وصاله ولا رجاء في عودته، انه يلوم قلبه على انه لا يزال يشكو من الهوى ويأمل عودة الحبيب و يترقب رجوعه ولا يريد ان يسלוه وينساه.

وله أيضاً:

أجَّما البُكا يا مُقلَّتِي فَأَئِنَّا
إِذا جَمَعَ العُشاقُ مَوعدَهُمُ عَداً
عَلَى مَوعدِ لَيلِينِ لا شَكَّ وِاقِعِ
فَواخِجَلتْنا إِنْ لَمْ تُعِنِّي مَدامِعي

و من شعره:

وَ لا غَروَ إِنْ أَهدَيْتُ مِنْ فيضِ بِرِّهِ
فَإِنِّي رأيتُ الغَيمَ يَحْمِلُ ماءهُ
إِلَيْهِ قَليلًا لَيسَ يَعتَدُهُ نَزراً
مِنَ البَحرِ غَمراً ثُمَّ يَهدي لهُ قَطراً

إن من الشكر الواجب على الإنسان إهداء بعض البرّ والجميل - وإن كان قليلاً - الى أصحابه، فالسحاب يحمل امواهه بكثرة من البحر ولكنه عندما يطره يطره قطراً. حكمة جميلة تستحق النظر والتدبر.

و من شعره:

لا تَحقرَنَّ الرأى وَ هُوَ مُوافِقُ
فَالذَّرُّ وَ هُوَ أَجَلُ شَيءٍ يُقَتُّنِي
حُكْمَ الصَّوابِ وَ إِنْ بَدَأَ مِنْ ناقِصِ
مَ حَاطَ رُئْبَتَهُ هَوانُ الغائِصِ
الرأى الصائب لا بد ان يُعمل به وإن ظهر على فلتات انسان ناقص لأن الذرّ دُرٌّ

١. هدا = هدا خفتت الهمة لأجل الوزن.

لا يقلل من قيمته ولا ينقصه هوان الغواص.

حكمة عالية ومعنى عميق في تعبير واضح سهل رقيق هذه الحكمة ربما اقتبسها

الشاعر من قوله (ص): «الحكمة ضالة المؤمن» ثم صاغها بأسلوبه الخاص.

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي حُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع):^١

حُبُّ الْيَهُودِ «لِآلِ مُوسَى» ظَاهِرٌ	وَلَا وَهُمْ لِبَنِي «أَخِيهِ» بُادِي
وَإِمَامِهِمْ مِنْ نَسْلِ «هَارُونَ» الْأُلَى	بِهِمْ اهْتَدَوْا وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي
وَأَرَى النَّصَارَى يُكْرِمُونَ مَحَبَّةً	«لِنَبِيِّهِمْ» نَخْرًا مِنَ الْأَعْوَادِ
وَتَمَسَّكُوا بِوَلَاءِ شِعْمُونَ الصَّفَا	فَصَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَحْفَادِ
وَإِذَا تَوَلَّى «آلَ أَحْمَدَ» مُسْلِمٌ	قَاتَلُوهُ أَوْ وَسَّوَهُ بِالْإِلْحَادِ
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الْعَيَاءُ، بِمِثْلِهِ	ضَلَّتْ حُلُومٌ حَوَاضِرٍ وَبِوَادِي
لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّ النَّبِيِّ «مُحَمَّدٍ»	فِي «آلِهِ» وَاللَّهُ بِالْمُرْصَادِ

يعجب الشاعر من بعض فرق المسلمين وينعى عليهم أن يتهموا إخوانهم المسلمين

من يوالون آل النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) بالإلحاد والكفر فيستحلون - بهذا - سفك

دمائهم، في حين أن اليهود يوالون أبناء هارون حباً لموسى (ع) والنصارى يكرمون الأعواد

النَّخْرَةَ محبة لعيسى (ع) إن مثل هؤلاء المسلمين قد عزبت عنهم حلومهم وضلوا ضلالاً

بعيداً وأبتلوا بداء عيَاءٍ لادواء له، إثمهم أضاعوا حق النبي (ص) في آله، لكن الله سبحانه و

تعالى لمن عصاه بالمرصاد.

وله أيضاً:

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُ دُخْرٍ	إِذَا نَابَتْكَ نَابِيَةُ الزَّمَانِ ^٢
وَإِنْ رَابَتْ إِسْنَاءُ تُهْ فَهَبْهَا	لِمَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ الْحِسَانِ
تَرِيدُ مُهَذَّبًا لِأَعْيَبِ فِيهِ	وَهَلْ عُدَّ يَفُوحُ بِلَادُخَانَ

١. ديوان الطغرائي، قافية الدال، ص ١٢٧.

٢. أخاك أخاك منصوب على الاغراء. بمعنى الزم أخاك.

معنى' حلو وحكمة رائعة، إنه يوصي بحفظ الأخوة ورعاية الصداقة عند حلول الخطب وتوب الزمان، فاذا رابتك إساءة من صديق فسامحه لما له من أخلاق طيبة وشيم كريمة، إذ ليست نفس الصديق خالصة دائماً للصديق وليس وجه الخليل خالصاً دائماً لل خليل، فربما عرض للصديق وال خليل من أمور الدنيا والحياة ما يشغله عن أحسن اصدقائه منزلة في نفسه وأرفعهم مكانة في قلبه، وهل يريد الانسان من العود طيب رائحته بدون دخان!؟

هذه حكمة ربّما أخذها الطّغرائي من قول بشار:

إذا كنتَ في كلِّ الذنوب مُعَاتِباً صديقك لم تلقَ الذي لاتُعَاتِبُهُ
فِعِشْ واحداً أو صلِّ أخاك فأنه مُقَارِفُ ذَنْبٍ تَارَةً وَمُجَانِبُهُ
إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القذِي ظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
أخذها من قول بشار ثم صاغها بأسلوب جميل آخر خاص به.

ومن شعره:

ما فلان إلا كجيفة مَيِّتٍ والضروراتُ أَحْوَجُنَا إِلَيْهِ
فَنِ اضْطَرَّ غَيْرُ بَاعٍ وَلَا عَا دِ فَلَإِ إِيَّاهُ فِي الْكِتَابِ عَلَيْهِ
وله من أبيات:

لا غَرَوَ إِنْ حُرَّتْ المَرْوَةَ وَالتُّقَى وَالذُّيْنَ وَالدُّنْيَا وَلَمْ تَتَّصَدَّعْ
إِنَّ النَّوَاطِرَ وَ القُلُوبَ صَغِيرَةٌ تَحْوِي الكَبِيرَ وَ لَيْسَ بِالمُسْتَبَدِّعِ^٤

وفي الصديق يقول:

جائِلٌ أَخَاكَ إِذَا اشْتَرَبَتْ بِوَدِّهِ وَ انْظُرْ بِهِ عُقَبَ الزَّمانِ يُعَاوِدِ
فَإِنْ اشْتَمَرَ عَلَى الفَسَادِ فَخَلَّهُ فَالعَضُوُّ يُقَطِّعُ لِلفَسَادِ الزَّائِدِ

ومن قصيدته المشهورة التي يعارض فيها لامية الشنفرى المعروفة بلامية العرب

١. يُشير إلى الآية الكريمة في سورة الانعام الآية ١٤٥: «فمن اضطرَّ غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفورٌ رحيمٌ».

٢. وفيات الاعيان ١/٢٨٤.

٣. وليس بالمستبدع: أى حيازة هذه الامور ليس بالامر البديع.

الايات التالية، ومدارها على وصف حاله وشكاية زمانه وكيد حسّاده حتى طرد من الوزارة وقد استطرد من فنّ الى فنّ وضمتها عدة نسايج وحكم اديبه:^١

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدئى العطل^٢
 مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع^٣ والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل^٤
 فسيم الاقامة بالزوراء لاسكني بها ولاناقتي فيها ولاجملي^٥
 ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عري متناه عن الخلل^٥
 فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا أنيس اليه منتهى جذلي^٦

١. معجم الادباء، المجلد التاسع، الجزء الخامس، ص ٦٠-٦٨؛ تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢٣٣/٣-٢٣٤.

٢. الاصالة: مصدرأصل-؛ الرأى اصالة: كان محكماً. الخطل: كثرة الكلام الفاسد والفعل (حَطَل - حَطَلًا). العطل: مراده خلوه من الامارة، والعطل: مصدر عطلت المرأة: خلا جيدها من القلائد والحلي. وقد كنى بالخطل عن طرّوه من الوزارة. المعنى: جودة فكرى حفظتني من الاخطاء، وكثرة فضلي وعلمي جعلتني حالة كوفي بعيداً عن الامارة. بعبارة اخرى: ان صحة رأيي يحفظني عن فساد العقل والمنطق وحلية الادب زينتني عند التجرد من المال والمنصب.

٣. شرع: سواء. الراد: الوقت الذي قبيل الضحى، او وقت ارتفاع الشمس. الطفل: الوقت الذي قبيل الغروب. المراد: أنه يفتخر بشرفه ومجده في كل وقت، فسواء عنده أكوأه اميراً أو فاقداً للامارة كالشمس تستوى حالتان في أول النهار وآخره.

٤. الزوراء: اسم لبغداد. لاناقتي ولاجملي: أى ليس لى ربط أو علاقة بها وهو مثل مشهور، السكن: ما يسكن اليه الانسان. فيأنس به من زوجة او وليد. المعنى: لا يحسن بي أن أقيم ببغداد، مابق سكن أستأنس به ولاعلاقة بها. بل أنا منفرد وحيدٌ ولذلك يجب على أن أسافر.

٥. ناء: بعيدٌ وهو خبر لمبتدأ محذوف. صفر الكف: خالٍ من المال. متنا السيف: جانباه. عري: جرد. الخلل: كساء غمد السيف جمع خلّة: هى بطائن منقوشة بالذهب ونحو تجعل غشاء للسيف، واراد بها الغمد، المعنى: «لامعنى لإقامتي في بغداد وانا وحيدٌ فقيرٌ» بعيد عن اقربائى، رث المنظر كالسيف الذى جرد غمده من كسوته.

٦. الحزن: الألم النفسى، الغم، (حزن - حزنًا) أى اغتم قال الله تعالى: «وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن» (فاطر، ٣٤). أما (حزنه - حزنًا) فهو متعد أي غمه، قال الله تعالى «يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر» (مائده، ٤١). الجدَل: الفرحُ والسُرورُ، والفعل (جدَل -). المعنى: أننى أفتقر في بغداد الى أى صديق أبث اليه ما اشكوه من همٍ وغمٍ فيفرّجُه عنى ويعيننى على صرفه، أو أى انيس أجتلب معه حديث الافراح والمسرات ليدفع عنى وحشتى.

أريدُ بسَطَةً كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قِضَاءِ حُقُوقِ لِلْعُلَى قِيبَلِي
والدهرُ يَعكُسُ آمَالِي وَيُقنُّعُنِي مِنْ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالثَّقَلِ ١
حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي عَزَمَ صَاحِبِهِ عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ ٢
فإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الْجَوْ فَاعْتَرِلْ ٣
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ فَمَا تُحَدِّثُ أَنْ الْعِزَّ فِي الثَّقَلِ ٤
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوعَ مُنَى لَمْ تَسْبِرْ حِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ ٥
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْآمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقُ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ ٦

١. الثَّقَلُ: الرجوع من السفر.

المعنى في البيتين: طلبتُ في سفرى سعة الحال ورغد العيش لأستعين بذلك على وفاء حقوق لزمتم ذمتي للرفعة والمروءة، أى لأقوم بحقوق شرعى غير أن الدهر يعكس آمالى وأحبط جهدى. حتى انى لأقنع بأن أرجع سالماً الى الوطن بعد المشقة.

٢. ثناه عن الشئ: صرفه عنه. العزم: التصميم على الامر. المعالى: مجالات الشرف والسمو. يُعْرِى: يَخْدَع. المعنى: أن حُبَّ النجاة من مشاق الحياة يصرف الانسان عن اكتساب الشرف والسمو ويخدعه بالدعة والراحة وعدم النشاط.

٣. جنحت اليه: ملت اليه.

٤. الثَّقَلُ: جمع نُقْلَه وهى الانتقال. المعنى: مراده أن العلى لا يحظى بها الانسان الا بالسعي والتحرك والنشاط والتنقل من مكان الى مكان وبغير هذا فيصيبه الكسل والخذلان، بل العلى أفادتني علماً صادقاً لا كذب فيه، ان الشرف لا ينال الا بالتنقل.

٥. منى: جمع منية وهى ما يتمناه الانسان. تبرح: تذهب وتغادر. الدارة: كل موضع يدار فيه شئ يحجزه ودارة الحمل: برج الحمل، وهو اول منازل الشمس. الحمل: برج في السماء من البروج الربعية. مراده: أن الانسان لا يصل الى مرامه لويبقى مستقراً حاملاً في مكانه، ولو كانت الإقامة وعدم الانتقال امراً حسناً لبقيت الشمس في محلها. ولو كان المقام بالمكان الشريف يبلغ المرء الى مناه لما زالت الشمس مقيمة في برج الحمل، اشرف منازلها، لكونه منزل استوائها واعتدالها.

٦. علل النفس: شغلها. أرقبها: ألحظها وراقبها. الفسحة: السعة والراحة المعنى: يريد ويقول: اشتغل نفسى بانتظار بلوغ آمال اترقب ادراكها ليتسع بها ما ضاق من عيشى. لأن العيش ضيق مالم توسعه الآمال. (هذا المصراع اخرجها الشاعر على صورة مثل يريد أنه لولا الآمال لضاق على الانسان عيشه).

لَمْ أَرْتَضِ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
 غَالِيًا بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
 فَكَيْفَ أَرْضِي وَقَدْ وَلَّتْ عَلَيَّ عَجَلٌ^١
 فَصُنَّتْهَا عَن رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدَلٌ^٢
 وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يُزْهِىَ بِجَوْهَرِهِ
 وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بِظَلٍ^٣
 مَا كُنْتُ أَوْثِرُ أَنْ لَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
 حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ^٤
 تَقْدَمْتَنِي أَنْاسٌ كَانَ شَوْطُهُمْ^٥
 وَرَاءَ خَطْوِي لَوْ آمَشِي عَلَى مَهَلٍ^٥
 هَذَا جِزَاءُ أَمْرِيءِ أَقْرَأَنَّهُ دَرَجُوا
 مِنْ قَسْبِلِهِ فَتَمَّتْ فُسْحَةَ الْأَجَلِ^٦
 مُلْكُ الْقِنَاعَةِ لَا يُخْشِي عَلَيْهِ وَلَا
 يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ^٧
 تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَائِبَاتٍ بِهَا
 فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلٍ^٨

١. المعنى: ان الانسان لا يرضى بحياته وقت ما كانت الايام مقبلة بخيرها عليه كأيام الشباب فكيف وقدولت وسيطر عليه العجز والمهرم. ومراده أن لاراحة في الدنيا وأنها فانية بسرعة.

٢. غالي: تجاوز الحد. المبتذل: الرخيص، الذي ليس له قيمة. المعنى: اننى قد عرفت قيمة نفسى ولذلك صننتها وحفظتها من قبائح الأعمال و مبتذلاتها.

٣. يزهى بالشيء: يعجب به. المعنى: أنه لا بأس للعالم أن يعجب بجوهره وبما عنده من علم وأن يكون عمله في المكان المناسب لعلمه لكي تتم الفائدة من كفا آت الناس.

٤. أوثر: أفضل. الاوغاد: جمع الوغد وهو الاحمق. السفل: أى السفة جمع السافل وقد رُحمت انسياقاً للفاظيه. المعنى: ما كنت أحسب أن الدهر يطيل في عمري حتى أرى ملك اللثام وحمق الناس.

٥. شوطهم: دورهم ومرحلتهم. وراء خطوي: بعدى مسيرقى في الحياة على مهل: بطيئاً. المعنى: أن الحياة الدنيوية لا تعطى الانسان حق منزلته ومكانته فقد تقدمني اناس وانا احق منهم منزلة وعلماً وأدباً وشاناً.

٦. أقرأته: من هم في مرتبته في الصفات ومفردها قرن أى نظير. فسحة الاجل: الموت. درج: مات وذهب. المعنى: ان ما بنى من سوء حال وانفراد وخمول ان هو الاجزاء من ذهب اخوانه من الكرماء فتمنى الحياة بعدهم فبق من لا يعرفون قدره فقدّموا عليه جهاً لأمثلهم.

٧. الحول: العبيد والاماء والخدم والحشم. ومراده: كن فنوعاً حيث أن القناعة كنز لا يفنى.

٨. بها: أى فيها مشبه اهل الدنيا بظل الاشياء فكما أن الظل لا يبد من انتقاله بتحرك الشمس فلا يبد من انتقال اهل الدنيا الى دار الآخرة.

ويا خبيراً على الاسرارِ مُطَّلِعاً أُصْمِتُ فني الصَّمْتِ منجاةً من الزَّلَلِ
 قد رَشَّحوكَ لأُمُرٍ إنْ فَطِنْتَ له فازبأ بنفسيكَ أن ترعى مَعَ الهَمَلِ أ
 لقد عرض للشاعر من الامر - مع ماله من فضل ومكانة ومنزلة - ما سلبه الأمان
 والرَّاحة والنَّعيم وجعله مضطرب العاطفة، سيء الظنِّ برعاية الصِّديق وبرّه ووفاء الجار
 وأدائه للحقوق، إنَّ نفس الشاعر عطشى الى الأمان والدَّعة والإطمئنان، ولكن هل في الحياة
 أمن ودعة واطمئنان؟ كلا. إنَّ نفس الشاعر مقسِّمة بين الغضب على الزمان وأهله
 وبين الخوف من الزمان وأهله، إنَّه لا يجد من أهل زمانه مَنْ يرفق به ويتطلف له ويردِّ عليه
 أمنه ودعته واطمئنانه، إنَّه يجد منهم جهداً لا يطاق وعناء لا يحتمل، لقد استولت الأوزار
 والآثام على الحياة وأهلها وتمكَّنت من قلوبهم ورائت عليها فأبعدت عنها الحب والرحمة
 والشفقة وملأتها حقداً وشدَّة وبغضاء فلقى الشاعر من إقامته في بغداد والحالة هذه جهداً
 شديداً وعتناً عظيماً وقاسى بأساً هادماً وقنوطاً مُدمراً إنَّه ذو منزلة رفيعة ومكانة عالية
 فلا يحطُّ من شأنه وقيمته اذا عُزِل عن المنصب ونُحِّي عن ديوان الطغراء، فالشمس هي هي
 سواء أكانت في الضحى أو في الظل والأصيل، إذن فلماذا يبقى في بغداد وليس له فيها أرب،
 إنَّه وحيد غريب منفرد محتاج، ليس له صديق يعتمد عليه ولا أنيس يتهج به ولا عون
 يساعده على ضيق ذات اليد قد تقطعت به الأسباب، فليس هناك ودُّ صاف وليس هناك
 حب خالص وليس هناك صداقة مطمئنة أمينة، فهو غير راض عن زمانه ولا عمَّن حوله
 من الناس والأصدقاء ولا عمَّا حوله من الأشياء، إنَّه يريد أن يرضى عن الحياة ويُذعن
 لظروفها التي لا يستطيع لها تغييراً ولا تبديلاً ولكنَّ نفسه لا تطاوعه وضميره لا يقبل
 الاذعان ولا يطمئن اليه فهو في صراع دائم وجهاد مستمر وقلق متصل.

إنَّه يعتقد أنَّ العزَّ والشرف والعلو والسلامة من أذى الناس وشروهم في اعتزالهم
 والبعد عنهم والانتقال من مكان الى آخر وعدم الاستقرار في مكان واحد.

١. رَشَّحوكَ: أهلوک، اختاروک. فَطِنْتَ له: ادركتَهُ وفهمتَهُ. إِرْبَانَبْسِيكَ: نَزَّهها واجعلها ترفعُ و
 الفعل (رَبَّأ-رَبَّأ) و يأتي بمعنى حَذِرَ، إِتَّقَى، نظر في الامر. الهَمَل: المتروک بلا رعاية، ظاهر مراده:
 بما أنك انسانٌ فعليك أن تؤدى رسالتک الانسانية التي رَشَّحتَ اليها وتقوم بواجبها، لا أن
 تكون مهملًا متروكًا.

إنَّه لم يكن راضياً عن مكانته وعيشه - لعلو همَّته وشرفه - والأيام كانت مُقْبِلَةً عليه، فكان بعيد الأمل واسع الرجاء كثير الطموح فكيف يرضى عن عيشه والأيام قد أدبرت سراعاً عنه فأصبح قريب الأمل ضيق الرجاء قليل الطموح بل لا أمل له ولا رجاء ولا طموح، إنَّه يعرف منزلة نفسه ويقدر قيمتها فيصونها عن الابتذال ويربأ بها عن البقاء في بغداد في ظلِّ دولة الحَمَقِ والأوغاد.

إنَّه يتألم وينعى على نفسه من أن الزمان قد تقدّم به فشاهد دولة هؤلاء السُّفَلَةِ والأوغاد ممن لا يستحقّون شيئاً بل ليسوا بشيء، وانصراف الانسان عمّا حوله من أمور الدنيا وعدم الرغبة فيها والصبر عنها وعدم الطَّمَع فيها والقناعة بما في يده، كل هذه لا تحتاج الى الأنصار والاعوان اذ لا يخاف الانسان على القناعة اذا كان قانعاً. إنه يخلص الى هذه النتيجة وهي أن الدنيا لا خلود فيها، إنَّها كالظِّلِّ لا ثبات له ولا استقرار، والسكوت خير من الكلام. فهو صيانة من الزلل ودرءٌ للخطأ والخلل وكما قيل اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، واذا أدرك الانسان قيمة نفسه ربأ بها عمّا يشينها ويُهينها.

١٣. الأَرْجَانِي^١ (م ٥٤٤ هـ)

ابوبكر احمد بن محمد بن الحسين الأَرْجَانِي الملقَّب ناصح الدّين. و كان قاضي تُسْتَر^٢ و عسكر مُكْرَم، اصله من أَرْجَان و نشأ و ترعرع في بلاد خوزستان موطن أسرته. ولد سنة ٤٦٥ هـ بمدينة تُسْتَر او عسكر مُكْرَم، برّ العرب في العلم و وصل فيه الى الغاية كان اديباً شاعراً له ديوان شعر، جمع فيه بين عذوبة اللفظ و متانة المعنى.^٣

١. الأَرْجَانِي: بفتح الهمزة و تشديد الراء المهملة و فتح الجيم. هذه النسبة إلى أَرْجَان وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان و اكثر النَّاس يقولون: إنَّها بالراء المخففة و استعملها المنتبّي في شعره مخففة:

أَرْجَان أيتها الجياد، فإنَّه
عزى الذي يذر الوشيج مكسراً
(وفيات الاعيان ١/١٥٤/١٥٥ دارصادر).

٢. تُسْتَر: مدينة مشهورة بخوزستان و اليوم تسميها العامة شوشتر - عسكر مكرم: مدينة صغيرة من كور الأهواز.

٣. خريدة القصر، نقلاً عن الوفيات ١/١٥١ و مابعدھا.

تولّى منصب القضاء ببلاد خوزستان، تارةً بتستر وأخرى بعسكر مُكْرَم
يقول فيه:^١

أنا أشعرُ الفقهاءَ غيرَ مُدافعٍ في العصرِ، أو أنا أفقهُ الشعراءِ
شعري إذا ما قلتُ دونهُ الورى بالطَّبِيعِ لأبتكُفُ الإلقاءِ

أخذ العلم والادب بالمدرسة النظامية باصفهان وطبع على قول الشعر وأكثر في
نظمه إلا أنه لم يصل إلينا إلا عُشر مقداره.

شعره سهلٌ رائعٌ رقيق النسيج، واضح المعاني، أكثره في المديح والفخر، يغلب عليه
المتانة والتفَسُّ العربي القديم.

من أبياته الحكيمية في المشورة قوله:^٢

شاورِ سِواكَ، إذا نابتكَ نائِبَةٌ يَوْمًا وإن كنتَ من أهلِ المُسوراتِ
فالعينُ تُبصِرُ منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسَهَا إلا بِمِرآةٍ

وقال في الشكوى من الدنيا ومن الناس:^٣

لأعارَ أنْ عطلتْ يدَايَ مِنَ الغِنَى كَمَ سابقٍ في الخيلِ غيرِ مُحجَّلٍ^٤
صانَ اللئيمِ - و صنتُ وجهي - مالهُ دُونِي، فلمَ يَبْذُلُ ولمَ أتَبْذِلُ^٥
ذَهَبَ الَّذِينَ صَحِبْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُمْ سَحَبَ الْمُؤْمَلِ أَنجَمِ الْمُتَأْمَلِ^٦
وَبُلِيَتْ بَعْدَهُمْ بِكُلِّ مُذْمَمٍ: لا مُجْسِلٍ طَبْعًا ولا مُتَجَمِّلٍ^٧

١. وفيات ١/١٥٢. ٢. وفيات ١/١٥٢.

٣. ديوان الأراجاني: قافية اللأم، تصحيح الشيخ أحمد عباس الأزهرى، بيروت ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) (تصحيح الشيخ عبدالباسط الأنسى)، بيروت، مطبعة جريدة بيروت، ١٣٥٧هـ.

٤. سابق: حصانٌ يسبق الخيل يوم الرهان. التحجيل: بياض في قوائم الفرس، فوق الحافر وفيه
احوالٌ مختلفة أحسنها أن يكون الفرس محجل القائمتين والقائمة الامامية اليسرى: محجل الثلاث
مطلق العينين. والتحجيل يدل على كرم اصل الفرس. يقول الشاعر: قد يسبق الفرس ولو لم يكن
محجلًا. وكذلك قد يفضل الانسان ولو لم يكن غنيًا.

٥. يقول: هو لم يعطنى شيئاً وأنا لم أذل نفسي بسؤاله.

٦. سحب المؤمل: كرماء يعطون بلاسؤال. انجم المتأمل: يهتدى بهم كل من اقتدى بهم.

٧. مذمم: مذموم، لا يجمل طبعاً ولا متجمل: ليس ذا خلق كريم ولا هو يتظاهر بالخلق الكريم.

فَلَقَدْ دُفِعْتُ إِلَى الْهُمُومِ تَنُوبِي
مِنْهَا ثَلَاثُ شَدَائِدٍ جُمِعْنَ لِي:
أَسَفٌ عَلَى مَاضِي الزَّمَانِ وَحَيْرَةٌ
فِي الْحَالِ مِنْهُ وَخَشْيَةٌ الْمُسْتَقْبَلِ
مَا إِنْ وَصَلْتُ إِلَى زَمَانٍ آخِرٍ
إِلَّا بَكَيتُ عَلَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
لا عيبَ عَلَيَّ إِنْ كُنْتُ فَقِيرًا لَا أَمْلِكُ شَيْئًا، فكم من الخيول تحوز قصب السبق لكتبتها
غير معلّمة بعلامة الخيول النجيبة التي تعرف بها. الناس قسمان بخلاء، لؤماء و شرفاء اعقفاء.
فالبخيل اللئيم دائماً و ابداً يصون ماله و الشريف العفيف دائماً يصون ماء وجهه.
يأسف الشاعر على الزمان الماضي الذي كان قد صحب فيه جماعةً من ذوي المروءة
و الجود و الكرم كانوا في كرمهم كالمنز بالنسبة للمؤمل و كانوا كالكواكب هدايةً و ارشاداً.
لقد لبى الشاعر بعد زمن هؤلاء بزمن لا يوجد فيه إلا اللؤماء، أنه يشكو من زمنه و
من المشاكل و الهموم التي أحاطت به من كل جانب و قد بين هذه الهموم و قسمها الى ثلاثة
اقسام هي: أسفٌ على زمنٍ مضى و حيرةٌ في زمنه الحالي و خوفٌ من مستقبله، فهو
لايستقبل زمناً جديداً إلا و تأسف و بكى على زمنه الماضي.

وله أيضاً في الشعر:

لو كنتُ أَجْهَلُ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّيْ
جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ لِي مَا أَعْلَمُ
كَالصَّغُو يَرْتَعُ فِي الرِّيَاضِ وَإِنَّمَا
حُسَيْسَ الْمَهْزَارِ لِأَنَّهُ يَتَرَمَّ^٢
كان ادبنا اضافة إلى تزلعه من اللغة العربية ذا ذكاءٍ حادٍّ و استعداد عجيبٍ،
ذا ثقافةٍ فارسيةٍ واسعةٍ جاءته من بيئته التي ولد و ترعرع فيها. لذلك نجد صدئ
هذه الثقافة ظاهراً في شعره كالمفردات الفارسية مثل كلمة «الهزار» و الاسلوب الفارسي
مثل الدوبيت كقوله:^٣

أَجِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ
لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ
وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَدُومُ

١. وفيات... ١٥٤/١.
٢. الصغو: عصفورٌ صغيرٌ. الهزار: طائر حسن الصوت [فارسيٌّ مُعَرَّبٌ] و يقال له: هزار دستان، لأنه يعنى "أحياناً كثيرة" و «هزار» في الفارسية بمعنى الألف.
٣. المصدر نفسه السابق.

إنّه يحبُّ الانسان ذا السَّريرة الحسنة الصَّافية، ظاهره كباطنه و باطنه كظاهره، لا ينافق ولا يُرائي، إنّه معوانٌ على مشاكل الدهر ونوائبه.

١٤. شهاب الدين السهروردي (م ٥٥٨٧ هـ) «الشهيد»

هو شهاب الدين ابو الفتح يحيى بن حبش الحكيم^١، المعروف بالاشراق ولد سنة ٥٥٠ هـ في سهرورد من محافظة زنجان من بلاد شمالى ايران.

قرأ السهروردي الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي بمدينة مراغه (في آذربايجان) ثم طوف في البلاد الاسلامية واقام مدةً في بلاط قليج ارسلان الثاني في قونية (آسيا الصغرى) وزار بلاد الشام ايضاً. ويبدو أنه ذهب الى بغداد و أقام فيها مدةً، صحب في اثنائها الشيخ فخرالدين الماردينيّ مبيّناً له آراءه و كان الشيخ يتخوف عليه منها،^٢ ثم غادرها الى حلب و أخذ ينشر فيها مذهبه الاشراقي^٣ فشكاه علماء اهل السنة الى امير المدينة الملك الظاهر ابن صلاح الدين الايوبي، فجمع هذا بينه وبينهم في مجلس مناظرة تغلب عليهم فيه.^٤ فأحسّت الدولة الحاكمة خطراً عليها من ناحية آرائه و اعتقاداته، فأصدر صلاح الدين دستوراً بقتله سنة ٥٨٧ هـ.^٥

١. وفيات الاعيان ٦/٢٦٨-٢٧٤؛ شذرات الذهب ٤/٢٩٠.

٢. شذرات الذهب ٤/٢٩٠.

٣. الاشراقيون: اتباع المذهب القائل بحكمة الاشراق او الحكمة المشرقية و هى ترد عند كثيرين باسم الحكمة المشرقية امثال pococke (پوكوك)... و يطلق هذا الاسم بوجه خاص على السهروردي و تلاميذه و هذه الحكمة هي عبارة عن مذهب التوفيق بين الفلسفة اليونانية و بين آراء الفرس وغيرهم. و هى فلسفة تعبر عن الله و عالم العقول بالنور و المعرفة الانسانية و اكبر اصحاب هذه الفلسفة هرمس و انبوقليس و فيثاغورث و غيرهم و قد تأثرت الفلسفة الاسلامية بهذا المذهب منذ نشأتها الى وقتنا الحاضر تأثراً عظيماً، و كان حكماء الاسلام متأثرين بهذه الفلسفة كثيراً و ربّما كان أكثرهم تأثراً بها الفيلسوف ابن رشد. (انظر: دائرة المعارف الاسلامية: ١/٢ مادة الاشراقيون، ص ٢١٢ دارالمعرفة - بيروت).

٤. شذرات الذهب ٤/٢٩٠ و ٢٩١.

٥. وفيات الاعيان ٦/٢٧٣.

كان السهروردي في اول امره فقيهاً شافعيًا واصوليًا، كما كان ملماً بعدد من علوم الاوائل، ثم إنه اتخذ مذهباً صوفيًا متطرفاً^١ فارق به رأى اهل السنة والجماعة في الدين ومزج بينه وبين فلسفة ارسطو الواقعية من جانب وبين المذاهب الاسكندرانية من جانب آخر.

آثاره

لشيخ الاشراق مصنفات كثيرة عربية و فارسية في الحكمة الاشراقية وفي معنى التصوف الاشراقي وحول آراء الحكماء السابقين كابن سينا وامثاله.
فن آثاره العربية^٢: حكمة الاشراق و شرحه، التلويحات، المقامات، المطارحات، اللمحات، رسالة في وصف العقول، هياكل النور، مقامات الصوفية، الغربة الغربية....
ومن آثاره الفارسية: عقل سرخ، آواز پرجبرئيل، لغت موران و....

نثره و نظمه

من كلامه^٣: الفکرُ في صورة قدسيّة يتلطف بها طالب الاربيحيّة، و نواحي القدس دارٌ لا يطاقها القوم الجاهلون، و حرامٌ على الاجساد المظلمة أن تلج ملكوت السموات، فَوَحْدِ اللّٰه و أنت بتعظيمه ملآنٌ، و اذكره و أنت من ملابس الاكوان عريانٌ، ولو كان في الوجود شمسان لأنظمت الاركان، فأبى النظام أن يكون غير ما كان:

فَحَفِيْتُ حَتَّى قَلْتُ لَسْتُ بِظَاهِرٍ وَظَهَرْتُ مِنْ سَعَتِي عَلَى الْأَكْوَانِ
لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ مَا نَلْتَقِي لَقَضَيْنَا مِنْ سُلَيْمِي وَطَرًّا
اللَّهُمَّ خَلِّصْ أَطْيَفِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْكَثِيفِ.

١. تاريخ الادب العربي، عمر فروخ: ٤٠١/٣-٤٠٢.

٢. المصدر نفسه؛ وفيات الاعيان ٦/٢٧٠، شرح حكمة الاشراق، ص ٧٨، المقدمة.

٣. وفيات الاعيان ٦/٢٧٠.

شعره

كان السهروردي مقلداً في الشعر وأحسن شعره قصيدته الحائية المشهورة التي يكثر فيها من اصطلاحات و تعابير الصوفية:^١

أَبْدَأُ تَحِيْنَ الْيَكْمِ الْارَوَاحُ	وَ وِصَالِكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ ^٢
وَقَلُوبُ أَهْلِ وِدَادِكُمْ تَشْتَاكُمُ	وَالِي لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاخُ
وَارْحَمَةً لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا	سَاتِرَ الْحَسْبَةِ وَالْهَوَىٰ فَضَاخُ
بِالسَّرِّ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ	وَ كَذَا دِمَاءُ الْبَاطِحِينَ تُبَاحُ ^٣
ضَافَاهُمْ فَصَفَّوْا لَهُ فَقَلُّوْبُهُمْ	فِي نَوْرِهَا الْمَشْكَاةُ وَالْمَصْبَاحُ ^٤
فَتَمَتَّعُوا وَالْوَقْتُ طَابَ بِقُرْبِهِمْ	رَاقِ الشَّرَابِ وَرَقَّتِ الْأَقْسَادُ
لَاذَنْبٍ لِلْعُشَّاقِ إِنْ غَلَبَ الْهَوَىٰ	كَيْتَمَاتِهِمْ، فَسَمَّا الْغَرَامُ فَبَاحُوا
سَمَّحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَجْلُوا بِهَا	لَمَّا دَرَوْا أَنَّ السَّمَاحَ رَبَّاحُ ^٥
وَدَعَاهُمْ دَاعِيَ الْحَقَائِقِ دَعْوَةً	فَعَدَّوْا بِهَا مَسْتَأْسِينَ وَرَاحُوا ^٦
رَكَّبُوا عَلَى سُنَنِ الْوَفَا فِدْمَوْعَهُمْ	بِحَرٍّ وَشِدَّةِ شَوْقِهِمْ مَلَاحُ
وَاللَّهِ مَا طَلَبُوا الْوَقُوفَ بِبَابِهِ	حَتَّى دَعُّوْا وَأَتَاهُمُ الْمَفْتَاحُ
لَا يُطْرَبُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ	أَبْدَأُ فَكُلَّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ ^٧

١. المصدر نفسه ٢٧١/٦.

٢. الخطاب للعزة الالهية (لله). الريحان: نبات طيب الرائحة، الاطمئنان الروحي. الراح: الخمر، السرور. ٣. السر: حقيقة الالوهية.

٤. المشكاة والمصباح: اشارة الى قوله تعالى في سورة النور الاية ٣٥: «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح». المصباح: السراج المنير. المشكاة: العمود، الكوة يوضع فيها السراج.

٥. السباح: الكرم. رباح: ربح؛ حينما يسمح المخلوق بنفسه حتى تتصل نفسه بالخالق - وتفنى عن وجوده الدنيوي - يكون في ذلك ربح له.

٦. داعي الحقائق: حب الحقيقة الله تبارك و تعالى، المراد بالدعوة الى الاتصال بالله. غدا: ذهب في الصباح. راح: رجع في المساء. أى قَضُوا أَيَّامَهُمْ و حياتهم في الاتصال بالله.

٧. الحبيب في اصطلاح الصوفية عامة هو رسول الله (ص) وهنا هو الله تعالى!

حَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ
 فَتَهْتَكُوا لِمَا رَأَوْهُ وَصَاحُوا^١
 أَفْنَاهُمْ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ
 حُجُبُ الْبَقَا فَتَلَّاشَتْ الْأَرْوَاحُ^٢
 فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
 إِنَّ التَّشْبِيهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ^٣
 قُمْ يَا نَدِيمِ إِلَى الْمَدَامِ فَهَاتِيهَا
 فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتْ الْأَقْدَاحُ^٤
 مِنْ كَرَمِ أَكْرَامٍ يَدُنْ دِيَانَةٍ
 لِأَخْمَرَةٍ قَدْ دَاسَهَا الْفَلَاحُ^٥

ان روحه تنح الى حبيبه وقلبه يشتاقي اليه فوصاله سرورها وقربه لذة ورحمة للعاشقين انهم يحاولون اخفاء المحبة وكتانها، لكن الهوى يخونهم ويفضحهم ان باحوا بحبهم قتلوا و ابيحت دماؤهم وهذا هو ديدن العاشقين والمحبين ومنهجهم. لقد صافاهم الحبيب حبه ووصاله المصافاة نوراً، وامتلاّت سروراً. فكأنما فيها المشكاة والمصباح لقد طاب وقتهم بقربه، ولذّعيشهم بوصاله، وصفت مجالس انسهم به، فوارحمة لهم ان غلبهم الهوى على كتان اسرارهم المتأججة في نفوسهم، دعاهم الحبيب فحدايهم شوقهم اليه، فبدلوا له ارواحهم ولم ييخلوا بها، لأنهم أيقنوا ان بذلها والتماح بها هو الربح كل الربح والخير. وعين الخير ان طربهم وسرورهم هو ذكر الحبيب فزمانهم كله افراح ومسررات. لقد جذبهم اليه فانكشفت الحجب عنهم فتلاشت ارواحهم، وهذا هو الفلاح بعينه. أيها الناظر بعين البصيرة إذا لم تستطع ان تكون بمنزلتهم فعليك ان تتشبه بهم، على الاقل، لان التشبه بالكرام فلاح ونجاة. فقم يا نديمي اذن وهاتنا مدامة من كرم الكرم والإكرام مدامة عتقت بدن الدين والديانة لامدامة قد عملتها يد الفلاح وداستها رجله.

١. حَضَرُوا: أى حضروا في طور الولاية: أى شهدوا وادركوا حقيقة الله. غابوا عن شهود ذواتهم: غفلوا عن وجودهم الانساني. تهتكوا: باحوا في أثناء نشوتهم الصوفية بما لايجوز لهم أن يبوحوا به. صاحوا: اعلنوا ذلك على جميع الناس (مع أن هذا السر لا يطيقه إلا خاصة الخاصة من العارفين).
٢. أَفْنَاهُمْ عَنْهُمْ: أنساهم الله وجودهم الانساني. كُشِفَتْ لَهُمْ حُجُبُ الْبَقَا: رُفِعَ لَهُمُ السُّتْرُ الَّذِي يَحْجُبُ حَقِيقَةَ الْأُلُوْهِيَةِ عَنْ مَدَارِكِ جُمْهُورِ النَّاسِ. تَلَّاشَتْ الْأَرْوَاحُ: فَقَدْ الْجَسْمُ شَعُورَهُ الدُّنْيَوِيَّ (إِنَّ صَاحِبَهُ قَدْ اتَّصَلَ بِاللَّهِ وَأَصْبَحَ مَعَ اللَّهِ وَاحِدًا بِالْعَدَدِ).
٣. الْمَدَامُ: الْخَمْرُ: الْمُرَادُ هُنَا الْحَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةُ.
٤. الدنان: جمع الدنّ: الوعاء والمراد هنا القلب والقلب مركز حقيقة الحقائق.

النثر العربي في ايران حتى سقوط بغداد (٥٦٥٦هـ)

الفصل الاول: تطور النثر العربي في ايران

الفصل الثاني: كتاب العربية الفرس

الفصل الثالث: الشعراء الكتاب الفرس

تطور النثر العربي في ايران

الف) النثر العربي في ايران منذ البداية و حتى نهاية القرن الثالث^١ عندما انتشر الدين الاسلامي في ايران وجدنا كثيراً من الفرس جادّين في تعلّم و تعليم اللغة العربية و نشرها في هذه الفترة، مهتمّين بترجمة و نقل كثيرٍ من الكتب الفهلوية الى اللغة العربية، كما كان كثيرٌ من علماءهم يكتبون تأليفهم بالعربية ايضاً.

إذّن من اللازم أن ندرس بشكل دقيق اثر العربية باعتبارها لسان الدين الحاكم في الثقافة و الادب و العادات في ايران في هذه الفترة.

كان النثر العربي في بدايته ساذجاً بسيطاً سهلاً. ثمّ تطوّر شيئاً فشيئاً لفظاً و معنىً و ذلك بسبب تأثير القرآن الكريم. وقد استفاد المسلمون من القرآن الكريم الايجاز و التمثيل و غيرهما، اذا اطلقنا كلمة النثر العربي في هذه الفترة فإنّ مرادنا منها الرسائل الديوانية و الإخوانيات من جهة، و الكتب العلمية و الادبية من جهة أخرى. هذه الكتب التي تتضمّن مجوئاً في الادب و الاخلاق و التاريخ و تحتوى على الأمثال و القصص و نظائرها.

اذا نظرنا إلى الرسائل في صدر الاسلام و في زمن بنى امية بعد أن توسّعت رقعة البلاد الاسلامية وجدناها موجزةً: من هذه الرسائل رسالة كتبها النبي الى أكيدر دومة. من محمد رسول الله (ص) لإكيدر دومة:

١. انظر: تاريخ ادبيات در ايران ١/١٨٢؛ تاريخ الادب العربي لشوقي ضيف: ٤٦٦/٢ و ما بعدها.

إن لنا الضاحية^١ من الضَّحْلِ^٢ والبُورِ^٣، والمعامى^٤ وأغفال^٥ الارض، والحلقة^٦ والسلاح و[الحافر]^٧ والحصن^٨ ولكم الضامنة^٩ من النخل والمعين^{١٠} من المعمور^{١٠}، ولا تعدل سارحتكم^{١١} ولا تعدُّ فاردتكم^{١٢} ولا يُحظَرُ عليكم النبات^{١٣}، تقيمون الصلوة بوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك عهد الله والميثاق، [و لكم به الصدق والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين].

ومنها كتابُ عليٍّ (ع) الى جرير بن عبدالله البجلي لما ارسله الى معاوية. وفيها حمل معاوية على البيعة.

أبعد: فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل^{١٤}، وخذهُ بالأمرِ الجزم، ثم خيرةُ بينَ حربٍ مجليية^{١٥} أو سلمٍ مخزنية^{١٦}. فإن اختار الحرب فأنبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعة^{١٧}.

والبليغ في تلك الفترة كان نثره في منتهى الایجاز. وكان هذا الایجاز،^{١٨} تقليداً للكُهانِ والخطباء في العصر الجاهلي وللقرآن الكريم في العصر الاسلامي لأن السور الاولى من القرآن الكريم في منتهى الایجاز والقوة.

-
١. الضاحي: البارز والظاهر من الارض. وقيل الضاحية: اطراف الارض.
 ٢. الضحل: الماء القليل.
 ٣. البور: الارض التي لم تزرع.
 ٤. المعامى: الارض المجهولة.
 ٥. أغفال الارض: مالا اثر فيه من عبارة أو نحوها.
 ٦. الحلقة: الدروع.
 ٧. الحافر: الخيل، البراذين والبغال والحمير.
 ٨. الحصن: دومة الجندل.
 ٩. الضامنة: النخل الذي معهم في الحصن.
 ١٠. المعين من المعمور: الماء الذي ينسج من العين في العامر من الارض.
 ١١. لا تعدل سارحتكم: لا تصرف ماشيتكم وجمال عن المرعى، وقيل: لا تحشر الى المصدق.
 ١٢. الفاردة: ما لا تجب فيه الصدقة.
 ١٣. لا يُحظَرُ عليكم النبات: لا تمنعون من الرعى حيث شئتم.
 ١٤. الفصل: الحكم القطعي.
 ١٥. حرب مجليية: اى مُخرجة له من وطنه.
 ١٦. السلم المخزنية: الصلح الدال على العجز.
 ١٧. نهج البلاغه، شرح محمد عبده ٨/٢.
 ١٨. تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف ١/٢٢٠ وما بعدها.

في زمن بنى أمية و بعد أن اتّسعت رقعة العالم الاسلامي، حاول خلفاؤهم أن يستفيدوا من الفرس في ادارة دواوين الرسائل و الخراج، فكان الخراج مثلاً يكتب بالفهلوية ثم نقل الى العربية زمن عبدالمملك بن مروان بواسطة كاتب فارسيّ هو صالح بن عبد الرحمن.^١ فكان له اثر في النثر العربي لكن طريقة العمل فيه بقيت على الاسلوب الفارسي. لذلك نشاهد الجهشيارى بدأ كتابه الوزراء و الكُتّاب بمقدمة طويلة عن نظم الدواوين الفارسية، و بمرور الزمن كثر كُتّاب الدواوين و اشتهر منهم في زمن عبدالمملك روح بن زنباع الجذامي وقد وصفه عبدالمملك بأنّه فارسى الكتابة و لم يصل الينا شىء يذكر منه. وقد قال الجهشيارى عن صالح بن عبد الرحمن المذكور آنفاً: «كان عامّة كُتّاب العراق تلامذة صالح».

إنّ اول من وضع نظام كتابة الرسائل جبلة بن سالم بن عبدالعزيز مولى هشام بن عبدالمملك و كاتبه و كان استاذاً لعبد الحميد الكاتب و قد نقل كُتّاباً ادبيةً و تاريخيةً من الفهلوية الى العربية مثل قصة بهرام چوبين و كتاب رستم و اسفنديار.^٢ و هناك كاتب يأتي في الدرجة الثانية بعد جبلة بن سالم هو تلميذه عبد الحميد الكاتب الذى يعتبر أوّل من وضع اساس فنّ الترسُّل، و أوّل اسلوب كتابة الرسائل على ميزان صحيح و اصول معينة. «فهو الذى سهّل سبيل البلاغة في الترسُّل و مجموع رسائله مقدار الف ورقة و هو... أوّل من أطال الرسائل و استعمل التعميدات في فصول الكتب، فاستعمل الناس ذلك بعده»^٣.

وقد اتبعه كثير من الكُتّاب الفرس الكبار حتى في العصر العباسي، فقد تطوّر النثر العربي بشكل عام في ايران إلى اسلوب بحيث عدّ من أحسن اساليبه و ارقاها.^٤ استمرت الفنون الادبية التي كانت في عهد بنى امية ايام بنى العباس، و بقيت الخطابة مزدهرة أوائل عهودهم. و اذا نظرنا، الى أئمة الجماعات و الجمععه في ايران رأينا أنّ اكثرهم

١. الوزراء و الكُتّاب، ص ١٦ و ٣٨ و ٦٨؛ تاريخ الادب العربي، شوقي ضيف ٤٦٥/٢؛ تاريخ

ادبيات در ايران ١٨٣/١. ٢. الفهرست لابن النديم، ص ٤٢٤.

٣. وفيات الاعيان ٢٢٨/٣ (دار صادر - بيروت).

٤. انظر: تاريخ ادبيات در ايران ١٨٤/١.

من العرب المهاجرین و أنّ حُطَبَهُم تدور حول الوعظ و الحکمة و الزهد و التقوی^١ و قد امتلأت الکتب الكثيرة منها كما أننا نجد الوعظ في هذه الفترة (ای العصر الاموی)، يتخذون منها اداة ناجحةً ليلينوا بها قلوب الناس و يصدّوهم عن الغفلة و الغواية. و أمّا المهم في طول القرن الثاني و الغالب على ناصية ازدهار الترسل بين الفرس فإنّ الترسل لا يزال هو الغالب على نثر أدبائهم. و نرى رجالاً معروفين في القرن الثاني كابن المقفّع و عبد الحميد الكاتب و سهل بن هارون.^٢

و كان في القرن الثاني رسائل لم تكن في شؤون سياسية رسمية، بل في نصائح عامّة في الحرب مثلاً كما في رسالة كتبها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان الثاني الى ابنه عبد الله ولياً للعهد و والياً على الجزيرة.^٣

و من الکتب الفرس الکبار الذين برعوا بالكتابة في اللغة العربية هو حسن بن سهل السرخسی الذي كان يعتقد بأنّ من يريد أن يحذق الكتابة العربية يجب عليه أن يكون مطلعاً على الشعر العربي و تاريخ العرب و العجم إضافة الى علوم أخرى مثل الطبّ و الهندسة و الفروسية و غيرها.^٤

إنّ هذه الوصايا من قبل حسن بن سهل و عبد الحميد الكاتب و أمثالها أدّت إلى نقل الحکم الفارسية الى العربية الأمر الذي أدّى إلى وصول النثر العربي إلى ذروته و كماله في العصر العباسی، و من نتائج ذلك أنّ الکتب تنكّبا السجع و الايجاز و اتّخذوا الترسل وسيلةً و اسلوباً في بيان مفاهيمهم العلمية و الادبية.^٥

و ممّن نبغوا من الفرس بالكتابة العربية ابن المقفّع. فقد كان واسع الثقافة في اللغتين العربية و الفارسية، و قد جاء نبوغه في الكتابة من سهولة نثره و خلوه من التعقيد، فقد كان يختار الالفاظ السهلة غير المبتذلة و يبتعد عن الالفاظ غير الفصيحة.

١. الکتابة الفنیّة، ص ٩٥ و ما بعدها.

٢. المصدر نفسه، و کتاب رسائل البلغاء، ص ١٤٩-١٦٤.

٤. ضحی الاسلام ١/١٧١؛ زهر الآداب ١/١٤٢.

٥. تاريخ ادبيات در ايران ١/١٨٥.

إن الفرق بينه وبين عبد الحميد هو أن هذا الأخير قد وضع اصول الكتابة للرسائل بينما يعدّ ابن المقفع رائد كُتّاب العربية في التصنيف و التأليف،^١ لأن كتبه الاربعة الادب الكبير، الادب الصغير، رسالة الصحابة و كيلة و دمنه تعتبر ذات اثر عظيم في تطور النثر العربي؛ حيث نجد في الكتابين الأولين اثراً كبيراً من الثقافة الفارسية و النظم الساسانية. أما رسالة الصحابة فنجد ابن المقفع فيه ناضح العقل، قوئى الفكر، يشغل رأسه عقلٌ كبيرٌ، جاءه من تجاربه العديدة و ما أرشده اليه علمه بالتاريخ و تجارب نظم الفرس في الجند و القضاء و الصحابة و الخراج.^٢

أما الرابع و هو كيلة و دمنة فقد كان له اثرٌ كبيرٌ في الادب العربي حيث عنى الناس به عناية كبرى و حذوا حذوه من ذلك أن كثيرين نظموا [شعراً] نعرف منهم أباناً اللّاحقّ... ثمّ نظم ابن الهبّاريّة... و له نظم ثالث اسمه «درّ الحكم في امثال الهنود و العجم» اكمله عبد المؤمن بن الحسن الصاغاني، و هذا حذوه كُتّاب كثيرون، فابن الهبّاريّة ألف على منواله كتاب الصادح و الباغم. و ألف على منواله كتاب سلوان المطاع في عدوان الطباع، فاكهة الخلفاء و مناظرة الظرفاء و غيرها.^٣

و من الفرس المشهورين في النثر العربي بعد ابن المقفع، على بن عبيدة الريحاني المعاصر للمأمون العباسي، كان من البلغاء الذين اشتهروا بالحكمة في آثارهم و تأليفاتهم و لهذا السبب اتُّهمَ بتهمة الزندقة.^٤

و من الكتاب الفرس الذين اشتهروا بفصاحة النثر العربي سهل بن هارون «من دشت ميشان كور اهواز» و قد عدّه الجاحظ من ادباء العرب و علمائهم، و من آثاره كتاب تدبير الملك و السياسة و ديوان الرسائل.^٥

و من الولاة الكُتّاب عبد الله بن طاهر بن الحسين، و هو من مواليد إحدى و ثمانين و مائة للهجرة، و كان من الطبيعي منذ استوى عوده أن يقتنى اثار ابيه في نصرة الدولة

١. المصدر نفسه ١/١٧٦؛ ضحى الاسلام ٣/١٩٩ و مابعدھا.

٢. ضحى الاسلام ١/٢٠٣ و ٢١٥. ٣. المصدر نفسه ١/٢٢٠-٢٢١.

٤. زهراآداب ١/٢٤٨ و ٢٤٩. ٥. المصدر نفسه.

العباسية، و عند ما بلغ مطلع عقده الثالث بدأ يتقلب في المناصب الادارية و الحربية، فيستخلفه أبوه على الرقة و يجعله المأمون على شرطة بغداد و يوليه الجزيرة، و يمد له سلطانه من الرقة الى مصر.^١

و من بلغاء اصفهان ابو اسحاق ابراهيم بن ممشاذ، و كان من قرية جى (كانت قبل تلك رستاقياً قرب اصفهان و الآن اصبحت من احدى شوارع مدينة اصفهان) و هى قرية من قرى اصفهان، فخرج الى العراق و كتب للمتوكل ثم صار من ندمائه فسُمى المتوكل، كان احد بلغاء زمانه و له رسالة طويلة في مدح المتوكل و الفتح بن خاقان و كان شاعراً و له قصيدة تفيض بروح قومية ايرانية.^٢

كذلك نجد في القرن الثالث عدداً من كُتّاب العربية الفرس و في مقدمتهم ابن قتيبة و ابو حنيفة الدينورى.^٣

فالأول كان عالماً اديباً تأليفه متعددة النواحي تحتوى على ثقافات مختلفة يدل على ذلك كتابه: عيون الأخبار «و الحق أنه نقل التأليف في الادب نقلةً جديدةً من حيث الترتيب و قلة الاستطراد و تعمّد ذلك في كتابه و فخر به فقال: و قرنت الباب بشكل، و الخبر بمثل، و الكلمة بأختها، ليسهل على المتعلم علمها و على الدارس حفظها. و يذكر أنه وضع كتاب الطبائع و الاخلاق بعد كتاب السؤدد (و هما بابان من ابواب هذا الكتاب) لأنه مقارب له، و قد التزم ذلك فقلّ أن يخرج عن موضوعه في غير مشاكلة و تقارب فهو بذلك - من حيث منهج التأليف - ارقى من البيان و التبيين و الكامل».^٤

«و اذا كان الكتاب اكثر ترتيباً كان مزج الثقافات فيه اكثر وضوحاً، فكما يضمّ الشيء إلى مثيله كان يضمّ ثقافة أمة في شيء خاص إلى ثقافة الامة الأخرى فيه».^٥

كذلك يمثل كتابه أثر الثقافة الفارسية و الهندية في الادب العربي، «فنحن اذا استعرضنا فيه - كتاب السلطان و سيرته و المشاورة رأيناها يُكثّر النقل عن الفرس و الهند

١. تاريخ الطبرى ٨/ ٥٨٠: الكامل ١٩٧/٥.

٢. معجم الادباء ٢/ ١٦ و مابعدھا؛ تاريخ ادبيات در ايران ١/ ١٩٣.

٣. معجم الادباء ٣/ ٢٧-٢٨؛ تاريخ ادبيات در ايران ١/ ١٨٨.

٤. ضحى الاسلام ١/ ٤٠٤. المصدر نفسه ١/ ٤٠٥.

مما يدل أن الادب العربي في هذا الباب اكثر تأثراً بهاتين الأمتين»^١.

أما ابو حنيفة الدينوري احمد بن داود فقد كان ذا ثقافة علمية وادبية واسعة و كان يُقرن في بلاغته بالجاحظ، و كان الناس يختلفون في أيهما ابلغ «و يتحاكمون الى ابي سعيد السيرافي فيقول: ابو حنيفة اكثر ندارة و ابو عثمان اكثر حلاوة؛ و معاني ابي عثمان لائنة بالنفس، سهلة بالسمع، و لفظ ابي حنيفة اعذب و اعرب و ادخل في اساليب العرب... جمع بين حكمة الفلاسفة و بيان العرب... اشتهر بالكتابة في النبات و ربما كان كتابه فيه اظهر بشيء في المزاج. و مع الاسف لم يصلنا كتابه هذا، و لكن نقل منه الكثير في المخصص لابن سيده، و في مفردات البيطار، و لم يقتصر فيه على نباتات العرب بل ذكر نباتات تنبت في «الاقطار الاخرى» و قد وصل اليها من كتبه كتاب الاخبار الطوال، في التاريخ و فيه معلومات كثيرة عن علاقة العرب بالفرس.^٢

و من ادباء هذه الآونة طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق و كان من ذوي اللسانين، فكان يعرف الفارسية، كما كان يعرف العربية، و لا تزال له في لغة الضاد عدة آثار في التوقيعات و الرسائل و الخطب و المحادثة.^٣

و من كتّاب العربية الفرس الذين كانوا يعيشون في القرن الثالث:^٤ محمد بن عاصم بن يحيى الاصفهاني، و ابو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، و غيرهم من المتصوفين، كأحمد بن علوية الكرمانى الاصفهاني، و ابي القاسم الكعبي البلخي؛ و من المتكلمين كابي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني، و سائر العلماء الكُتّاب الذين تركوا آثاراً ثمينة و كتباً قيّمة أثرت في الادب العربي أثراً عظيماً، و نمت بها الثقافة الاسلامية، و بعد تطور الحضارة الاسلامية في القرن الرابع و الخامس و السادس برز جمعٌ غفير من الجهابذة في الادب و الفنون الجميلة و العلوم المختلفة في ايران و سائر البلاد الاسلامية.

١. المصدر نفسه ٤٠٥/١-٤٠٦.

٢. المصدر نفسه ٤٠٦/١-٤٠٧.

٣. تاريخ الطبرى ٨/٤١٠، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٩، ٤٩٤ الى ٤٩٦؛ مقدمة ابن خلدون، ص ٢٧٣؛

الكتابة الفنيّة، ص ٩٧ و ما بعدها.

٤. انظر: الكتابة الفنيّة، ص ١٦١.

ب) النثر العربي في ايران من القرن الرابع الى سقوط الدولة العباسية (سنة ٥٦٥هـ) يعتبر القرن الرابع والخامس أهمّ الفترات في ظهور كُتّاب العربية و شعرائها الفرس و في بلوغ الادب العربي ذروته من الكمال على يد هؤلاء. و كان كثير من هؤلاء إضافة إلى المؤرخين يحظون بمكانة مرموقة في قصور الأمراء و الحكام. و قد برع بعضهم في الادب العربي و خاصة في نثره كالشهيد البلخي، و ابن سينا، و شمس المعالي قابوس بن وشمكير، و ابى الفتح البستي، و ابى نصر المشكان و غيرهم. و كان الوزراء الفرس لهم دورهم الخاص في تشجيع امثال هؤلاء؛ كما أنّ اسلوب تعليم اللغة العربية و آدابها في هذين القرنين كان بشكل ينمي ملكة الانشاء عند الطالب مما سبّب ظهور عدد كثير من الكُتّاب في هذه الفترة.^١

ففي القرن الرابع و الخامس كان هناك اسلوبان في النثر العربي: النثر المرسل و النثر المصنوع المتكلف.

الأسلوب الاول هو اسلوب ابى حيان التوحيدى و أمثاله، الاسلوب الذى كان يتبعه العلماء و المؤرخون، و أمّا أسلوب الادباء مثل صاحب بن عبّاد و بديع الزمان فكان اسلوباً متكلفاً مسجوعاً مشحوناً بالصناعة اللفظية.^٢

إنّ كُتّاب العربية و مؤرخيها الفرس، امثال الثعالبي و ابى الفرج الاصفهاني و حمزة الاصفهاني و غيرهم، كانوا يتبعون طريقة ابى حيان التوحيدى في الكتابة. اللهم إلا اذا إستثنينا قليلاً منهم مثل العتبي الذي جعل تاريخه ميداناً للصناعات الادبية.

من الجدير بالذكر أنّ النثر العربي في القرن الرابع و النصف الاول من القرن الخامس كانت تطغى عليه الصناعة الادبية بخلاف القرن الثاني و الثالث و اوائل القرن الرابع، فإنّ كُتّاب العربية الفرس في هذين القرنين كانوا متأثرين بالادب الفهلوى، البعيد عن الصناعة الادبية، فكانت آثارهم النثرية في هذه المدّة خاليةً من كلّ تكلف و تصنع، كان همّهم بيان المعنى في ألفاظ سهلة عالية، أمّا في القرن الرابع و الخامس فكان الكُتّاب يصرفون جُلّ

١. انظر: تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٣٧.

٢. معجم الادباء ٦/١٩٠.

اهتمامهم الى العناية بالألفاظ والصناعة الادبيّة.^١

إنّ كتابة الرسائل كانت سبباً في شيوع الصناعات الادبية في النثر العربي خاصةً عند كُتّاب العربية الفرس، وقد أثر ذلك في البلاغة العربية تأثيراً واضحاً، كما أنّ السّجع دخل ايضاً في النثر الفارسي متأثراً بالنثر العربي.

فالقاضي حميد الدين البلخي قد قلّد بديع الزمان والحريري في مقاماتها لكنه كان متأثراً بالاول اكثر من الثاني،^٢ فالرسائل السلطانية و الإخوانية كانت ميداناً واسعاً للصناعات الادبية و التلاعب بالالفاظ و العبارات و ترادفها على معنى واحد و كان الكُتّاب في دواوين الوزراء و الامراء يتسابقون في هذا الميدان.

فالقرن الرابع كان قرناً ممتازاً في تنوّع النثر و اختلاف موضوعاته، فهناك النثر العلمي و الديني و الادبي.

و يعتبر الوزير ابن العميد، عميد كُتّاب العربية الفرس في هذه الفترة، كان اكثر ندمائه من الكُتّاب مثل ابي محمد هندو، و ابن مسكويه، و ابن سمكة و ابو عبدالله كله يمزجون العلوم العقلية بالادب. و كان هؤلاء كُتّاباً في السابق في ديوان ما كان كاكى. تأتي اهمية ابن العميد من استعماله الصناعات اللفظية في المعاني الدقيقة حيث وصل في ذلك إلى درجة من البلاغة بحيث جاء بالدرجة الثانية بعد عبد الحميد حتى قيل: بُدِءَتِ الكِتَابَةُ بعبد الحميد و خُتِمَتِ بابن العميد. أمّا الفارق بين الاثنين فهو الاسلوب في الكتابة، فالاول نثره مرسل و الثاني نثره مصنوع مسجوع.^٣

من اهم كُتّاب العربية الفرس في هذه الفترة تلميذ ابن العميد صاحب بن عبّاد فبالإضافة إلى مسؤولياته الإدارية و السياسية كان عالماً و اديباً و متكلماً طريقتة في الانشاء في كتبه و رسائله و خاصةً السلطانيات و الإخوانيات يطغى عليها السجع و الصناعات اللفظية.^٤

١. انظر: تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٣٧.

٢. انظر: سبک‌شناسی، ملک الشعراء بهار ٢/٣٢٦ و ٣٢٧.

٣. انظر: کمال البلاغة لعبد الرحمن بن علي اليزدادي، ص ٤١.

٤. معجم الادباء ٦/١٦٨-٣١٧؛ انظر: رسائل صاحب، طبع مصر، ١٩٤٧م.

ومن كُتّاب العربية الفرس ايضاً الاديب المعروف أبو بكر الخوارزمي (٣٨٢م). كان مُلمّماً بالادب ومحيطاً به إضافةً إلى كونه من الشعراء المقلّين. اشتهر بكتابة الرسائل الاخوانية لانه لم يكن ذا منصب في الدولة تصدر عنه الرسائل الى الحكام والأمرء، بل كان اديباً حرّاً في ادبه وفضله.^١

وأسلوبه فيها اسلوب مسجوع، سَجْعُهُ لا يتصف بتلك النغمة الجميلة، فهو فيها يتّصل بكتّاب القرن الثالث من جهة ومعاصريه من كُتّاب القرن الرابع من جهة أخرى. كان بديع الزمان الهمداني من نوابغ الادب العربي ايضاً في هذه الفترة، خاصةً في النثر المتكلف المصنوع. كان معاصراً للخوارزمي اخترع فنّ المقامة وله رسائل كثيرة وقد قال شعراً كثيراً - مستقلاً - وفي مقاماته، كما أنه أبقى لنا شعراً في الفارسية نقله لنا العوفي في لباب الالباب.^٢

ابو نصر العتبي (٤٢٧م). هو الآخر من كُتّاب العربية الفرس الممتازين في النثر المصنوع في القرن الرابع واولئ الخامس، خُلف لنا كتاباً في التاريخ حتى سنة ٤١٢هـ عُرف بتاريخ اليميني، ضمّنه حوادث سلطنة سبكتكين وحمود الغزنوي. وقد نقل ابو شرف ناصح بن ظفر الجرفادقاني هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بنثر مصنوع متكلف.

من نوابغ العربية ايضاً في هذا العصر قابوس ابن وشمكير، أحد الملوك القلائل في تاريخ اللغة العربية الذين «توفّروا على الثقافة العربية دراسةً وحفظاً و تناولاً، ثمّ فاضت قرائحهم بعد ذلك عطاءً خصباً، وإنتاجاً رفيعاً في ميدان الأدب العربي بشطريه النثر والشعر»،^٣ إضافةً الى الشعر في اللغة الفارسية. اورد منه العوفي في كتابه لباب الالباب. وله مجموعة رسائل جمعها ابو الحسن اليزدادي، باسم كمال البلاغة.^٤

من كُتّاب العربية الفرس المعروفين في هذين القرنين ابوحيان علي بن محمد ابن

١. تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٤٠.

٢. معجم الادباء ١٦١/٢ - ٢٠٢.

٣. بديع الزمان الهمداني، ص ١١٣ (مصطفى الشكعة)؛ لباب الالباب ١/٣٠ طبع ليدين.

٤. كمال البلاغة: اكثر صفحاته، طبع ميثم تمار، اصفهان؛ لباب الالباب ١/٣٠.

العباس التوحيدى،^١ كان اديباً مفكراً لم يفنون معرفة عصره ثم جمعها في كتبه، تتسم كتابته بحسن التنظيم و سهولة الانشاء و العناية بالافكار و المعانى عنايته بالتراكيب و الالفاظ حتى عدّوه الجاحظ الثانى. من كتبه: الإمتاع و المؤانسة و الهوامل و الشوامل و مثالب الوزيرين و بصائر القدماء و سرائر الحكماء و رسالة في الصداقة و الصديق.

و من كُتّاب العربية و مؤرخيها الفرس المشهورين في هذا العصر، ابوالفرج على بن الحسين بن محمد الاصفهاني صاحب كتاب الاغانى. كان واسع الثقافة في العربية، قال التتوخى: و من المتشيعين الذين شاهدناه ابوالفرج الاصفهاني، كان يحفظ من الشعر و الاغانى و الاخبار و الآثار و الاحاديث المسندة و النسب مالم أرقطّ من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من علوم آخر منها: اللغة و النحو و الخرافات و السّير و المغازى.... وله شعراً يجمع اتقان العلماء و احسان الظرفاء الشرفاء.^٢ له كتب كثيرة منها: الأغاني، و متانل الطالبين.

ظهر في هذا العصر كُتّاب آخرون ممتازون من اصل فارسى أغنوا اللّغة العربية و تراثها الادبى بما قدّموا لها من آثار نفيسة لاجمال للحديث عنهم و عنها في هذا البحث المقتضب^٣ منهم: ابن النديم صاحب الفهرست؛ و ابوهلال العسكرى صاحب الصناعتين و ديوان المعانى و جمهرة الامثال؛ و حمزة الاصفهاني صاحب تاريخ سنى ملوك الارض و الانبياء؛ و ابن مسكويه صاحب تجارب الامم.

١. معجم الادباء ٥/٥٢٠-٥: تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٤٢.

٢. وفيات الاعيان ٣/٣٠٧؛ معجم الادباء ١٣/٩٤-١٣٦.

٣. تاريخ ادبيات در ايران ١/٦٤٢.

الفصل الثاني

كتاب العربية الفرس

١. عبد الحميد الكاتب (م ١٣٢هـ)

هو ابو غالب عبد الحميد بن يحيى كان يعرف بعبد الحميد الاكبر تمييزاً له من عبد الحميد الاصغر كاتب سليمان بن عبد الملك، كان مولده في مدينة الانبار سنة ٦٠هـ على نهر الفرات، وكانت نشأته في الشام. ولم يكن عربياً بل كان فارسياً والدليل على ذلك ثقافته الفارسية الممتازة، فقد حوّل النثر العربي الى صورة جديدة، لم تكن له من قبل وذلك بسبب اطلاعه المحيط على الفهلوية ومناهجها واساليبها.^١

قال ابو هلال العسكري^٢ «كان عبد الحميد الكاتب استخراج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها الى اللسان العربي... واذاف يقول: انّ تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها وللفرس امثالٌ مثل امثال العرب معنى وصيغة. وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي....»

وقد عدّه صاحب العقد الفريد ممّن نبّل بالكتابة و كان قبل خاملاً. وهذا بسبب قدرته على نقل كلام الفرس الى العربية واطلاعه على مناهجهم واسلوبهم وسياستهم وسلوكهم، فقد كان حلقة الوصل بين الادب العربي في الجاهلية والاسلام من طرف واللغة الفارسية والفهلوية من طرف آخر.^٣

٢. انظر: ديوان المعاني ٨٩/٢.

١. العقد الفريد ٢٤٧/٤.

٣. العقد الفريد ٢٥٢/٤.

المختار من رسائله

و من رسائله المعروفة رسالةً طويلةً في نصيحة ولى العهد عبدالله بن مروان لما خرج الضحاك على الامويين:

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك الى عدو الله الجلف الجافي أحب أن يعهد عهداً يحملك فيه ادبه و يشرح لك عظته، وإن كنت - والحمد لله - من دين الله و خلاقته بحيث اصطنعك لولاية العهد.....

واعلم أن للحكمة مسالك تُقضي مضائق أوائلها الى سعة عاقبتها وقد سَلَقْتُكَ اخلاقُ الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها... واعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصائد مكيدته فاحذرهما مجانبا... وجاهدهما اذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه، وحرز نافذ لا متشوية لرأيك بعد اصداره عليك، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه. فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقي لسان الصدق بالحدّر...»^١

رسالة الى الكتاب

«أما بعد، حفظكم الله، يا أهل صناعة الكتابة... فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين (ص) وبعد الملائكة المقرئين أصنافا - وإن كانوا في الحقيقة سواء - وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وابواب رزقهم. فجعلكم - معشر الكتاب - في أشرف الجهات، أهل الآداب والمروءات. بكم تنظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها... فوقِعْكم من الملوك موقع أسماءهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون.

فتنافسوا - يا معشر الكتاب - في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل، ثم العربية فأنها ثقاف ألسنتكم. ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وآزروا الأشعار وأعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ماتسمو اليه هممكم. لا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج.

وارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا.. وَنَزَّهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَائَةِ وَارْزَأُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالتَّمِيمَةِ.

وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ الْيَقِينُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ، وَإِنْ تَبَا الزَّمَانُ بَرَجُلٍ مِنْكُمْ فَاعْظُمُوا عَلَيْهِ وَوَسَّوهُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ... وَإِنْ أَعَدَّ أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبْرُ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَزُورُوهُ وَعَظُمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ رَأْيِهِ وَتَجْرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلْيَكُنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَا اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحْوَجَ مِنْهُ عَلَى وَكَلْدِهِ وَأَحَبَّ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشَّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهَا، وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ....»

ومن رسائله المختصرة التي كتبها إلى بعض العمال وقد ذمّه على ما فعل لأنه كان قد أهدى عبداً أسود إلى مروان بن محمد فاستقله هذا. فقال لعبد الحميد اكتب إلى هذا العامل كتاباً مختصراً وذمّه على ما فعل فكتب إليه: «لَوْ وَجَدْتُ لَوْناً شَرّاً مِنَ السَّوَادِ وَعَدَدًا مِنَ الْوَاحِدِ لِأَهْدِيْتُهُ وَالسَّلَامِ»^١.

ومن كلامه أيضاً: القلمُ شجرةٌ ثمرُها الالفاظُ، والفكرُ بحرٌ لؤلؤُه الحكمةُ. وفي رسالة له: «والناسُ أخفافٌ^٢ مختلفون واطوارٌ متباينون، منهم علقٌ^٣ مَضَنَّةٌ^٤ لا يُبَاعُ، وَغِلٌّ مَظَنَّةٌ لا يُبْتِغُ». وكتب على يد شخص كتاباً بالوصاية عليه إلى بعض الرؤساء فقال: «حقٌ موصلٌ كتابي إليك عليك كحَقِّهِ عَلَيَّ، إِذْ رَأَيْتُكَ مَوْضِعاً لِأَمَلِهِ، وَرَأَيْتُ أَهْلًا لِحَاجَتِهِ، وَقَدْ انْجَزْتُ حَاجَتَهُ، فَصَدَّقَ أَمَلَهُ»^٥.

ومن كلامه: «خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه يكرًا».

٢. ابن المقفع (م ١٤٢هـ)

ليس من غرضنا هنا ان نتعمق في حياة ابن المقفع مستقصين احواله، باحثين فيها من مهده

١. وفیات الاعيان ٣/٢٢٨.

٢. الاخفاف من الناس: الضروب المختلفة الاخلاق والاشكال. ويقال: الناس أخفاف.

٣. العلق: النفيس من كل شيء يتعلق به القلب والجمع الاعلاق.

٤. ضن به: بخل به بخلاً شديداً.

٥. المصدر نفسه.

الى لحدّه بل هدفنا هو ان نسلط الضوء على النقاط الرئيسة من صفاته وميزاته التي اتصف وتميز بها وخاصة تلك التي تمس عقله الدقيق وتفكيره العميق، آمليين من هذا البحث الموجزان نتعرف اثاره الفنية وما خلفه لنا فيها من معان دقيقة عميقة واسعة.

كان عبدالله بن المقفع من اصل فارسي سمي بذلك بعد ان اسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور. وكان اسمه قبل ذلك «روزبه بن داؤديه». نشأ وترعرع في البصرة وخالط العرب هناك واخذ عنهم. اتصل بالولاة والامراء فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وكان واليا على العراق من قبل مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين، ثم كتب لآخيه داود بن عمر بن هبيرة، ثم اتصل بعيسى بن علي بن عبدالله بن عباس عم السفاح والمنصور وكتب له واختص به واسلم على يديه.

«قال الهيثم بن عدى: جاء ابن المقفع الى عيسى بن علي فقال له قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك.

فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر. ثم حضر طعام عيسى عشيه فجلس ابن المقفع ياكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له: اترمزم وانت على عزم الاسلام، فقال: كرهت ان ابنت على غير دين»^١

وقد قتل سنة ١٤٢هـ او ١٤٣هـ او ١٤٥هـ على خلاف في ذلك «لتشديده - على مايقول كثير من المؤرخين في كتابة صيغة الامان التي وضعها ابن المقفع ليوقع عليها ابوجعفر المنصور امانا لعمه عبدالله بن علي فافرط في الاحتياط فيها، حتى لايجد المنصور منفذا فيها للاخلال بعهدة فغاظ المنصور ذلك فاوعز بقتله»^٢

كان ابن المقفع ذاتثقافة فارسية عميقة واسعة امتزجت بلقاح عربي فانتجت ما انتجته من ادب جم غزير فارسي المعنى عربي الاسلوب.

وكان «من اقوى الشخصيات في عالم الادب العربي، قويا في خلقه، قويا في عقله

١. الادب الكبير والادب الصغير - المقدمة نقلًا عن وفيات الاعيان، ص ٦٠٥؛ ضحى الاسلام ١٩٦/١.

٢. ضحى الاسلام ١٩٥/١-١٩٦.

وسعة علمه، قويا في لسانه»^١ هذا ما قاله المورخون ونقلوه لنا في حق ابن المقفع وما تفيدنا به كتبه التي خلفها لنا.

فاما في كرمه ونبل خلقه فيقول الجهشيارى «كان سرياً سخيا يطعم الطعام ويتسع على كل من احتاج اليه، وكان قد افاد من الكتابة لداود بن عمر مالا، فكان يجرى على جماعة من اهل البصرة والكوفة ما بين الخمسمائة الى الالفين في كل شهر»^٢ ثم هو غزير الثقافة، دقيق المعاني، قوى العقل والتفكير يقول أحمد امين:^٣ «ثم هو واسع الاطلاع، مضطلع باللسانين العربى والفارسى نقل خير ماراى باللغة الفهلوية، الى اللسان العربى، وهو عزيز المعانى اذا كتب ليست كتابته جوفاء - ككثير من كتابات الناس - يعنى في اختيار المعنى ثم يعنى في اختيار اللفظ له. قالوا:^٤ «كان قلم ابن المقفع يقف فقيل له في ذلك فقال: ان الكلام يزدحم في صدرى فيقف قلمنى لتخيره». «خلف لنا ابن المقفع بعض الاثار الادبية الفنية منها الادب الكبير والادب الصغير وكتاب اليتيمة والاخير هو غير كتاب الادب الكبير على ما يرى بعض^٥ الباحثين وله على ذلك ادلة. والكبير والصغير وصفان للكتابين لا للادب. اما الادب الصغير فيحوى كلمات حكمية في الاخلاق هى عبارة عن فيض خواطر الفكر، وعصارة تجارب صيغت في عبارات رشيقة رقيقة ممتعة، وكلمات وجيزة موجزة تشبه الامثال.

من ذلك قوله «اربعة اشياء لا يستقل منها القليل: النار والمرض والعدو والدين»^٦. ومنه «لاتعد غنيا من لم يشارك في ماله، ولاتعد نعيما ما كان فيه تنغيص وسوء ثناء؛ ولاتعد الغنم غنما اذا ساق غرما، ولا الغرم غرما اذا ساق غنما؛ ولاتعتمد من الحياة ما كان في فراق الاحبة»^٧.

١. المصدر نفسه، ص ١٩٧.

٢. المصدر نفسه، ص ١٩٧ نقلا عن الجهشيارى، ص ١١٧.

٣. المصدر نفسه، ص ١٩٨.

٤. المصدر نفسه، ص ١٩٨ نقلا عن زهر الادب ١٠٤/٢.

٥. يرى الدكتور احمد امين ذلك - ضحى الاسلام ١/١٩٩.

٦. الادب الصغير، ص ١٥١. ٧. المصدر نفسه، ص ١٥٦-١٥٧.

ومنه «وعلى العاقل اذا اشتبه عليه امران فلم يدر في ايهما الصواب ان ينظر اهواما عنده فيحذره»^١.

ومنه «لايومنك شر الجاهل قرابة ولاجوار ولا الف. فان اخوف ما يكون الانسان لحريق النار اقرب ما يكون منها. وكذلك الجاهل: ان جاورك انصبك، وان ناسبك جنى عليك، وان الفك حمل عليك ما لا تطيق، وان عاشرك آذاك واخافك. مع انه عند الجوع سبع ضار، وعند الشبع ملك فظ، وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم. فانت بالهرب منه احق منك بالهرب من سم الاساود والحريق المخوف والدين الفادح والداء العياء»^٢.

لو تعمقنا هذه الحكم وامثالها في الادب الصغير لالفينا عدم الترابط بينها واضحا لانها - كما قلنا عصارات تجارب مختلفة في اوقات مختلفة يوحىها الفكر الى القلم حيث يعثر. وانى يعثر عليها فبعضها في محاسبة النفس و بعضها في الصديق، و بعضها دينية، و بعضها اجتماعية، و بعضها نفسية الى غير ذلك. كما ان طريقة ابن المقفع في تأليفها مختلفة فهو تارة ينشى الشيء من غير اسناد، و أحيانا يقول: وقالت الحكماء: و أحيانا تجد قبل الحكمة كلمة «وقال» مما يدل على انه لم يضعها هو في هذا الموضع»^٣.

ان الينبوع العذب الزلال الذى ارتوى منه ابن المقفع ثم رسمه لنا بريشته البارعة بصورة كلمات حكمية، أو قل: إن ما خلفه لنا من ثقافة غنية غزيرة واسعة قد استمدته من الثقافة الفارسية العريقة اما القليل منه فمن الثقافة العربية.

اما الادب الكبير فهو كذلك كلمات حكمية ونصائح بليغة ولكنها مرتبة، ومن حيث المجموع اطول من كلمات الادب الصغير تضم بين سطورها موضوعين بحثهما ابن المقفع بحثا حسنا.

الاول حول السلطان والولاية ومن يتصل بهما، لأنه كان متصلا بهم في حياته - كما مر بنا - مطالعا على دخائلهم عارفا حالاتهم ونفسياتهم، ومعلوم ما قد يعترى مثل هذا الانسان من أحداث مختلفة تقلق نفسه، وتزعج تفكيره وقد استغرق هذا الموضوع القسم

٢. المصدر نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

١. المصدر نفسه، ص ١٢١.

٣. ضحى الاسلام ١/٢٠١.

الاول من الكتاب «وقد جمع فيه مآثور الأولین وتجارب الآخريين الى ما منحه الله من دقة نظر وحسن اداء».

والثاني حول الصداقة، وقد كان ابن المقفع «يرى في الاصدقاء عماد الحياة ومرآة النفس، يفضي اليهم وحدهم بينات صدره، ودخائل نفسه، ويضع عندهم وحدهم مكنونات سره، ويضع عنه مؤونة الحذر والتحفظ»^١ ومن اجل ذلك جعل شروط الصديق والصداقة ثقيلة ونصح بالتزام الدقة والأخذ بها في اختيار الصديق.

فها يمت الى الوالي والولاة قوله:^٢ «حق الوالي ان يتفقد لطيف أمور رعيته فضلا عن جسيمها، فان لللطيف موضعا ينتفع به، وللجسيم موضعا لا يستغنى عنه. ليتفقد الوالي - فيما يتفقد من أمور رعيته - فاقة الأخيار والأمراء منهم، فليعمل في سدها، وطغيان السفلة منهم فليقمعه، وليستوحش من الكريم الجائع، واللئيم الشبعان، فانما يصل الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع».

ومما يمت الى الصديق والعدو بصلة «احفظ قول الحكيم الذي قال: ليكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء. وذلك ان العدو خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكام، وان الصديق ليس بينك وبينه قاض، فانما حكمه رضاه». وقوله^٣ «إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة، أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه: إما بالمواساة فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان فتحتمل العار، فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وأثر مروءتك على ما سواها، فان نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها فاجمل، فلعل الإجمال يسعك لقللة الإجمال في الناس».

ومن الاثار الادبية الفنية التي خلفها لنا ابن المقفع «رسالة الصحابة» وهي رسالة ذات قيمة أدبية وسياسية كبرى رفعها إلى المنصور ونقد فيها نظم الحكم ووجوه اصلاحه وهي تتضمن:

اولاً: ما يخص حال الجند وخاصة الجند الخراسانية لأن اعتماد الدولة و تأسيسها كان عليهم، ففيها يمدح ويشن على الجند، ويجلب انتباه الخليفة العباسي إلى أمور مهمة فيما

١. المصدر نفسه. ٢. الادب الكبير والادب الصغير، ص ٣١.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٥ و ٦٩.

يخص الجند تنهى إلى إصلاحهم، وبالتالي إصلاح البلاد، من هذه الامور تثقيفهم و تعيين أكفاهم وأجدرهم للقيادة، وإبعادهم عن الشؤون المالية و تعيين وقت محدد يقبضون فيه أرزاقهم وغيرها.

ثانياً: جلب انتباه الخليفة إلى الإعتماد على أهل العراق وخاصة البصريين والكوفيين.

ثالثاً: نقد القضاة والولاة واقترح ان يوضع قانون رسمى موحد رائده العدالة واصلاح المملكة الاسلامية تجرى عليه أمور البلاد في جميع انحاءها. ولرأى ابن المقفع هذا «قيمته و وجاهته، وهو يتفق في كثير من نواحيه والآراء الحديثة في التشريع، ولو عمل به المسلمون لكان له أثر كبير في الحالة الاجتماعية وخاصة من الناحية القضائية»^١

رابعاً: عطف نظر الخليفة إلى اهل الشام، وأوصاه ان يصطنع خيارهم كما نصحه ان لا يبخل بالمال عليهم وأن ينفق عليهم ما جمع من بلادهم ففى ذلك خير للدولة وتقوية لها وتدعيم لقدرتها وصالح للرعية.

خامساً: تكلم حول بطانة الخليفة ورجال دولته، وبيّن الشروط التى يجب أن يتحلّى بها هؤلاء، لأنهم اذا لم يكونوا كما قال ووصف واشترط يكونون داعية للشر، طاردة للخير. وتكلم ايضا في هذه الرسالة حول الخراج وهو أساس مالية الدولة وبيّن الفوضى التى يضطرب فيها كما بين سابقا فوضى القضاء.

يتبين من هذه الرسالة ان ابن المقفع عرض لأهم المسائل التى كانت تشغل أصحاب العقول والمدبرين ومن يتوخون الاصلاح والعدالة في عصره. وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد أمين:^٢ «و منها نرى ان ابن المقفع كان ناضج العقل في رسالته قوى الفكر، شاعرا بوجوه الضعف في الدولة، ميالا إلى إصلاحها، ولو عرفنا أنه قُتل و لمّا يتجاوز الاربعين من عمره، عرفنا قدر نبوغه و عرفنا أي عقل كبير كان يشغل رأسه».

١. ضحى الاسلام ١/٢١٥.

٢. المصدر نفسه ١/٢١٥.

ومن الآثار الادبية الفنية الممتازة التي خلفها لنا ابن المقفع كيلة ودمنة. اختلفت آراء الباحثين بصورة عامة فيما يتعلق به أصلا و ترجمة، و ليس من قصدنا هنا الخوض فيها و مناقشتها، إنما محل ذلك الكتب المطولة والبحوث المفصلة. وإنما الذي يتعلق بموضوعنا هو نظرة عامة الى محتوى الكتاب و هدف ابن المقفع منه. السبب الذي دعى ابن المقفع الى ترجمة الكتاب هو ميله الى الاصلاح الاجتماعى الذى طالعناه في الادب الكبير والصغير و رسالة الصحابة.

ان ابن المقفع في كتاب كيلة ودمنة قد شرح بعض النواحي الاجتماعية شرحا مفصلا و تعمق في دراسته للحياة الاجتماعية تعمقا انتهى به الى استنكار كثير منها، لكن الحرية السياسية في عصره لم تكن موجودة حتى يتهدى له ان يبدي آراءه و نصحه و نطقه لأن المنصور - وهو مؤسس الدولة العباسية - كان يقتل و يسفك الدماء على التهمة والشبهة، و ابن المقفع نفسه كان من ضحاياه الكثيرين «فرائى أن اسلم طريقة أن يترجم هذا الكتاب و يزيد فيه ليعمل الكتاب في الخلفاء و الرعية ما فعله كيلة ودمنة في الهند و فارس. و لعل هذا هو الغرض الرابع الذى أخفاه في مقدمة الكتاب و لم يصرح به فقد جاء فيها «ينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم الى أربعة اغراض: أحدها ما قصد فيه الى وضعه على السنة البهائم غير الناطقة، ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان..... والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسأ لقلوب الملوك و يكون حرصهم عليه أشد للزهوة في تلك الصور. والثالث أن يكون على هذه الصورة فيكثر بذلك انتساخه و لا يبطل فيخلق على مرور الأيام لينتفع بذلك المصور و الناسخ أبداً. والغرض الرابع وهو الأقصى و ذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة^١» و سكت - ابن المقفع عن هذا الغرض الرابع و لم يبينه وهو - من غير شك غرضه من ترجمته لهذا الكتاب، وهذا الغرض هو إسداء النصح للخلفاء و إظهارهم على مساوىء بعض الخاصة و البطانة، و ارشاد الرعية الى تمييز الظلم من العدل و معرفتها ليطالبوا بحقوقهم.

أثر هذا الكتاب في الادب العربي تأثيرا كبيرا فقد أدخل فيه القصص على السنة

الحيوانات، ووضع الأمثال والعظات والنصائح، وأجراها على ألسنتها. وقد عُنيَ به كثير من الأدباء وحذوا حذوه نثراً ونظماً فقد نظمته كثيرون منهم: أبان اللاحقي، وابن الهُبَّارِيَّة. واقتنى أثره كثيرون فألَّفوا على منواله منهم: ابن الهُبَّارِيَّة أيضاً في كتابه «الصادح والباغم»؛ وأبو عبدالله محمد بن أبي قاسم القرشي في كتاب «سلوان المطاع في عدوان الطباع»؛ وابن عريشاه في كتابه «فاكهة الخلفاء و مناقرة الظرفاء» و ترجمته لكتاب «مرزبان نامه» من الفارسية.

مختاراتٌ من كتاب كليلة و دمنة

كتاب كليلة و دمنة: هو مما وضعه علماء الهند من الأمثال والاحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي ارادوا. ولم يزل العلماء، من كل أمة و لسان، يلتمسون أن يعقل عنهم و يحتالون لذلك بصنوف الحيل و يبتغون إخراج ما عندهم من العلل في اظهار ما لديهم من العلوم و الحكم، حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم و الطير. فاجتمع لهم بذلك خلالاً. أما هم فوجدوا منصرفاً في القول و شعاباً يأخذون منها و وجوهاً يسلكون فيها.

مثل التاجر و رفيقه و العدل المسروق^١

و هو مثلٌ من يطلب شيئاً فيه مضرّةٌ غيره، طلباً لصلاح نفسه بفساد غيره. و من فعل ذلك كان خليقاً أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه. فأنه يقال إنّه كان رجلاً تاجرٌ و كان له شريكٌ، فاستأجرا حانوتاً و جعلتا متاعهما فيه. و كان أحدهما قريب المنزل من الحانوت، فأضمر في نفسه أن يسرق عدلاً من أعدل رفيقه، و مكرّ الحيلة^٢ في ذلك و قال: إن انا آتيت ليلاً لم آمن أن أحمل عدلاً من أعدالي أو رزماً من رزمي و لأعرفها فيذهب عنائي و تعبي باطلاً. فأخذ ردائه، و ألقاه على العدل الذي أضمر أخذه، ثم انصرف إلى منزله. و جاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله، فوجد رداء شريكه على بعض اعداله فقال: والله هذا رداء

١. كليلة و دمنة ٥٤/٧.

٢. مكر الحيلة: اضمرها و نواها بالمكر.

صاحبي، ولا أحسبه إلا قد نسيه، وما الرأي أن أدعه ها هنا، ولكن أجعله على رزومه، فلعله يسبقني الى الحانوت، فيجده حيث يجب، ثم أخذ الرداء فألقاه على عدلٍ من أعدل رفيقه، و أفقّل الحانوت، ومضى الى منزله.

فلما جاء الليل أتى رفيقه، ومعه رجلٌ قد واطأه^١ على ما عزم عليه، و ضمن له جعلاً^٢ على حمله، فصار الى الحانوت فتحسس^٣ الرداء في الظلمة، و تلمسه^٤ فوجده على العدل؛ فاحتمل ذلك العدل، وأخرجه هو والرجل، وجعلا يتراوحان في حمله^٥ حتى أتى منزله، ورمى نفسه تعباً. فلما أصبح افتقده^٦، فاذا هو بعضُ أعداله، فندم أشدَّ الندامة. ثم انطلق نحو الحانوت، فوجد شريكه قد سبقه اليه، ففتح الحانوت، و فقّد العدل، فاعتم، لذلك غمّاً شديداً، وقال: واسوأنا^٧ من رفيقي صالح قد أتممني على مالي، و خلفني^٨ فيه: ماذا يكون حالي عنده؟ و لست أشك في تهمة إياي، ولكن قد و طنت نفسي^٩ على غرامته^{١٠}. فلما أتاه صاحبه وجده مغتتماً فسأله عن حاله فقال: إني قد افتقدت الأعدال و فقدت عدلاً من أعدالك و لا أعلم بسببه، و إني لا أشك في تهمتك إياي و إني قد و طنت نفسي على غرامته. فقال له: يا أخي لا تعتم فإن الخيانة شرُّ ما عمله الانسان و المكر و الخديعة لا يؤديان الى الخير، و صاحبها مغرورٌ أبداً، و ما عاد و بال^{١١} البغي^{١٢} إلا على صاحبه. و أنا أحد من مكر و خدع و احتال. فقال له صاحبه: و كيف كان ذلك؟ فأخبره بخبره و قصَّ عليه قصته. و قال: قد اعترفت بذنبي و خطأي عليك، و عزيزٌ عليّ أن يكون هذا كهذا، غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء. فقبل الرجل معذرتَه و أضرب عن^{١٣} توبيخه و عن الثقة به، و ندِم هو عندما عاين من سوء فعله و تقديم جهله.

١. واطأه: اتفق و آياه.

٢. جعل: الاجرة.

٣. تحسس الشيء: تطلبه بالحس.

٤. تلمس الشيء: تطلبه باللمس.

٥. يتراوحان الحمل: يحمله هذا مرة و هذا أخرى.

٦. افتقده و تفقده: طلبه بعد غياب.

٧. واسوأنا: السؤاة الامر القبيح يريد و اخجلنا.

٨. خلفني: جعلني خلفاً له.

٩. و طنت نفسي: عزمت و صممت.

١٠. الغرامة: من غرم المال: أداه.

١١. و بال: أي سوء العاقبة.

١٢. البغي: الظلم.

١٣. أضرب عنه: صرف عنه.

٣. محمد بن جرير الطبري (م ٥٣١٠هـ)

هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، احتضنته مدينة آمل في طبرستان (مازندران اليوم) سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ في بغداد.^١
شغف الطبري بالعلم في سنين مبكرة فطاف في البلاد العربية طلباً له، رحل الى العراق و مصر و الشام. وتلقى دراسته في الفقه والتفسير والتاريخ واللغة والنحو حتى استوعب علوم عصره. ثم التقى عصا التطواف في بغداد، يقرئ الحديث والفقه فيها حتى أيامه الاخيرة حيث أصبحت مثواه الأخير.^٢

اشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على الاعمال الشاقة. كان صريح القول، حرّ الفكر، إماماً في علوم كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ إضافة إلى إحاطته بالرياضيات والمنطق والطب، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه و غزارة فضله، وكان من الائمة المجتهدين فلم يقلد احداً.^٣

وقد ألف آثاراً قيمة منها: جامع البيان في تفسير القرآن و كتاب اخبار الرسل والملوك المشهور بتاريخ الطبري، وله آثار اخرى بعضها في التاريخ وبعضها في الحديث والتفسير والاحكام الفقهية لايسعنا المجال لذكرها هنا.

من اهم آثاره في التاريخ كتابه اخبار الرسل والملوك وهو تاريخ للكون منذ بدء الخلق حتى عصره، ويعتبر مصدراً مهماً بين سائر المصادر التاريخية التي سبقته كطبقات ابن سعد وتاريخ بغداد لليعقوبي وتاريخ الواقدي والبلاذري والدينوري وغيرها.

استهل الطبري تاريخه، بعد مقدمة، بذكر الزمان وخلق آدم (ع) وما كان بعده من الانبياء والرسل على ترتيب ذكرهم في التوراة. اما القسم الاسلامي الذي يبدأ بالهجرة النبوية حتى سنة ٣٠٢ للهجرة فقد رتب حوادثه ترتيباً زمنياً ناهجاً فيه منهجاً يعتمد على التسلسل الزمني، فكل سنة مستقلة بأحداثها حتى اذا تمت أيامها انتقل إلى السنة التالية،

١. وفيات الاعيان ٤/١٩١، ١٩٢؛ شذرات الذهب ١/٢٦٠.

٢. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ٢/٥٠٦.

٣. وفيات الاعيان ٤/١٩١، شذرات الذهب ١/٢٦٠؛ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ٢/٥٠٧.

متبعاً طريقة المحدثين بأن يذكر الحوادث المروية مسنداً للأخبار إلى رواتها، معتمداً في ذلك على سيرة ابن اسحق، وسيرة وهب بن منبه وأمثالها، غير ذاكر شيئاً من التحليل العلمي كما فعل ذلك امثال ابن خلدون والمؤرخين بعده، فهو يذكر الحوادث منقطعة غير مترابطة. يعتبر هذا الكتاب مصدراً رئيساً لجميع المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ بعد الطبري، فكل من ألف أثراً في تاريخ الاسلام أو إيران بعده اعتمد عليه، إما بصورة مباشرة، أو غير مباشرة.

نقل تاريخ الطبري الى الفارسية زمن السامانيين بترغيب من منصور بن نوح الساماني باشراف «ابى علي البلعمي» وطبع مراراً، كما نقل الى التركية والفرنسية. الطبري ذو شخصية علمية وشخصيته العلمية تسيطر على شخصيته الادبية، كان مؤرخاً ومحدثاً وفقهياً ومفسراً لكن رجال الادب يرون أن آثاره آثار ادبية وعلمية. لانرى في ثنايا الكتب للطبري شعراً كما هي الحال لكثير من كتّاب العربية الفرس، لكن ابن خلكان نسب اليه ابياتاً جميلة المعنى، حلوة الموسيقى، عذبة الالفاظ، تدل على طبيعة سمحة حلوة ذات عفة وحياء تتصف بغنى النفس والتزام التعفف، وصيانة ماء الوجه، والرفق بالآخرين، واخذ النفس بالعزة والكرامة والوقار وادبار عن بذل الحياء بسبب السؤال، وهذه الابيات هي:

إذا عَسَرْتُ لم يَعْلَمْ شِقِيقِي وَأَسْتَعْنِي فَيَسْتَعْنِي صَدِيقِي
حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءٌ وَجْهِي وَرَفْقِي فِي مُطَالَبَتِي رَفِيقِي
و لو أَنِّي سَمَحْتُ بِبَدَلِ وَجْهِي لَكُنْتُ إِلَى الْغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِي
إنَّه يَخْفَى عَسْرَتَهُ حَتَّى عَلَى اشْقَائِهِ أَنَّهُ مُتَعَفِّفٌ يَصُونَ حَيَاءَهُ وَيَرْفُقُ فِي
مُطَالَبَتِهِ، وَلَوْ بِذَلِّ مَاءِ وَجْهِهِ وَأَرْخَصَهُ لِحَصَلِ عَلَى مَا يَرْغَبُ فِيهِ مِنَ الْغِنَى وَالْثَرَاءِ.

نموذج من نثره

ذكر الخبر عن قتل ابن ملجم علياً (ع)

وذكر أن محمد بن الحنفية قال كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر يصلون قريباً من السدة ما هم إلا قيام و

ركوعٌ وسجودٌ وما يسأمون من أول الليلِ إلى آخِرِهِ إذ خَرَجَ عَلَيَّ لِصَلَاةِ الْغَدَاةِ فَجَعَلَ يُنَادِي أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ فَمَا أُدْرِي أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا فنظرتُ الى بريق وسمعتُ الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك فرأيتُ سيفاً ثم رأيتُ ثانياً ثم سمعتُ علياً يقول لا يفوتنكم الرجل وشدّ الناسُ عليه من كلِّ جانبٍ قال فلم أبرح حتى أخذ ابنُ ملجم وادخلَ عليَّ عليّ فدخلتُ فيمن دخلَ من الناسِ فسمعتُ علياً يقول النفس بالنفس إن أنا ميتٌ فاقتلوه كما قتلني وإن بقيتُ رأيتُ فيه رأيي وذكر أن الناس دخلوا عليَّ الحسنِ فزعين لما حدث من أمر عليّ فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه إذ نادته أم كلثوم بنت علي، وهي تبكي، أي عدو الله لا بأس عليّ أبي والله مُحْزِيكَ قَالَ فَعَلَى مَنْ تَبْكِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتَهُ بِالْفِ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الضَّرْبَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْمِصْرِ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.^١

٤. ابو الفرج الاصفهاني (م ٥٣٥٦)

ابو الفرج علي بن الحسين، الكاتب الاصفهاني، صاحب كتاب الأغاني، جدّه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، كان شيعياً أموي النسب.^٢

ولد في اصفهان سنة ٢٨٤هـ في خلافة المعتضد بالله وهي السنة التي مات فيها البحترى الشاعر، مات ابو الفرج سنة ٣٥٦هـ ودفن في بغداد.^٣

نشأ الاصفهاني ببغداد، واستوطن فيها، وكانت بغداد يومئذ مهد الحضارة الاسلامية ومنبع العلوم ومنتدى الادب.^٤

و الجدير بالذكر هنا أن أسرته كانت ميالةً للأدب والغناء، فقد جاءت في الأغاني أخبار تدلّ على أن والده كان يُحِبُّ الغناء، وأن عمته كان لها ذوق فيه وفي الشعر.^٥

١. تاريخ الطبرى ١١٢/٤.

٢. وفيات الاعيان ٣٠٧/٣، طبع دارالفكر؛ الكامل ٥٨٢/٨، طبع دار بيروت، ١٩٦٦.

٣. النجوم الزاهرة ١٥/٤، ب، ت.؛ الأغاني ١١٩/٥؛ وفيات الاعيان ٣٠٩/٣.

٤. معجم الادباء ٩٤/١٣.

٥. الأغاني ١٣٣/٧.

ومن اساتذته^١ ابوبكر بن دُرَيْد، إمام عصره في الادب والشعر واللغة والأنساب، وأبوبكر بن الانباري، والفضل بن الحباب الجمحي، والأخفش الصغير، وابراهيم النفطويه النحوي الشهير، ومحمد بن جرير الطبري المؤرّخ والمفسّر الكبير، وجعفر بن قدامة وغيرهم من الأساتذة الكبار الذين لايسعنا ذكرهم هنا.

كان له تلامذة من ذوي المنزلة والمكانة أخذوا عنه الاخبار وعلم الحديث كأبي زكريّا الأندلسي، وأبي الحسين علي بن محمد، وابراهيم بن مخلّد الباقرجي، وعلي بن احمد الرزّاز و...^٢.

كان ابوالفرج شخصيةً علميةً معروفة في عصره، من جهابذة العلم والادب ورواية الشعر والحديث وفيه يقول ابن النديم:^٣ «هو علي بن الحسين من ولد هشام بن عبدالمملك وكان شاعراً مصنفاً اديباً...» وقال القاضي التّنوخي أحد معاصريه:^٤ «ومن رواة المتشيعين الذين شاهدناهم ابوالفرج علي بن الحسين الاصفهاني، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله، و كان شديد الاختصاص بهذه الاشياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علوماً أخرى منها: اللغة، النحو، الخرافات، السّير والمغازي، علم الجوارح والبيطرة وتنفّ من الطّبّ والنجوم والأشربة وغير ذلك.» وقد اعتبره ياقوت الحموي وابن خلكان من اساتذة عصره في الادب والرواية وعلم الانساب وكثرة الآثار، وحفظ الأشعار وكان مع ذلك شاعراً جيّداً.^٥

إتصل ابوالفرج بفضل مكانته العلمية والادبية بالخلفاء والملوك والوزراء وكان يمدحهم ويهجوهم أحياناً. فكان نديماً لمعرّ الدولة البويهية وانتقطع الى الوزير المهلّبي، ثم صار كاتباً لركن الدولة الديلمي، وكان يصنّف كتبه ويرسلها إلى المسؤولين في بلاد المغرب في الأندلس وكانوا يحسنون جائزته.^٦

١. معجم الادباء ١٣/٩٥.

٢. ابوالفرج الاصفهاني وكتابه الاغانى للاصمعي، ص ٧٠-٧٢. ٣. الفهرست، ص ١٢٧.

٤. تاريخ بغداد ١١/٣٩٩؛ شذرات الذهب ٣/١٩.

٥. معجم الادباء ١٣/٩٤؛ وفيات الاعيان ٣/٣٠٧.

٦. معجم الادباء ١٣/١٠٨-١٠٩.

من آثاره المهمة: ^١ الأغانى، مقاتل الطالبين، أخبار القيان: جمهرة النسب، كتاب تفصيل الحجة، غيرها من الكتب التي لا يسعها هذا المختصر.

كتاب الأغانى ورأى العلماء فيه

قال ياقوت الحموى فيه: ^٢ «ولعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جمّ الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجدّ البحت والمزلّ النحت وقد تأمّلت هذا الكتاب وعُنيت به و طالعت مراراً.»

وقال فيه ابن خلدون: ^٣

«ولعمري إنّه (الأغانى) ديوان العرب و جامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كلّ فنّ من فنون الشعر و التاريخ و الغناء و سائر الأحوال و لا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه و هو الغاية التي يسمو اليها الاديب و يقف عندها.»

و ذكر ابن خلكان أن ^٤ «الصاحب بن عباد كان يستصحب أسفاره حمل ثلاثين جملًا من كتب الأدب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها.»

انفرد كتاب الأغانى بانتقاء الالفاظ السهلة الرشيقة والمعاني الجميلة الدقيقة و التأنق في صوغ العبارات و توثيق الربط بينها بأسلوب عربى سليم و منهج قويم مستقيم. و امتاز أيضاً بشرح مفردات لا وجود لها في المعاجم اللغوية و ذكر مصطلحات كانت شائعة في الدولتين الأموية و العباسية. ^٥

يعتبر كتاب الأغانى أوّل المراجع الادبيّة الكبيرة التي تغلب عليها «صحة النقل» فهو جامعٌ للأدب العربي و تاريخه. ترجم مؤلّفه حياة أكثر شعراء الجاهليين و المخضرمين و الاسلاميين و المحدثين. ولولا كتاب الأغانى طول هذه السنين و تداوله على مرّ العصور و

١. مقاتل الطالبين، ص ١٢٨. ٢. معجم الادباء ٩٨/١٣.

٣. مقدمة ابن خلدون، ص ٥٧٣. ٤. وفيات الاعيان ٣٠٧/٣.

٥. أنظر: ابوالفرج الاصفهاني و كتابه الأغانى، ص ٢٧٧-٢٩٢.

الاجيال، لضع معظم الشعر القديم و تلاشى وصف اشياء قيمة عن الحضارة الاسلامية و الحياة الاجتماعية.

فن ابى الفرج و مذهبه الادبى

سلك ابوالفرج فى كتاب الاغانى مسلك المحدثين، فقد كان ينشئ الاخبار بالفاظه؛ واذالم تكن الاخبار من انشائه نبه على ذلك. و كان ينقد بعض الرواة الذين رويت الاخبار عنهم، و ينبه على اباطلهم و يحقق اخبار عصره و احادينهم.

كان ابوالفرج محيطاً بمفردات اللغة ينتخب منها ما يناسب غايته و مذهبه فى كتابه، فقد احكم فقه اللغة بحيث لا يكاد يستعمل اللفظ الا فى مواضعه، و ينتخب منها ما هو سهل يسير حتى نراه يستعمل منها و من التراكيب ما لا يزال استعماله سائراً حتى فى العامة.

أما خصائصه الفنية، فقد كان رأسها الوصف بكلمة واحدة بحيث يتم المعنى، فهو يستطيع أن يصور حالة من حالات الإنسان بلفظ موجز و من هنا تبرز عبقريته.

اذا درجنا الى افق النثر و طالعنا اول اثر له فيه و هو كتاب مقاتل الطالبين شعرنا بعبقريته فقد شرع فيه و هو ابن تسع و عشرين سنة. ذكر فيه جملاً من اخبار من قتل من آل أبى طالب (ع) منذ عهد رسول الله (ص) الى الوقت الذى ابتدأ فيه هذا الكتاب. و سلك فيه مسلك المحدثين. من ذلك وصف على ابن أبى طالب (ع) : «وكان عليه السلام أسمر مربوعاً و هو إلى القصر أقرب، عظيم البطن، دقيق الاصابع، غليظ الذراعين، خشن الساقين، فى عينيه لين، عظيم اللحية، أصلع، ناطق الجبهة.»

فماذج من نثره^٢

قال أبو الفرج: وَ كُنْتُ فِي أَيَّامِ الشَّيْبَةِ وَالصَّبَا آ لَفْتُ مِنْ أَوْلَادِ الْجُنْدِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَوَلِيَّ بَحْتِيَارٍ، وَ كَانَتْ لِأَيْدِيهِ حَالٌ كَبِيرَةٌ وَ مَزَلَّةٌ مِنَ الدَّوْلَةِ وَ رُتْبَةٌ.

١. مقاتل الطالبين، نقل عن الاغانى، مقدمته.

٢. معجم الادباء ١١٧/١٣.

وَكَانَ الْفَتَى فِي نِهَائِيَّةِ حُسْنِ الْوَجْهِ وَ سَلَامَةِ الْخُلُقِ وَ كَرَمِ الطَّبْعِ، يَمَنَّ يُمِيبُ الْأَدَبَ وَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِهِ، وَ لَمْ يَتْرُكْ قَرِيحَتَهُ حَتَّى عَرَفَ صَدْرًا مِنَ الْعِلْمِ، وَ جَمَعَ خِزَانَةً مِنَ الْكُتُبِ حَسَنَةً، فَصَفَّتْ لِي مَعَهُ سِيرٌ لَوْ حُفِظَتْ لَكَانَتْ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ، مِنْ مَكَاتِبَاتٍ وَ مَعَاتِبَاتٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَطُولُ شَرْحُهُ.

مِنْهَا مَا يُشْبِهُ مَا نَحْنُ فِيهِ: أَنَّنِي جِئْتُهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ غُدْوَةً فَوَجَدْتُهُ قَدْ رَكِبَ إِلَى الْحَلْبَةِ، وَ كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَاءَ وَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَجَلَسْتُ عَلَى دَكَّةٍ^١ عَلَى بَابِ دَارِ أَبِيهِ فِي مَوْضِعٍ فَسِيحٍ كَانَ عَمَرَهَا وَ فَرَشَهَا، فَكُنَّا نَجْلِسُ عَلَيْهَا لِلْمَحَادَثَةِ إِلَى أَرْتِفَاعِ النَّهَارِ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِذَا أَقْبَتُ عِنْدَهُ إِلَى حُجْرَةٍ لَطِيفَةٍ كَانَتْ مُفْرَدَةً لَهُ، لِنَجْتَمِعَ عَلَى الشُّرْبِ وَ الشُّطْرُنْجِ وَ مَا أَشْبَهَهُمَا، فَطَالَ جُلُوسِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنْتَظِرًا لَهُ، فَأَبْطَأَ وَ تَصَبَّحَ^٢ مِنْ أَجْلِ رِهَانٍ كَانَ بَيْنَ فَرَسَيْنِ لِيخْتِيَارَ، فَعَرَضَ لِي لِقَاءِ صَدِيقِي لِي فَقُمْتُ لِأَمْضِي ثُمَّ أَعُودَ إِلَيْهِ، فَهَجَسَ^٣ لِي أَنْ كَتَبْتُ عَلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنَّا نَسْتَبِدُّ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

يَا مَنْ أَظْلُ بِبَابِ دَارِهِ وَ يَطُولُ حَبْسِي^٤ لِإِنْتِطَارِهِ
وَ حَيَاةِ طَرْفِكَ وَ أَحْوَارِهِ^٥ وَ جَمَالِ صُدْغِكَ فِي مَدَارِهِ
لَا حُلَّتْ عُمْرِي عَنْ هَوَا كَ وَ لَوْ صُلِيتُ بِحَرِّ نَارِهِ

وَ قُمْتُ فَلَمَّا عَادَ قَرَأَ الْأَبْيَاتَ وَ غَضِبَ مِنْ فِعْلِي، لِئَلَّا يَبْفَ عَلَيْهِ مِنْ يَحْتَسِمُهُ^٦، وَ كَانَ شَدِيدَ الْكَيْفَانِ لِمَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ مُطَالِيًا بِمِثْلِ ذَلِكَ مُرَاقِبَةً لِأَبِيهِ، إِلَّا أَنْ ظَرَفَهُ وَ وَكَيْدَ حَبْسِي لِي، وَ مَيْلَهُ إِلَيَّ لَمْ يَدَعُهُ حَتَّى أَجَابَ عَنْهَا بِمَا كَتَبَ تَحْتَهَا، وَ رَجَعْتُ مِنْ سَاعَتِي فَوَجَدْتُهُ فِي دَارِ أَبِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ خَادِمٌ لَهُمْ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ لَا التَّقِيْنَا^٧ حَتَّى تَتَفَّ عَلَى الْجَوَابِ

١. الدكَّة: بناء يسطح اعلاه.

٢. تصبَّح: نام اول النهار. و في اللسان: فلانُ ينام الصبحة. أى ينام حين يصبح، تقول منه: تصبَّح الرجل.

٣. الهاجس: خاطر النفس: أى فخطر لى.

٤. أى مكثى و امتناعى عن الانطلاق: تقول ما حبسك عنى؟ أى ما منعك من المجىء إلى.

٥. الحور و الاحورار: شدة بياض العين و شدة سوادها.

٦. يحتشمه: من احتشمه: أظهر له الوقار و الاجلال و لم يتبسط أمامه.

٧. جواب قسم محذوف: أى و الله لا نلتقى حتى تتف الخ...

عَنِ الْأَيْبَاتِ فَإِنَّهُ تَحْتَهَا، فَصَعِدْتُ الدَّكَّةَ فَإِذَا نَحَتْ الْأَيْبَاتِ بِحِطَّةٍ: مَا هَذِهِ الشَّنَاعَةُ؟^١ وَمَنْ
فَسَحَ لَكَ فِي هَذِهِ الْإِدَاعَةِ؟^٢ وَمَا أَوْجَبَ خُرُوجَكَ عَنِ الطَّاعَةِ؟ وَلَكِنْ أَنَا جَنَيْتُ عَلَى
نَفْسِي وَعَلَيْكَ، مَلَكْتُكَ فَطَعَيْتَ. وَأَطَعْتُكَ فَتَعَدَّيْتُ. وَمَا أَحْتَسِبُ أَنْ أَقُولَ هَذَا تَعَرُّضُ
لِلْإِعْرَاضِ عَنْكَ وَالسَّلَامُ. فَعَلِمْتُ أَنَّي قَدْ أَخْطَأْتُ وَسَقَطْتُ شَهِدَ اللَّهُ قُوَّتِي وَحَرَكَتِي،
فَأَخَذْتَنِي النَّدَامَةَ وَالْحَيْرَةَ، ثُمَّ أُذِنَ لِي فَدَخَلْتُ فَتَبَلَّتُ يَدَهُ فَتَعَنَيْتُ وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي غَلَطَةٌ
غَلِطْتَهَا وَهَفْوَةٌ هَفَوْتُهَا، فَإِنْ لَمْ تَتَجَاوَزْ عَنْهَا وَتَعْفُ هَلَكْتُ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ فِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ^٣
بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ لَهَا أُخْتُ، وَعَاتَبْتَنِي عَلَى ذَلِكَ عِتَابًا عَرَفْتُ صِحَّتَهُ، وَلَمْ تَمُضِ إِلَّا مُدِيدَةً حَتَّى
قُبِضَ عَلَى أَبِيهِ وَهَرَبَ فَاحْتِاجَ إِلَى الْأَسْتِتَارِ، فَلَمْ يَأْنَسْ هُوَ وَأَهْلُهُ إِلَّا بِكَوْنِهِ عِنْدِي، فَأَنَا
عَلَى غَفْلَةٍ إِذْ دَخَلَ فِي حُفٍّ وَإِزَارٍ وَكَادَتْ مَرَارَتِي تَنْفِطِرُ^٤ فَرِحًا، فَلَقِيْتَهُ أَقْبَلَ رِجْلَيْهِ وَهُوَ
يَضْحَكُ وَيَقُولُ: يَا تَيْبَهَا رِزْقُهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ: هَذَا يَا حَبِيبِي بَحْتُ^٥ مِنْ لَا يَصُومُ وَلَا يُصَلِّي فِي
الْحَقِيقَةِ، وَكَانَ أَخْفَ النَّاسِ رُوحًا، وَأَنْشَطُهُمْ لِبَادِرَةٍ^٦، وَبِتْنَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَرُوسَيْنِ لَا
نَعْقِلُ سُكْرًا وَاصْطَبَحْنَا وَقُلْتُ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ:

بِتُّ وَبَاتَ الْحَسِيبُ نَدْمَانِي	مِنْ بَعْدِ نَائِي وَطُولِ هِجْرَانِي ^٧
نَشَرَبُ قُفْصِيَّةً مُعْتَقَةً	بِحَانَةِ الشَّطِّ مُنْذُ أَرْمَانِي ^٨
وَكُلَّمَا دَارَتْ الْكُوُوسُ لَنَا	الْتَمَّيْنِي فَاهُ ثُمَّ غَنَانِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ	أَطَاعَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ عِصْيَانِ
وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا عِنْدِي نَحْوَ الشَّهْرِ حَتَّى اسْتَقَامَ أَمْرُ أَبِيهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِهِ.	

١. شنع فلاناً: فضحه، أى ما هذه الفضيحة.

٢. أذاع السر: أفشاه.

٣. أى قبلت منك العذر وأفسحت لك فيه على ألا يتكرر الذنب هذا.

٤. أى تنشق. ٥. البخت: الحظ.

٦. البادرة: البديهة والمعنى أنه لحضور بديهته و فطنته: ينتزع الفكرة في سرعة و من غير إعمال فكر.

٧. الندمان: المنادم على الشراب و الأثنى ندمانته. و الجمع ندامي. و قد يكون الندمان جمعاً.

٨. قُفْصِيَّةٌ: أى حمراً منصوبة إلى قفص: و هو جبل بكرمان.

نموذج من نثره في الاغانى^١

خبر مقتل حُجْر بن عدى

قال: إنَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ لما وَلِيَ الكوفةَ كان يقومُ على المنبرِ فيذمُّ علىَّ بنَ أبى طالبٍ و شيعته، و ينالُ منهم، و يلعنُ قتلةَ عثمانَ، و يستغفرُ لعثمانَ و يزكِّيه، فيقومُ حُجْرُ بنُ عدى فيقولُ: «يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ولو علىٰ أَنْفُسِكُمْ»، و إنىُّ أشهدُ أنَّ مَنْ تَذمُّونَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ مَنْ تُظْرُونَ، و مَنْ تَزْكُونَ أَحَقُّ بِالذَّمِّ مَنْ تَعْيُونَ. فيقولُ له المغيرةُ: يا حُجْرُ، و يَحْك! أَكْفَفُ مِنْ هَذَا، و اتَّقِ غَضَبَةَ السُّلْطَانِ و سَطْوَتَهُ؛ فَإِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَقْتُلُ مِثْلَكَ. ثُمَّ يَكْفُ عَنْهُ.

فلم يزل كذلك حتى كان المغيرةُ يوماً في آخرِ أيامه يخطبُ على المنبرِ، فقالَ مِنْ عَلىِّ بنِ أبى طالبٍ عليه السلام، و لعنه، و لعنَ شيعته، فوثبَ حُجْرُ فنعَرَ^٢ نَعْرَةً أَسَمَعَتْ كُلَّ مَنْ كانَ فى المسجدِ و خارجه. فقال له: إنك لا تدري أيُّها الإنسانُ مِن تَوَلَّعُ، أَوْ هَرِمَتْ مُرْلُنَا بِأَعْطِيَاتِنَا و أَرْزَاقِنَا؛ فَإِنَّكَ قَدْ حَبَسْتَهَا عَنَّا، و لم يكن ذلك لك و لا لِمَنْ كان قبلك، و قد أصبحت مولعاً بذمِّ أمير المؤمنين و تقريظِ المجرمين. فقام معه أكثرُ من ثلاثين رجلاً يقولون: صدقَ اللهُ حُجْرًا! مُرْلُنَا بِأَعْطِيَاتِنَا؛ فَإِنَّا لا نَنْتَفِعُ بِقَوْلِكَ هَذَا، و لا يُجِدِي عَلَيْنَا. و أَكثَرُوا فى ذلك.....

قال: ثم هلك المغيرةُ سنةَ خمسَين، فجمعتِ الكوفةُ و البصرةُ لزيادٍ، فدخلها، و وجَّهَ إلى حُجْرٍ فجاءه، و كان له قَبْلَ ذلكَ صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنتَ تفعلهُ بالمغيرةِ فيحتملُهُ منك؛ و إنى و اللهُ لا احْتَمِلُكَ على مِثْلِ ذلكَ أبداً، أَرَأَيْتَ ما كنتَ تعرفني به مِنْ حُبِّ عَلىٍّ و وُدِّهِ، فَإِنَّ اللّهُ قَدْ سَلَخَهُ مِنْ صَدْرِي فَصِيرَهُ بُغْضاً و عداوةً، و ما كنتَ تعرفني به مِنْ بُغْضِ معاويةَ و عداوتهِ فَإِنَّ اللّهُ قَدْ سَلَخَهُ مِنْ صَدْرِي و حَوَّلَهُ حُبًّا و مَوَدَّةً، و إنى أخوك الذى تَعَهَّدُ، إِذَا أَتَيْتَنِي و أنا جالسٌ للناسِ فاجلسْ معي على مجلسي، و إِذَا أَتَيْتَ و لم أجلسْ للناسِ فاجلسْ حتى أخرجَ إليك، و لك عندى فى كل يومِ حاجتان: حاجةٌ عُذوةً، و

١. الأغانى ١٧/١٣٣ طبع دار احياء التراث العربى.

٢. نَعَرَ: صاح صيحةً شديدةً.

حاجةً عشيَّةً، إنك إن تستقيم تسلم لك دُنْيَاكَ وَ دِينِكَ، وَإِنْ تَأْخُذُ بَيْنَا وَ شِمَالًا تُهْلِكُكَ
نَفْسَكَ وَ تُشِيطُ عِنْدِي دَمَكَ^١، إني لأحبُّ التنكيلَ قَبْلَ التَّقْدِيمِ، وَ لَا آخِذُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، اللَّهُمَّ
أَشْهَدُ، فَقَالَ حُجْرٌ: لَنْ يَرَى الْأَمِيرُ مِنِّي إِلَّا مَا يَحِبُّ، وَ قَدْ نَصَحَ، وَ أَنَا قَابِلٌ نَصِيحَتِهِ.
ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَكَانَ يَتَّقِيهِ وَ يَهَابُهُ، وَ كَانَ زِيَادٌ يُدْنِيهِ وَ يُكْرِمُهُ وَ يَفْضُلُهُ، وَ
الشَّيْعَةَ تَخْتَلِفُ إِلَى حُجْرٍ وَ تَسْمَعُ مِنْهُ.

وَ كَانَ زِيَادٌ يَشْتُو بِالْبَصْرَةِ، وَ يَصِيفُ بِالْكُوفَةِ، وَ يَسْتَخْلِفُ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمْرَةَ بِنَ
جُنْدَبٍ، وَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرَوَ بِنَ حُرَيْثٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ بِنُ عَقْبَةَ: إِنَّ الشَّيْعَةَ تَخْتَلِفُ إِلَى
حُجْرٍ، وَ تَسْمَعُ مِنْهُ، وَ لَا أَرَاهُ عِنْدَ خُرُوجِكَ إِلَّا نَائِرًا، فَدَعَاهُ زِيَادٌ فَحَدَّرَهُ وَ وَعَّظَهُ. وَ خَرَجَ
إِلَى الْبَصْرَةِ، وَ اسْتَعْمَلَ عَمْرَوَ بِنَ حُرَيْثٍ، فَجَعَلَتِ الشَّيْعَةَ تَخْتَلِفُ إِلَى حُجْرٍ، وَ يَجِيءُ حَتَّى
يَجْلِسَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ، حَتَّى يَأْخُذُوا ثُلُثَ الْمَسْجِدِ أَوْ نِصْفَهُ، وَ تَطِيفُ بِهِمُ
النَّظَّارَةُ، ثُمَّ يَمْتَلِئُ الْمَسْجِدُ، ثُمَّ كَثُرُوا، وَ كَثُرَ لَغَطُهُمْ، وَ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِذَمِّ مَعَاوِيَةَ وَ شَتْمِهِ وَ
تَقْصِ زِيَادٍ^٢ وَ بَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَوَ بِنَ حُرَيْثٍ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ أَهْلِ الْمِصْرِ
فَحَثَّتُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَ الْجَمَاعَةِ. وَ حَدَّرَهُمُ الْخِلَافَ: فَوَتَّبَعَ إِلَيْهِ عُنُقُ^٣ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرٍ
يَكْبُرُونَ وَ يَشْتَمُونَ، حَتَّى دَنَوْا مِنْهُ، فَحَصَّبُوهُ وَ شَتَّمُوهُ حَتَّى نَزَلَ وَ دَخَلَ الْقَصْرَ، وَ أَغْلَقَ
عَلَيْهِ بَابَهُ، وَ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ بِالْحَبَرِ، فَلَمَّا أَتَاهُ أَنْشَدَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ:

فَلَمَّا غَدَوْا بِالْعِرْضِ قَالَ سَرَائِنَا: عَلامٌ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ الْعِرْضَ نَزْرَعُ
مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعْ الْكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ، وَ أَدْعُهُ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ، وَ يَلُ أُمَّكَ حَجْرًا! لَقَدْ
سَقَطَ بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ^٤.

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الْكُوفَةَ، فَدَخَلَ الْقَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ وَ عَلَيْهِ قَبَاءُ سُندُسٍ، وَ مُطْرَفُ خَزَّرٍ
أَخْضَرُ، وَ حُجْرٌ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَ حَوَّلَهُ أَصْحَابُهُ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَخَطَبَ وَ حَدَّرَ النَّاسَ، ثُمَّ
قَالَ لِسَدَادِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيِّ أَمِيرِ الشَّرْطِ: أَذْهَبَ فَائِتِنِي بِحُجْرٍ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَدَعَاهُ، فَقَالَ

١. أشاط دمه: عرضه للقتل.

٢. يريد الانتقاص.

٣. العنق: الجماعة.

٤. السرحان: الذئب أو الأسد.

أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة. فسبوا الشَّرَطَ، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فقال: يا أشراف أهل الكوفة: أتسجئون بيدي وتأسون بأخرى؟ أبدأنكم عندي، وأهواؤكم مع هذا الهجاجة^١ المذبذب^٢. أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حُجْرٍ؛ فوثبوا إلى زياد فقالوا: معاذَ اللهِ أن يكون لنا فيما هاهنا رأيٌ إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكلُّ ما ظننت أن يكون فيه رضاك فُرْنَا به. قال: لِيَقْمَ كلُّ امرئٍ منكم إلى هذه الجماعة التي حوَّلَ حُجْرٍ، فَلْيَدْعُ الرجلُ أخاه و ابنه و ذا قرابته و مَنْ يُطِيعُه من عشيرته، حتى تُقيموا عنه كلَّ مَنْ استطعتم. ففعلوا، وجعلوا يُقيمون عنه أصحابه حتى تفرَّقَ أكثرهم و بَقِيَ أقلُّهم.

فلما رأى زيادُ خِفةَ أصحابه قال لصاحب شرطته: اذهبْ فَأْتِنِي بِحُجْرٍ، فَإِنْ تَبِعَكَ و إلا فُرُّ مَنْ معك أن ينتزعوا عُمْدَ السيفِ، ثم يشدُّوا عليه حتى يأتوا به؛ و يضرّبوا مَنْ حالَ دُونَه.....

وجدَ زيادٌ في طلب أصحابِ حُجْرٍ و هم يهربون منه، و يأخذُ مَنْ قدَرَ عليه منهم... حتى جمع منهم اثني عَشَرَ رجلاً في السجن و طلب من أصحابه أن يشهدوا عليهم بشهادةٍ زورٍ «فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموعَ و أظهرَ ستمَ الخليفةِ و عيبَ زيادٍ». فبعث بهم زيادٌ إلى معاويةَ فقتلوا جميعاً إلا واحداً.

٥. ابو نصر العتبي^٣ (م ٤٢٧ هـ)

هو ابو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي، اصله من الرِّيِّ، كان جيد الانشاء، تولَّى الكتابةَ للأمير ابي علي، ثم لأبي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي، ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي، ثم استوطن نيشابور، أقبل على خدمة الآداب و العلوم، واشتهر بكتابه المعروف باليميني الذي ألفه في تاريخ بين الدولة السلطان محمود الغزنوي.

ألف العتبي هذا الكتاب، و بسط فيه ترجمة حياة الغزنويين، خاصة محمود الغزنوي وأباه سبكتكين و ماجرى لهم من الحروب مع الخوارزميين، ثم اشتغل بتأليف تاريخ

٢. المذبذب: المطرود، المبعد.

١. الهجاجة: الأحمق.

٣. تاريخ آداب اللغة ١/٦٣٢.

بین الدولة إلى آخر أيامه، وقد اورد فيه لطائف كثيرة وحقایق مهمة وقد كتبه مسجعا على اسلوب ذلك العصر.

وقد اهتم بضبط ألفاظه وشرح ما اشكل منه جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرمانی، وقاسم بن حسين الخوارزمی، وتاج الدين بن محفوظ، وحميد الدين النجاتي وغيرهم. ومن شروحه المهمة كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابي نصر العتبي للميمين الدمشقي وترجمه الى الفارسية الجرفادقاني (الكلبيگاني).^١

ادبه

كان ابو نصر العتبي اديباً عبقرتياً و شاعراً لطيف النظم، لكنّه اشتهر بالنثر المصنوع و ظهر اكثر نبوغه في تاريخه فهو مليء من محاسن الآداب و بدائع النثر و لطائف النظم التي تُنبئ عن استعداد عجيب و ذكاء حادّ و ذهن ثاقب، و من لطيف نظمه

قوله:^٢

بِنَفْسِي مِنْ غَدَا ضَيْفًا عَزِيزًا عَلَيَّ، وَإِنْ لَقِيتُ بِهِ عَذَابًا
يَنْأَلُ هَوَاهُ مِنْ كَيْدِي كَبَابًا وَيَشْرَبُ مِنْ دَمِي أَيْدًا شَرَابًا
وَقَالَ أَيْضًا:^٣

أَيَا ضِرَّةَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بِالضُّحَى وَمَنْ عَجَزَتْ عَنْ كُنْهَها صِفَةُ الْوَرَى^٤
عَذْرَتُكَ إِنْ لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِرُؤْيَا فَأَنْتِ لَعَمْرِي الرُّوحُ وَالرُّوحُ لَأْتَرِي

إنّ حبيبتة كالشمس المنيرة بالضحى جمالاً و اشراقاً، فكما عجز الناس عن معرفة كنه الشمس، كذلك عجزوا عن وصف حبيبتة، أنّها عزيزة عليه، هي بمثابة روحه و نفسه فاذا ما هجرته و صدّت عنه، و لم يستطع أن يمتّع عينيه بالنظر اليها، فأنّه يعذرها لأنّها بمثابة روحه و الروح لا يمكن رؤيتها.

١. انظر: يتيمة الدهر ٤/٣٨١. ٢. المصدر نفسه، ٤/٤٦٤.

٣. المصدر نفسه.

٤. ضرة الشمس: شبيبتها، و الضرة هي المرأة الثانية التي يتزوجها الرجل مع ابقاء الاولى في عصمته. الكنه: المعرفة و الاحاطة.

وَقَالَ أَيْضاً

يَا مَنْ يُقَابِلُ دِينَارِي بِدِرْهِمِهِ أَقْصِرْ قَدَعَوَاكَ طَاوُوسُ بِلَا رِيَشٍ
وَأَيُّ عَيْبٍ لِعَيْنِ الشَّمْسِ إِنْ عَمِيَتْ أَوْ قَصَّرَتْ عَنْهُ أَبْصَارُ الْخَنَافِيشِ

وَقَالَ يُعْزِي الشَّيْخُ أَبُو الطَّيِّبِ سَهْلُ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ ابْنِهِ:^١

مَنْ مُبْلِعٌ شَيْخِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَاطِئَةً عَنِّي رِسَالَةً مَحْزُونٍ وَأَوَاهٍ^٢
أَوْلَى الْبِرَايَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مُتَحَنِّناً فِي كُلِّ فُتْيَاهُ تَوْقِيعَ عَنِ اللَّهِ

ان قلب العتي يتفطر الماء و حزناً و التباعاً لحزن صديقه ابي الطيب بموت ابنه فهو يريد أن يشاطره و يواسيه بهذا المصاب الجلل، إنه يبحث عن رسول يوصل رسالته اليه، ان ابا الطيب قد امتحن بفقد ولده فيجب عليه أن يتلقى المصاب صابراً محتسباً لأنه أولى الناس بذلك، باعتباره شيخ اهل العلم، فإذا أفتى بأمرٍ فأتما يفتي طبقاً لأوامر الله و نواهيه، فكانما فتياه موقعة من قبل الله عز و جل.

وله في الشعر كثير من الدوبيتيات لا يسع المجال لذكرها.

نموذج من نثره

١. رقعة استنارة^٣

هَذَا يَوْمٌ رَقَّتْ غَلَاتِلُ^٤ صَحْوِهِ، وَخَنَيْتُ^٥ شَمَائِلُ جَوِّهِ، وَضَحِكْتُ تُغُورُ رِيَاضِهِ،
وَاطَّرَدَ زَرْدُ^٦ الْحَسَنِ فَوْقَ حِيَاضِهِ. وَفَاحَتْ^٧ مَجَامِرُ^٨ الْأَزْهَارِ، وَانْتَثَرَتْ قَلَانِدُ الْأَغْصَانِ

١. المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

٢. الأواه: الرقيق القلب.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٦١.

٤. الغلاتل: مفردا الغلالة وهي ثوب رقيق يلبس تحت الدثار.

٥. خنت: استرخت ولانت.

٦. الزرد: حلق المغفر والدرع.

٧. فاح الشيء - أنتشرت رائحته طيبة أو غير طيبة.

٨. المجامر: جمع الجمر: ما يوضع فيه الجمر مع البخور.

عن فرايد الأتوار. و قامَ حُطْبَاءُ الأَطْيَارِ. فَوْقَ مَنَابِرِ الأَشْجَارِ وَ دَارَتْ أَفْلَاكُ الأَيْدِي بِشُمُوسِ الرِّاحِ، فِي بُرُوجِ الأَقْدَاحِ^١، وَ قَدْ سَيَّئْنَا^٢ العَقْلَ فِي مَرَجِ المَجُونِ^٣، وَ خَلَعْنَا العِذَارَ بِأَيْدِي المَجُونِ. فَسَنُ طَالَعْنَا بَيْنَ هَذِهِ البَسَاتِينِ وَ أنواعِ الرِيَاحِينِ، طَالَعِ فَثِياناً كَالشَّيَاطِينِ، وَ نَضَارِي^٤ يَوْمِ الشَّعَانِينِ^٥، فَبِحَقِّ الفُتُوَّةِ الَّتِي زَانَ اللهُ بِهَا طَبْعَكَ، وَ المَرْوَّةِ الَّتِي قَصَرَ عَلَيْهَا أَصْلَكَ وَ فَرَعَكَ، إِلا تَفَضَّلْتَ بِالحِضُورِ، وَ نَطَّمْتَ لَنَا بِكَ عَقْدَ الشَّرُورِ.

٢. نموذج في الإنكار^٥ على من يذمّ الدهر

عَتَبَكَ عَلَى' الدهرِ دَاعٍ إِلَى العَتَبِ عَلَيْكَ، وَ اسْتَبْطَأُوكَ^٦ إِيَّاهِ صَارِفُ عِنَانِ اللُّؤْمِ إِلَيْكَ، فَالدهرُ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ اللهِ مَنزَعُهُ عَنِ مَقَابِضِ أَحْكَامِهِ، وَ مَطْلَعُهُ مِنْ جَانِبِ مَا حَرَّرَتْهُ بِمَجَارِي أَفْلَامِهِ. وَ الوَقِيعَةُ فِيهِ بِمَرَسِ بِحُكْمِ خَالِقِهِ وَ بَارِيهِ، وَ بِمَجَارِي الأَشْيَاءِ عَلَى قَدْرِ طِبَاعِهَا، وَ بِحَسَبِ مَا فِي قُوَاهَا وَ أَوْضَاعِهَا. وَ مَنْ ذَا الَّذِي يَلُومُ الأَرَاقِمَ عَلَى النَّهْشِ بِالأَنْبِيَابِ، وَ العَقَارِبَ عَلَى اللِّسَعِ بِالأَذْنَابِ، وَ أَنَّى لَهَا أَنْ تُذَمَّ، وَ قَدْ أَشْرَبَتْ خَلْقَتُهَا السُّمَّ، وَ حُكْمَ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ مُطَاعٌ، وَ بِأَمْرِهِ رَضِيَ وَ افْتِنَاعٌ، فَاعْفُ الزَّمَانَ عَنِ قَوَارِضِ^٧ لَسَانِكَ، وَ أَضْرِبْ عَلَيْهَا حِجَابَ الحِرْصِ بِأَسْنَانِكَ، وَ أَذْكَرْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «لَا تَسْبُوا الدهَرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدهرُ» وَ عَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ، لِحُكْمِ العَلِيِّ العَظِيمِ، فَذَاكَ أَحْمَدُ عُنْفِي، وَ أَرْشُدُ دِيناً وَ دُنْيَا.

١. بروج الأقداح: جعل الأقداح بروجاً للراح لانه جعلها في العبارة السابقة شموساً.

٢. سَيَّئْنَا: تركناه يسبب حيث شاء.

٣. مرج المجون: كناية عن الفساد والاضطراب والفتنة.

٤. يوم الشعانين: عيد مسيحي يقع يقوم الاحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس.

٥. المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

٦. استبطأوك: طلبك منه أن يُطَيِّبَ فلاناً: عَضَّهُ وَخَدَشَهُ.

٧. قوارض: ج قارضة: الكلمة تُنْعَضُ وَتُؤَلَّمُ.

٦. الراغب الاصفهاني (م ٥٥٠٢)

هو الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الاصفهاني نشأ و ترعرع في اصفهان.^١ لم يذكر المؤرخون شيئا عن تاريخ ولادته ونشأته. لانها امر في غاية الابهام والغموض وليس بين ايدينا نصّ بهذا الشأن و من العسير أن نستنبط شيئا من طيات كلامه في آثاره وتآليفه.^٢

اما تاريخ وفاته فقد ذكرت بعض المصادر انه توفي سنة ٥٠٢ و ذكرت أخرى أن وفاته اتفقت سنة ٥٥٢ او اوائل المائة السادسة.^٣

كان عصره الذي عاش فيه مزدهراً بالثقافة ورقى العلوم و الفنون المختلفة و كان لهذا الرقى والازدهار عاملان رئيسان:

الاول: كان الحكّام في البلاد الاسلامية يتسابقون ويتنافسون في اكرام العلماء والمثقفين، و كانوا يفتخرون بهم في أنحاء خطة حكمهم. و هذه العناية قد حملتهم على أن يغدقوا عليهم العطاء، وبعثتهم على أن يزلفوهم الى مجالسهم ويتخذوهم اصدقاء و معاشرين لهم.^٤

والثاني: كان في ذلك العصر مكتبات عامّة و خاصّة كثيرة فصار بإمكان الدارسين والباحثين أن يستفيدوا منها في ظروف سهلة يسيرة.^٥

كان في زمان الراغب اساتذة و علماء معروفون منهم: ابوالقاسم غانم بن ابي علي بن ابي العلاء، ابوسعيد بن مرداس، ابوالقاسم بن بابك، الصاحب بن عبّاد، الشريف الرّضي، ابوالعباس الضّبي الملقب بـ «الكافي الاوحد».^٦

١. هدية العارفين ٣١١/١؛ كتر الحكمة، ص ٦٩ و ٧٠؛ كشف الظنون ٤٦٢/١؛ ربحانة الادب

٢/٦٦؛ الاعلام الزركلي ٢/٢٧٦؛ اعيان الشيعة ٦/١٦٣.

٢. الذريعة الى مكارم الشريعة، مقدمته ص ٢٤.

٣. قال في كشف الظنون توفي الراغب سنة خمس مائة ونيّف. و في بغية الوعاة قال توفي في اوائل المائة الخامسة (ص ٣٩٦) ولكن الصواب في اوائل المائة السادسة (روضات الجنات، ص ٢٥٥).

٤. فجر الاسلام، ص ٢. ٥. الحضارة الاسلامية، ص ٢٤٣-٢٤٦.

٦. يتيمة الدهر ٣/٢٠٩، ٢١٧، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٧٤، ٣٨٨، ٤٢٩؛ محاضرات الادباء ٧٠٦/٢ و

٤/٧٢٢؛ الكامل ٩/١٨٩؛ ديوان الرضي، مقدمته، ص ١٢؛ معجم الادباء ٢/١٠٥-١٣٢.

مذهبه الكلامی والفقهی

قال بعض اصحاب السير و التراجم كان الراغب من الشيعة الامامية^١ و توهم بعض انه كان من المعتزلة^٢ وجاء في بعض المصادر انه كان من الاشاعرة^٣ والرأى الاخير في مذهبه الكلامی هو فحوى ما يدل عليه كلام الامام فخرالدين الرازى حيث جعله من اصحابه وعده في جملة من عدّ منهم ابا حامد الغزالی و هو من الاشاعرة.

موقف الراغب من التشيع

يظهر من دراسة آثاره أنه لم يكن شيعياً كما زعم بعض المؤرخين،^٤ لأنه كان منتحلاً مذهب الشافعى كما هو واضح ولكنه مع ذلك يذكر فضائل أئمة الشيعة. وقد صرح أن لقب اميرالمؤمنين عند اطلاقه ينصرف الى الامام على(ع)^٥ و نقل بشأنه^٦ حديث «أنا و علي أبوا هذه الامة» و حديث «أنا مدينة العلم و علي بابها» و حديث المنزلة (يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي) و كذلك نقل اخباراً و روايات عن أئمة الشيعة أو بشأنهم مما يدل على اعتقاده بهم و علوّ شأنهم و منزلتهم عنده.^٧

اما عقيدته في الاصول: فيظهر من دراسة رأيه في المسائل الكلامية انه كان معتقداً بمذهب السلف من علماء السنة (اهل الحديث و السنة).^٨

و اما عقيدته في الفقه: فقد عدّه بعض المؤرخين من منتحلي مذهب الشافعى و هذا هو ما يظهر من دراسة آثاره، لأنه يعتمد على ذلك المذهب في نقله للمسائل الفقهية.^٩

١. رياض العلماء، النسخة المصورة المحفوظة في «مكتبة جامعة طهران المركزية» ١٥٢/٢.

٢. بغية الوعاة، ص ٣٩٦.

٣. مجمع البحرين، ص ١٦٨ ذيل كلمة الروح.

٤. رياض العلماء ١٥٢/٢ نقلاً عن اسرار الامامة للشيخ الطبرسى صاحب مجمع البيان.

٥. محاضرات الادباء ٣/٣٤١.

٦. المفردات، ص ٧ و ٦٤؛ محاضرات الادباء ٢/٤١٥.

٧. محاضرات الادباء ١/٢ و ٣ و ٤ و اكثر صفحاته.

٨. الذريعة الى مكارم الشريعة، مقدمته ص ٣٣.

٩. المصدر نفسه، ص ٣٥.

شخصيته العلمية و آثاره

وبما انه نشأ في اصفهان فقد كان يتكلم اللغة الفارسية باعتبارها لغته الأم وكان مضطلعاً فيها ايضاً اضطلاع العلماء المتبحرين و هناك قرائن يستنبط منها انه كان خبيراً بالادب الفارسي و مضطلعاً به نشير اليها في ما يلي:

الاولى: ان المافروخي يذكره من جملة المتبحرين في النحو و الاعراب المتبصرين بغرائب الابنية و المفردات اللغوية.^١

الثانية: نسب اليه الخوانساري ابياتاً فارسية في الشعر منقولة من كتابة الذريعة الى مكارم الشريعة وهي:^٢

زصد هزار محمد كه در جهان آيد يكي به منزلت و جاه مصطفی نشود
و گرچه عرصه عالم پر از علی گردد يكي به علم و سخاوت چو مرتضى نشود
جهان اگرچه زموسى و چوب خالى نيست يكي كلیم نگردهد يكي عصا نشود
الثالثة: نقل في بعض مؤلفاته عبارات و ابياتاً باللغة الفارسية و ترجمها الى العربية مما يدل على اضطلاعها باللغتين و فيما يلي ننقل بعضها:

النصوص الفارسية المنقولة الى العربية في كتاب محاضرات الادباء^٣

١. اورده في وصف النرجس بالفارسية البيت التالي:^٤

نرگس از زمرد رسته مرواريد ازو رسته

زرش در میان بسته

٢. قيل لفارسی «فيم تقلّب الناس؟» فقال بالفارسية «اش نیازوآز» أي من الفقر

والحرص (و اش بمعنى من محرفة عن كلمة «از»).

١. محاسن اصفهان، ص ٣٥.

٢. روضات الجنات، ص ٢٤٩؛ ریحانة الادب ٦٦/٢ و من مقدمة الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٣٨.

٣. محاضرات الادباء نقلا عن مقدمة الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٣٩.

٤. و نقل في ترجمته:

«وياقوتة صفراء في رأس درّو مركبة في قامة من زبرجد»

يعدّ الراغب دون شك احد الاخصائيين في الادب العربي ونحوه في آخر القرن الرابع الهجري، فقد عدّه السيوطي احد علماء النحو و اشار الى آرائه النحوية واللغوية في بعض كتبه^١.

يظهر من اكثر تأليفه أنه كان مضطلعاً بالنثر العربي الفنى حيث يسوق كلامه في عبارات رائعة، مشحونة بفنون البيان و البديع مما يدلّ على براعته في فنّ النثر^٢.
ومن اهم آثاره الادبيّة والدينيّة: ^٣ تفسير الراغب، الذريعة الى مكارم الشريعة، افانين البلاغة، محاضرات الادباء، المفردات في غريب القرآن، اصول الاشتقاق.

نموذج من آثاره^٤

في كون الانسان بين البهيمة والملك

الانسان لما ركب تركيباً بين بهيمة و مَلَكٍ فشبهه للبهائم بما فيه من الشهوات البدنية من المآكل و المشارب و المناكح. وشبهه للملّك بما هو فيه من القوى الروحانية، من الحكمة والعدالة و الجود - صار واسطة بين جوهرين رفيع و ضييع. ولهذا قال تعالى «وهديناه التّجدين»^٥ فالنجدان من وجه العقل والهوى، و من وجه الآخرة و الدنيا، و من وجه الايمان والكفر و من وجه الهدى و الضلال، و من وجه موالة الله و موالة الشيطان المذكورتان^٦ في قوله تعالى: «الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور و الذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون»^٧ و من وجه

١. الاتقان في علوم القرآن ١/١٦٨ و ٢٠٣ و ج ٢/١٢٣-١٢٤.

٢. محاضرات الادباء ١/١١٩: الذريعة الى مكارم الشريعة و سائر آثاره الفنيّة في النثر.

٣. كشف الظنون ١/٤٤٧ و ٢/١٧٢٩: الاتقان في علوم القرآن، ص ١١٨.

٤. الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٣٥. ٥. البلد، ١٠.

٦. المذكورتان: صفة لموالات الله و موالة الشيطان و يجب ان تكون مجرورة بالياء لانها مشناة. ولكنها جاءت مرفوعة في الكتاب على هذا نحب أن تكون صفة مقطوعة فتكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديرهما.

٧. البقرة، ٢٥٧.

النور والظلم المذكوران في هذه الآية، أى الفضيلة والنقيصة ومن وجه الحياة والموت المذكوران في قوله «أو من كان ميتاً فأحييناه»^١.

فمن وفقه الله للهدى واعطاه قوة لبلوغ المدى، فرعى نفسه وزكّأها، فقد أفلح ومن حرمه التوفيق، فأهمل نفسه ودسّأها، فقد خاب وخسر، كما قال تعالى:
«قد أفلح من زكّأها وقد خاب من دسّأها»^٢.

نموذج آخر من كتاب الذريعة «المشاورة»

المشاورة اشتقاقها من «شرت الدابة» اذا استخرجت جريها. وهى استنباط المرء الرأى من غيره فيما يعرض من مشكلات الامور، ويكون ذلك في الامور الجزئية التى يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها، ونعم العدة هى، قال اميرالمؤمنين رضوان الله عليه: «المشاورة حصن من الندامة وامن من الملامة» وقيل «الأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة» فالرأى الواحد كالسحيل^٣، والرأىان كالحيطين، والثلاثة امرار^٤ لاتنقض وكفاك بمدحها قول الله عز وجل لنبئيه (ص): «وشاورهم فى الامر»^٥ وقد استحسّن العلماء قول بشار^٦:

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى تابع للقوادم^٧
لكن اعتبار من يجوز أن تعتمد مشاورته صعب جداً، فانه يحتاج أن يكون صديقا

١. الانعام، ١٢٢.
٢. الشمس، ٩ و ١٠.
٣. السحيل: الثوب لايرم غزله.
٤. الامرار: جمع مرّة: الاحكام، المرّة: احكام القتل.
٥. آل عمران، ١٥٩.
٦. محاضرات الادباء ٢٨/١؛ ديوان بشار بتصحيح السيد محمد بدر الدين العلوى.
٧. شرح البيتين: اذا احتاج الامر الى المشورة فيجب أن نستعين بعقل او برأى انسان ناصح أو نصيحة انسان عاقل. ولاتعتبر الشورى امرأ ينقص من قدرك وشأنك ومنزلتك.

اميناً مجرباً حازماً ناصحاً رابط الجأش غير معجب بنفسه ولا متلوّن في رأيه، ولا كاذب في مقاله، فن كذب لسانه كذب رأيه، ويجب أن يكون فارغ البال في وقت ما يستشار، وقد أحسن بشار حيث قال:^١

و ما كلّ ذى لبّ بمؤتيك نصحه و ما كلّ موتٍ نصحه بليب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب

١. المعنى: ليس كل ذى عقل كامل يقدم لك نصيحته صافية صادقة خالصة وليس كل من يقدم لك نصيحة خالصة بذى عقل كامل. ولكن عندما يجتمع العقل الكامل والنصيحة الصادقة الخالصة عند واحد النصيحة فالحق يقتضى ويوجب اطاعته.

الشعراء الكتاب الفرس

١. سهل بن هارون^١ (م ٥٢١٥)

كان سهل بن هارون من الادباء المرموقين في القرن الثاني والثالث، ولد في دشت ميشان بين الاهواز و واسط والبصرة، ثم أنه انتقل مع أهله الى البصرة، وكانت آنذاك مدينة العلم والادب. كان حكيماً فصيحاً شاعراً، فارسي الاصل، وكان شيعياً معتدلاً. ملك عنان البيان والحكمة فدعى لحكمته وعقله «بزرجمهر الاسلام»^٢.

وصفه الجاحظ بقوله: «كان سهل سهلاً في نفسه، عتيق الوجه، حسن الإشارة بعيداً من القدامة، معتدل القامة، مقبول الصورة، يقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المحاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان، وبالنبيل قبل التكشف»^٣.

مال الى الفكاهة منذ حداثته وتروى له في ذلك طرائف كثيرة، فوصفه الجاحظ ايضاً بدقة الذهن ورقتة. وكان لسنناً شديداً عارضة وهو صاحب البيان والحكمة والجدل^٤.

كتبه و طريقته في الكتابة

كان اهل عصره مجمعين على الاقرار بفضلها، يقول الجاحظ فيه^٥: «ومن الخطباء الشعراء

١. معجم الادباء ١١/٢٦٦؛ الفهرست، ص ١٥٣؛ امراء البيان، لكردعلى، ص ١٣٩، طبع ١٩٦٩.

٢. معجم الادباء ١١/٢٦٦؛ فوات الوفيات للكعبى ٢/٨٤؛ زهر الآداب ٢/٢٥٨.

٣. البيان والتبيين ١/٦٥.

٤. انظر: الحيوان ٢/٣٧٤؛ الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ص ١٤٧.

٥. البيان والتبيين ١/٤٠.

الذين قد جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المخلّدة والسير الحسان المدونة والاخبار المولّدة».

من كتبه التي ذكرها ابن النديم: كتاب الوامق والعدراء، كتاب الغزاليين، كتاب تدبير الملك والسياسة. وله رسالة مشهورة في البخل و تدبير مسلك البخلاء؛ و كتاب شجرة العقل؛ و كتاب الفرس؛ و كتاب ثُعالة وعفراء.^١

يكبر الجاحظ دائماً من بلاغة سهل بن هارون وفصاحته وعدّه من اهم كتاب القرن الثاني و اوائل القرن الثالث،^٢ و وصفه سائر المؤرخين بحُسن و دقة الحكمة؟ فلذلك نرى في اكثر آثاره بلاغة الكلام وحكمة المرام.

وقيل في وصف انشائه:^٣ وكأنك في انشاء سهل تقرأ المعنى قبل اللفظ، وماتنفع القوالب اذا لم يكن علم الكاتب يُملى، والمظاهر والدايسير مستمليّة. الفاظه جميلة وقوالبه محكمة. وفي كلمة الطيب تقع على اشباع المعاني، وتقطع الجمل، والابلاغ في المزاججة بين الكلمات وتوازنها ورثة الفقرات.

جمع سهل بن هارون في كتابته بين جمال الفكر وجمال المادة، أمّا جمال الفكر فيقوم عنده بقوة المنطق وحسن التحليل والتعليل على طريقة الجدل، وأمّا جمال المادة فيقوم في كتابته باختيار الالفاظ وحسن تركيبها في الجملة ونرى نوعاً من التوازن المسجوع^٤ في كتابته في اغلب الاحيان و «هكذا كان سهل بن هارون حلقة الوصل بين المدرسة الحميدية والمدرسة الجاحظية». والجانب المعنوي في آثار سهل أحسن من الجانب اللفظي، وكان في الفاظ كتابته عذباً واضحاً بعيداً عن التكلف وكان له شيء قليل من الشعر الوجداني في مجال الأغراض الاجتماعية مع أنّه ساعٍ لاستعمال الحكمة في آثاره.^٥

١. معجم الادباء ١١/٢٦٧؛ الفهرست، ص ١٥٤؛ البخلاء للجاحظ، ص ٢١-٢٩؛ العقد الفريد

١٥٦/٦-١٥٩؛ فوات الوفيات ٨٥/٢.

٢. شرح العيون، ص ١٣٢؛ الفن ومذاهبه في الشر العربي، ص ١٤٩. ٣. امراء البيان، ص ١٤.

٤. انظر: تاريخ الادب العربي، حتّا الفاخوري، ص ٤٧٤.

٥. انظر الى الفن ومذاهبه في الشر العربي، ص ١٥٠؛ تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢/٢١٢.

وكان سهلاً مترسلاً بليغاً وخطيباً فصيحاً ومصنفاً لكتب وتدور أكثر آثاره حول القصص والأسفار على لسان الناس والبهائم والطيور.^١

نماذج^٢ من آثاره النثرية

قال سهل بن هارون: لو أن رجُلين خَطَبَا أو تَحَدَّثَا، أو احتجَّبا أو وصَّفا وكان أحدهما جليلاً بهيئاً، ولباساً نبيلاً. وذا حَسَبٍ شريفاً. وكان الآخرُ قليلاً قبيئاً. وبأذ الهيئة دَمِيمًا. وخاملَ الذِّكْرَ مَجْهُولًا. ثمَّ كانَ كلاهما في مقدارٍ واحدٍ من البلاغة. وفي وَزْنٍ واحدٍ من الصَّواب. لتصدعَ عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليلِ الدِّمِيمِ عَلَى التَّيْبِيلِ الجَسِيمِ. وللبأذ الهيئة على ذي الهيئة، وَلَسَغَلَهُمُ التَّعَجُّبُ منه عن مُساواةِ صاحبه به، ولصارَ التَّعَجُّبُ منه سبباً للْعُجْبِ بِهِ، و لصارَ الاكثارُ في شأنِهِ علةً للاكثارِ في مَدْحِهِ. لأنَّ النفوسَ كانتْ له أَحقرَ ومن بيانه أيَّاسٌ، ومن حَسَدِهِ أبعَدَ. فاذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَهُ. وظهرَ منه خلافُ ما قَدَّرَهُ، تضاعفُ حسنُ كلامِهِ في صُدورِهِم. وكبُرَ في عيونهم لأنَّ الشَّيءَ مِنْ غيرِ مَعْدِنِهِ أَعْرَبُ، وكُلِّمَا كانَ أَعْرَبُ كانَ أبعَدَ في الوَهْمِ وكُلِّمَا كانَ أبعَدَ في الوَهْمِ كانَ أَظْرَفُ، وكُلِّمَا كانَ أَظْرَفُ كانَ أَعْجَبَ، وكُلِّمَا كانَ أَعْجَبَ كانَ أبعَدَ، وأنما ذلك كنوانِرِ كلامِ الصَّبيانِ ومُلحِ المجانينِ. فانَّ ضِحْكَ السامعينِ مِنْ ذلك أشدُّ، وتَعْجُّبُهُم بِهِ أكثرُ، والناسُ مَوْكُلُونَ بتعظيمِ الغريبِ، واستطرافِ البعيدِ، وليس لهم في الموجودِ الرَّاهنِ المقيمِ وفيما تحتَ قُدرتهمِ مِنَ الرَّأيِ والهوى، مثلُ الَّذي معهم في الغريبِ القليلِ و في النادرِ الشاذِّ، وكلِّ ما كانَ في ملكِ غيرِهِم. وعلى ذلك زَهَدَ الجيرانِ في عالمِهِم، والاصحابِ في الفائدةِ من صاحبِهِم وعلى هذه السبيلِ يستطرفُونَ القادِمَ عليهم، وَيَرْحَلُونَ الى النازحِ عنهم. ويتركونَ مَنْ هو اعمُّ نفعاً وأكثرُ في وجوهِ العلمِ تصرِّفاً، وأخفُ مؤونةً وأكثرَ فائدةً ولذلك قدَّمَ بعضُ الناسِ الخارجى على العريقِ، والطارفِ على التليدِ.

كانوا يقولون: اذا كان الخليفةُ بليغاً والسيدُ خطيباً فانك تجدُ جمهورِ الناسِ واكثرَ

١. تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢/٢١٢.

٢. البيان والتبيين، المجلد الاول: الجزء الاول، ص ٦٥.

الخاصة فيها على امرين: إما رجلاً يُعطي كلامها من التعظيم والتفضيل، والاكبار والتبجيل، على قدر حالها في نفسه، وموقعها من قلبه، وإما رجلاً تعرض له التهمة لنفسه فيها، والخوف من أن يكون تعظيمه لها يوهمه من صواب قولها وبلاغه كلامها، ما ليس عندهما حتى يفرط في الاشفاق، ويسرف في التهمة. فالاولُ يزيد في حقه للذي له في نفسه، والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه، ولاشفاقه من أن يكون مخدوعاً في أمره. فاذا كان الحبُّ يُعمى عن المساوىء فالبغضُ أيضاً يُعمى عن المحاسن وليس يعرف حقايق مقادير المعاني، ومحصل حُدود لطائف الأمور، إلا عالمٌ حكيم، اومعتدلُ الأخلاطِ عليهم، والا القوي المنته، الوثيق العقدة، والذي لايميلُ مع ما يستميلُ الجمهور الاعظم والسواد الاكثر.

نماذج من شعره

قال سهل بن هارون:^١

تكننني همّان قدكسفا بالي	وقد تركا قلبي محلةً بلبال ^٢
هنا أذرينا دمعي ولم تذر عبرتي	ربيبةٌ خدر ذات سمطٍ وخلخال ^٣
ولكنني أبكي بعينٍ سخينة	على جلال تبكي له عين أمثالي ^٤
فراق خليل، أوشجى يستشفي	لحيلة مرءٍ لايقوم لها مالي ^٥
فواكبدي حتى متى القلب موجع	بفقد حبيب أو تعذر إفضال ^٦
وما العيش إلا أن تطول بنائل	والإلقاء الخلل ذي الخلق العالي ^٧

إنه مفرق النفس قلق البال موزع الضمير باكي العين لأنه محاط بهمين أرقاه وأبعدا

١. المصدر نفسه، المجلد الاول: الجزء الثاني، ص ١٥٧.

٢. تكننني: أحاط بي. كسّف باله: ساءت حاله. البلبال: الهم والوسواس.

٣. أذرت العين دمعاً: أسألته العبرة: الدمع. الربيبة: بنت امرأة الرجل من غيره. السمط: الخيط مادام الخرز ونحوه منظوماً فيه.

٤. جلال: أمر عظيم.

٥. الشجى: الهم والحزن. استشف الشيء: اختبره. حلة: حاجة.

٦. إفضال: من أفضل عليه من الشيء: أبق منه بقية.

٧. الخلل: الصديق المختص.

النوم عنه وأقلقا مضجعه، فراق خليله وضيق يده وعدم تمكنه من مساعدة الصديق، وراحمة له إلى متى يبقى موجع القلب بفقدان أحبته وضيق يده أنه يتمنى ان يكون رغيداً في عيشه سعيداً بقاء أحبته.

٢. أبو الفضل ابن العميد (م ٥٣٦٠هـ)

فتح ادبنا عينيه على الدنيا في مدينة قم في عائلة^١ اشتهرت بالعلم والادب فقد كان أبوه العميد ابو عبدالله كَلَّه في الرتبة الكبرى من الكتابة وكان يكتب لـ «ما كان بن كاكى»، حصل على اسم محمد وعرف بعد ذلك بابن العميد، إشتوزَ لركن الدولة الديلمي والد عضد الدولة. كان متضلِّعاً في الفلسفة والنجوم، وفي الادب والترسل فلم يرق إلى مرتبته الادبية والعلمية احد في عصره، ولذلك كان يُسمَّى بالجاحظ الثاني. وكان من مجالسيه الصاحب بن عباد ولأجل ملازمته له، لُقِّب بالصاحب، إذا سَبَرْنَا آثاره يظهر لنا أنه فريدي في الكتابة والترسل. قال الثعالبي في يتيمة: ^٢ «كان يقال بدئت الكتابة بعبدا الحميد وختمت بابن العميد». مدحه مشاهير شعراء عصره منهم ابو الطيب المتنبّي فقد مدحه في قصيدة مطلعها: ^٣

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتْ أَوْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكََاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَعْمُكَ أَوْ جَرَى
و من مادحيه ايضاً الاصبغ بن نباتة والصاحب بن عباد وغيرهما من الشعراء المجيدين لا يسعنا المقام هنا لذكرهم جميعاً.^٤ وكما مدحه بعض الشعراء فقد عابه بعض الادباء وانتقده انتقاداً مرّاً لاذعاً وهو ابو حيان التوحيدى^٥، فقد وضع كتاباً أسماه مثالب

١. وفيات الاعيان ١٠٣/٥ وما بعدها؛ يتيمة الدهر ١٨٣/٣؛ تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٥٠٠/٢.

٢. يتيمة الدهر ١٨٣/٣ وما بعدها؛ عدد من بلغاء ايران، ص ٦٨.

٣. وفيات الاعيان ١٠٤/٥؛ ديوان المتنبّي، ص ٥٣٧.

٤. وفيات الاعيان ١٠٥/٥-١٠٨.

٥. كان ابو حيان فاضلاً مصنفّاً من كتبه المشهورة: الامتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر (وفيات الاعيان ١١٣/٥).

الوزیرین بینَ فیہ معایبَ ابن العمید و الصاحب ابن عبّاد وعدّد نقائصها وأنکر ما اشتهر من الفضائل عنہا وبالغ فی التعصب علیها و ما انصفها.

كان ابن العمید شاعراً ناثراً لكنّه اشتهر بنثره لروعته و لِعَلَبِيَّتِهِ على شعره، و اذا نظرنا فی شعره وجدناه متكلفاً. فاق ابن العمید أقرانه فی النثر فقد مزج فیہ بین اسلوب ابن المقفع و اسلوب الجاحظ مع التوسّع فیہ و الميل الى التكلف و التصنع فی تأنّق و إسهاب، فهو یكثر فی صنعة الموازنة غیر مفرط فی السجع، افراط الصاحب فیہ، مضمناً له كثيراً من الأشعار و الأمثال.

كانت وفاته سنة ٣٦٠هـ و قد اختلف فی مضجعه الأخير، فقال بعض المؤرخین قد دفن فی الرّی (طهران الیوم) و قال آخرون قد دفن ببغداد لكن الرأی الأقوی هو أنّه قد رقدته الأخيرة فی الرّی.^١

المختار من شعره^٢

ظَلَّتْ تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
فَأَقُولُ وَاعْجَبًا وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

یصف محبوبته واقفةً تظللّه من الشمس الهاجرة، إنّها جميلة كالشمس، فهو یتعجب كيف أن شمساً تظللّه من شمس.

و قال فی الفصد لمعشوقه:^٣

وَيْحَ الطَّيِّبِ الَّذِي جَسَّتْ يَدَاهُ يَدَكَ مَا كَانَ أَجْهَلَهُ فَمَا قَدِ اعْتَمَدَكَ^٤
بِأَيِّ شَيْءٍ تَرَاهُ كَانَ مُعْتَدِرًا مِنْ مَسِّهِ بِحَدِيدٍ مُؤَلِّمٍ جَسَدَكَ
لَوْ أَنَّ الْحَاظِلَةَ كَانَتْ مَبَاضِعُهُ لُحْمٌ انْتَحَاكَ بِهَا مِنْ رِقَّةٍ فَصَدَكَ^٥

١. وفيات الاعيان ١٠٩/٥، دار صادر؛ الكامل حوادث سنة ٣٦٠؛ عددٌ من بلغاه ايران في لغة

العرب، ص ٦٢. ٢. يتيمة الدهر ٢٠٩/٣.

٣. المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٤. جَسَّتْ؛ لَامَسَتْ و تَفَحَّصَتْ. اعتمدك: قصدك، ما كان أجْهَلَهُ فيما قد قصد فَصَدَكَ بالحديد.

٥. المباحض: جمع مبضع و هو ما يستعمل في الجراحة للبضع.

و من شعره في الاخوانيات:^١

كتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الابيات وهي من مشهور شعره و جَيِّدُهُ:
 أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا ظَلَّ يَعْزُرُكُنِي عَزَّكَ الْأَدِيمِ وَمَنْ يُعْدي عَلَى الزَّمَنِ ٢
 وَصَاحِبًا كُنْتُ مَعْبُوطًا بِصُحْبِيهِ دَهْرًا فَغَادَرَنِي فَرْدًا بِبِلَاسِكُنِي
 هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فِطَارِ بِهَا نَحْوَالِ السُّرُورِ وَالْجَأْنِي إِلَى الْحَزَنِ
 نَأَى بِجَانِبِهِ عَنِّي وَصَيَّرَنِي مِنَ الْأَسَى وَدَوَاعِي الشُّوقِ فِي قَرَنِ ٣
 وَبَاعَ صَفْوًا وَدَادٍ كُنْتُ أَقْصَرُهُ عَلَيْهِ جُبْهَةً فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
 وَكَانَ غَالِي بِهِ حِينًا فَأَرْخَصَهُ يَا مَنْ رَأَى صَفْوًا وَدِي بَيْعِ بِالْعَبَنِ
 كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى إِحْنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشُّعْرِ أَنْشَدَنِي ٤
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِفُهُمْ فِي الْمُنْزِلِ الْحَشَنِ

انطلق لسان الشاعر بغناء حزين وشكاة مرة، و ألم مُبِضٌّ، معبراً عن نفس قد ازدحمت فيها عواطفها المضطربة و ذكرياتها القويّة، نفس قد مלאها الأسى حتى فاض و استولى عليها اليأس حتى لا تجد منفذاً للأمل و هدوء البال، إنّه يشكو من زمانه و صديقه، زمانه الذي أحاطه بخطوبه و حوادثه، و من صديقه الذي كان مغتبطاً بصداقته مبتهجاً بصحبته، ولكنّ هذا الصديق قد ترائت له أسباب الغنى و النعيم فطار إليها و آثر نفسه بخيرها و ترك وراءه خليله و صديقه يقاسي الألم و الحزن، لم يهتمّ به و لم يفكر فيه.

المختار من نثره

رسالة إلى بعض معاصريه فصل من أولها^٥

كِتَابِي وَأَنَا مُتَرَجِّحٌ بَيْنَ طَمَعِ فَيْكِ، وَ يَأْسِ مِنْكَ، وَ إِقْبَالِ عَلَيْكَ، وَ إِعْرَاضِ عَنكَ، فَإِنَّكَ تَدُلُّ بِسَابِقِ حُرْمَةٍ، وَ تَمَّتْ بِسَالِفِ خِدْمَةٍ، أَيْسَرُهُنَا يُوجِبُ رِعَايَةَ، وَ يَقْتَضِي مُحَافَظَةً وَ

١. يتيمة الدهر ٢٠٢/٣.

٢. أعداه عليه: أعانته و نصرته، و من يُعْدي على الزمّن: مَنْ ينصرني على الزمان.

٣. في قرن: في شَرَكٍ و قيدٍ.

٤. المصدر نفسه، ١٩٣/٣.

٥. الإحْن: الحقد.

عنايةً، ثمَّ تشفعُهما بحدِّ غُلُولٍ^١ و خيانةٍ، و تُشعُهما بآنفٍ خلافٍ و معصيةٍ. و أدنى ذلك يحيطُ أعالِكَ، و يمتَحُّ كُلَّ ما يُرعى لَكَ، لا جَرَمَ أَنِّي وَقَفْتُ بَيْنَ مَبِيلِ إِلَيْكَ، و مَبِيلِ عَلَيْكَ: أَقَدَّمُ رِجْلًا لِصَدْمِكَ. و أَوْخَرُ أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ، و أَبْسَطُ يَدًا لِاصْطِلَامِكَ و اجْتِيَا حِكَ، و أَنِّي ثَانِيَةٌ لِاسْتِيفَانِكَ و اسْتِصْلَاحِكَ، و أَتَوَقَّفُ عَنْ إِمْتِنَالِ بَعْضِ الْمَأْمُورِ فَيْكَ، ضَنْناً بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ، و مَنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ لَدَيْكَ، و تَأْمِيلًا لِفَيْتِيكَ و أَنْصِرَافِكَ، و رَجَاءً لِمُرَاجَعَتِكَ و انْعِطَافِكَ، فَقدَّ يَعْزُبُ الْعَقْلُ ثُمَّ يُوُوبُ، و يَعْزُبُ^٢ اللَّبُّ ثُمَّ يَتُوبُ، و يَذْهَبُ الْحَزْمُ ثُمَّ يَعُودُ، و يَفْسُدُ الْعَزْمُ ثُمَّ يَصْلُحُ، و يُضَاعُ الرَّأْيُ ثُمَّ يُسْتَدْرَكُ، و يَسْكُرُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَصْحُو، و يَكْدَرُ الْمَاءُ ثُمَّ يَصْفُو، و كُلُّ ضَيْقَةٍ إِلَى رِخَاءٍ و كُلُّ غَمْرَةٍ فِإِلَى انْجِلَاءٍ. و كما أَنَّكَ أَتَيْتَ مِنْ إِسَاءَتِكَ بِمَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ أَوْلِيَاؤُكَ، فَلا يَدْعُ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ إِحْسَانِكَ. بِمَا لا تَرْتَقِبُهُ أَعْدَاؤُكَ، و كما اسْتَمَرَّتْ بِكَ الْغَفْلَةُ حَتَّى رَكِبْتَ ما رَكِبْتَ، و اخْتَرْتَ ما اخْتَرْتَ. فَلا عَجَبَ ان تَنْتَبِهَ إِنْتِبَاهَةً تُبْصِرُ فِيهَا قُبْحَ ما صَنَعْتَ، و سَوْءَ ما آثَرْتَ. و سَأَقِيمُ عَلَى رُسْمِي فِي الْإِيقَاءِ و الْمُبَاطَلَةِ ما صَلَحَ، و عَلَى الْاسْتِيفَاءِ^٣ و الْمُطَاوَلَةِ ما أَمَكَنَ، طَمَعاً فِي إِنْابَتِكَ^٤، و تَحْكِيماً لِحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، فَلَسْتُ أُعَدِّمُ فِيمَا أَظَاهَرُهُ مِنْ إِعْذَارٍ، و أُرَادِفُهُ مِنْ إِنْذَارٍ، إِحْتِجَاجاً عَلَيْكَ و اسْتِذْرَاجاً لَكَ، فَإِنْ يَشَأَ اللَّهُ يُرْشِدْكَ، و يَأْخُذُ بِكَ إِلَى حَظِّكَ و يُسَدِّدْكَ، فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، و بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

٣. ابوبكر الخوارزمي (م ٥٣٨٣)

ابوبكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب المشهور، كان ابوه من خوارزم وأمه من طبرستان ولذلك يُسمَّى بِطَبْرَحْزَمِي^٥.

١. الغُلُول: الحقد والغش.

٢. يَعْزُبُ: يبعد و يغيب.

٣. الاستيفاء: التمهّل.

٤. الانابة: العودة و التوبة.

٥. وفیات الاعيان ٤/٤٠٠؛ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجى زيدان ١/٥٨٢؛ تاريخ الادب

العربي، عمر فروخ ٢/٥٤٤؛ يتيمة الدهر ٤/٢٣٢؛ اعيان الشيعة ٩/٣٧٨.

ولد الخوارزمي سنة ٣٢٣هـ في خوارزم. فارق وطنه في ريعان عمره وتقلّب في البلاد، مستفيداً من الفضلاء والشعراء، وقد أقام حيناً في الشام واتّصل بسيف الدولة^١. ثمّ أنّه غادر حلب الى بخارا واتصل بأبي علي البلعمي وزير منصور بن نوح الساماني. فلم يحمده وهجاه^٢. ولكنّه فارقه سريعاً وذهب الى نيشابور واتّصل بالامير أحمد الميكالي ومدّحه، وقصد سجستان ومدح واليها طاهر بن محمد، ثمّ هجاه فحبسه ثمّ خلص^٣ ثمّ قصد صاحب بن عبّاد فأكرمه، وبواسطة صاحب وصل ابوبكر الى عضد الدولة ونال عنده مرتبة رفيعة^٤. ثمّ عاد الى نيشابور واستوطنها وكان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً. ومات في نيشابور سنة ٣٨٣هـ^٥ وفي تاريخ موته اختلاف كثير، لكنّ كثيراً من المؤرخين يقولون أنّه مات في تلك السنة.

كان الخوارزمي اديباً، شاعراً حسن الشعر وناثراً بليغاً نافذ القريحة، يعلم اخبار العرب واياهم و دواوينها، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر، ويستعمل العبارات المليحة والمعاني الدقيقة مع حلاوة وعذوبة^٦.

لقد كان اماماً في اللغة، عالماً باشعار العرب، عارفاً بأنسابها واخبارها، كثير الحفظ للاشعار، ولم يصل اليها من آثار ابي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه، وله ديوان شعر ايضاً، وشعره اقرب الى شعر الكُتّاب منه الى شعر الشعراء المطبوعين^٧. ومن فنون شعره الهجاء والمدح والرثاء مع شيء من الحكم المنثورة فيها وأما نثره فكان ترسلاً، وكان اعلى مرتبة من شعره، ومع جودة رسائله، فإنّنا نرى عليها شيئاً من

١. وفيات الاعيان ٤/٢٠٤ (الهامش): تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢/٥٤٤.

٢. بغية الوعاة، ص ٥١؛ تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢/٥٤٤.

٣. بغية الوعاة، ص ٥١.

٤. وفيات الاعيان ٤/٤٠١؛ اعيان الشيعة ٩/٣٧٧.

٥. وفيات الاعيان ٤/٤٠٢.

٦. وفيات الاعيان ٤/٤٠٠ و ٤٠١؛ يتيمة الدهر ٤/٢٢٣ و ٢٣٤؛ تاريخ الادب العربي، فروخ ٢/٥٤٥.

٧. وفيات الاعيان ٤/٤٠١؛ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ١/٥٨٢؛ ديوان ابي بكر الخوارزمي مع دراسة لعصره وحياته وشعره، الدكتور حامد صدقي، مرآة التراث، طهران، ١٩٩٧م.

الجفاف اذا قيست برسائل بديع الزمان الهمداني. وكان يتكلف بالصناعة في رسائله ويميل الى الفكاهة والسخرية، فيحسبها غالباً. وكان بين الخوارزمي وبديع الزمان منافسة شديدة، سببت له آلاماً مؤذيةً وخاصة في المناظرة المشهورة.

المختار من نثره

وقال ابوبكر الخوارزمي يصف والياً ظالماً عاتياً:

وَرَدَ عَلَيْنَا فَلَانٌ وَنَحْنُ نِيَامُ نَوْمَ الْأَمْنَةِ^١ وَشُكَارَى سُكْرِ الثَّرْوَةِ. وَوَمْتَكْتُونَ عَلَى فِرَاشِ الْعَدْلِ وَالنَّصْفَةِ^٢، فَمَا زَالَ يَفْتَحُ عَلَيْنَا أَبْوَابَ الْمَظَالِمِ وَيَحْتَلِبُ فِينَا ضَرْعِي الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ وَيَسِيرُ فِي بِلَادِنَا سِيرَةً لَا يَسِيرُهَا السُّنُورُ^٣ فِي الْفَارِ وَلَا يَسْتَخِيرُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ^٤. حَتَّى افْتَقَرَ الْأَغْنِيَاءُ وَانْكَشَفَ الْفُقَرَاءُ، وَحَتَّى تَرَكَ الدَّهْقَانَ^٥ ضَيْعَتَهُ، وَجَحَدَ^٦ صَاحِبُ الْغَلَّةِ غَلَّتَهُ^٧ وَحَتَّى نَشَفَ الضَّرْعَ^٨ وَالْفِرْعَ وَاهْلَكَ الْحَرثَ^٩ وَالنَّسْلَ^{١٠}، وَحَتَّى أَخْرَبَ الْبِلَادَ، بَلْ أَخْرَبَ الْعِبَادَ، وَحَتَّى شَوَّقَ إِلَى الْآخِرَةِ أَهْلَ الدُّنْيَا وَحَبَّبَ الْفَقْرَ إِلَى أَهْلِ الْغِنَى، وَحَتَّى لُقِّبَ بِالْجِرَادِ وَكُنِيَ أبا الْفَسَادِ، وَحَتَّى صَارَ الدَّرَاهِمُ فِي أَيَّامِهِ أَقْلٌ مِنَ الصَّدَقِ فِي كَلَامِهِ، وَصَارَ الْأَمْنُ فِي أَعْمَالِهِ أَعَزَّ^{١١} مِنَ السَّدَادِ^{١٢} فِي أَعْمَالِهِ.

١. الأمانة (بفتح الهمزة والميم والنون): الأمن، الأمان، السلامة.

٢. النصفة (بفتح النون والصاد والفاء): الانصاف، المساواة في المعاملة.

٣. السنور: الهر، القط.

٤. الكفار: الذين ليس لهم كتاب سهاوي ولانبي مرسل: والذين يجحدون الله أو يشركون به غيره.

٥. ترك الدهقان صاحب الأراضي.

٦. ضيعته وجحد: أنكر، تبرأ من.

٧. غلته لأن الضريبة عليها أكبر من قيمتها.

٨. الضرع: ثدى الأنعام الحلوبة (كالغنم والبقر والابل).

٩. الحرث: الزرع.

١٠. النسل: ما يتكاثر بالتوالد من الانسان (والحيوان) - استولى على نتاج كل شيء ثم أهلك جميع المنتجين.

١١. أعز: أندر، أقل.

١٢. السداد (بفتح السين): الصواب في القول والعمل.

فَلَيْتَهُ اذْ أَوْحَشَ الرِّجَالَ^١ حَصَلَ الْمَالَ^٢، وَلَيْتَهُ اذْ ضَيَّعَ الْمَالَ أَرْضَى الرِّجَالَ، وَلَكِنَّهُ حُرِّمَ
الْإِثْنَيْنِ فَأَفْلَسَ مِنَ الْجَهْتَيْنِ. وَ وَاللَّهِ، مَا الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ الْآمِنُ الْحَسَنِينَ،
وَاللَّسُّوسَ فِي الْخَزْفِ فِي الصَّيْفِ الْآمِنِ الْمَصْلِحِينَ، وَلَا الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ التَّقْفِيَّ فِي الْعِرَاقِ الْآ
أَوْلُ الْعَادِلِينَ. وَلَا يَزِدُ جَرْدَ الْأَتِيمِ فِي أَهْلِ فَارَسَ بِإِلْضَافَةِ إِلَيْهِ الْآمِنِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ،
وَلَا فِرْعَوْنَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا قَابَلْتَهُ بِهِ الْآمِنِ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ.^٣

المختار من شعره

قال يرثى ابا الفتح ابن العميد:^٤

يَا دَهْرُ أَنْكَ بِالرِّجَالِ بَصِيرِ	فَلَطَا مَا تَجْتَا حُهُمْ وَتَسِيرِ ^٥
الآن نَادَتْنَا التَّجَارِبُ طَلَّقُوا	دُنْيَاكُمْ إِنْ السُّرُورَ غُرُورُ
يَا دَهْرُ غَيْرِي مِنْ خَدَعْتَ بِبَاطِلِ	وَأَبْنُ الْعَمِيدِ مُعَيَّبٌ مَقْبُورِ
يَا دَهْرُ ظَلَّ لِخَلْبِيكَ فَرِيْسَةٌ	رَجُلٌ لَعْمَرِي لَوْ عَلِمْتَ كَبِيرُ
رَجُلٌ لَوْ أَنَّ الْكُفْرَ يَحْسُنُ بَعْدَهُ	هُجِي الْقَضَاءُ وَأَنْبَ الْمُقْدُورُ
أَشْكُو إِلَيْكَ النَّفْسَ وَهِيَ كَثِيْبَةٌ	وَأَذْمُ فَيْكَ الدَّمْعَ وَهُوَ غَزِيرُ
وَأَقُولُ لِلْعَيْنِ الْغَزِيرِ بِكَأَوْهَا	خَطْبُ لَعْمَرِي لَوْ عَمِيَتْ يَسِيرُ
قَدْ مِتُّ بَعْدَكَ مَيْتَةً مُسْتَوْرَةً	قَدْ سَاقَهَا لِي مَوْتُكَ الْمَشْهُورُ
وَدَفَنْتَ فِي قَبْرِ الْمُهْمُومِ وَضَمَّنِي	كَفَنَانِ ضَيْقِ الصَّدْرِ وَالتَّفَكِيرِ
ضَحَكَتْ إِلَيْكَ الْحُورُ ضَحْكَاً كَلِّمَا	وَأَفَاكَ ضَيْفٌ أَوْ أَتَاكَ فَقِيرُ
وَضَفَّتْ عَلَيْكَ ذِيُولُ رَحْمَةِ رَبِّنَا	وَاللَّهِ بَرٌّ بِالْجَوَادِ غَفُورُ

١. أوحش الرجال: نفرهم منه.

٢. حصل المال: جمع مالا (للدولة). انه بأعماله قد نفر الناس من الدولة وجعلهم لها أعداء ثم لم يستطع أن يجمع الخراج والضرائب لأنه أفسد كل شيء وأفقر البلاد.

٣. تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ٢/٥٤٦ و ٥٤٧.

٤. يتيمة الدهر ٤/٢٥٩-٢٦٠.

٥. تجتاحهم وتبوير: تقضى عليهم وتفتيهم.

وسقى ضريحك مستهلَّ عُمره شهرٌ وعُمرُ النبت منه شهرٌ
 جودٌ ككفك أو كعيني أو دمٍ أجراه سيفك في العديء مشهورٌ
 أهوى القيامةَ لألشيءٍ أنه ألقاك فيها والأنام حضورٌ
 وأحبُّ فيك الموتَ علماً أننا بعد المماتِ إلى اللقاء نصيرٌ

كانت نفس الشاعر راغبة في اشياء كثيرة، تفكّر في تحقيق امالٍ عراضٍ تنعمّ بالسعادة ورجد العيش ولكنها رُدَّت عنها رداً وصدَّت عنها صدأً، وحال الزمان بينها وبينها، وذلك لأنه اختطف من الشاعر اعزاً اصدقائه وأكرمهم عليه.

إنه يذمُّ هذا الزمان الذي لا يمنح المرء سعادة وهناءً إلا لينفصها عليه ولا يمنح الإنسان الحياة إلا ليأخذها منه ولا يهبه المرح والفرح إلا ليبدلها بالشقاء والترح، إنه يخادع ويروغ، إنه افترس صديق الشاعر الحميم صديقه الذي كان يؤمل فيه امالاً عراضاً لأنه كان سيّداً مطاعاً وعالماً كبيراً وشجاعاً مغواراً وجواداً محسناً، كان مساحاً تهتز أعطافه أريحيةً وكرماً وبتلاً ووجه بشراً وسروراً عندما يذيع في العافين وذوي الحاجة ما يقدر عليه من الخير والمعروف والإحسان، كان سمح الخلق، رضى الطبع، إنه يأسى على صديقه هذا الذي اختطفه الدهر منه فرُدَّت آماله اليه رداً وصدَّت عنها صدأً فاصبح كاسف البال كتيب النفس ضيق الصدر ملتاع الفؤاد، ملأ الحزن قلبه وأفعمت الكتابة نفسه وأخذت زفرات تصعد من جوفه تكاد تحرق قلبه تحريقاً وتمزق فؤاده تمزيقاً وتُرسل من عينيه دموعاً غزيراً، إنه ينظر الى نفسه فيجدها لا تستطيع ان تتمتع بلذات الحياة بعد فقدان صديقه، إنه حيّ كالميت بل ميّت كالحَيّ، لقد مات بعد موت صديقه، وقبره لا بالتراب بل بالهموم والآلام والكتابة والحزن وضيق الصدر، إنه يهوى الموت والقيامة، إذن، لا لشيء إلا لأنه سيلقى صديقه وسيجتمع به هناك.

٤. الصاحب بن عباد (م ٥٣٨٥)

الصاحب ابوالقاسم اسماعيل بن ابى الحسن عبّاد الطالقاني الاصفهاني، والطالقاني نسبة الى الطالقان وهى اسم لمدينتين: احدهما بخراسان والاخرى من اعمال قزوین، والصاحب

المذكور اصله من طالقان قزوین، لا طالقان خراسان.^١

ولد في سنة ٣٢٦ هـ و توفي عام ٣٨٥ هـ و أودع في داره بالرئى، ثم نقل الى تربة له باصفهان.^٢

و يقول صاحب معجم الادباء هو: كافي الكفاة ابو القاسم، من اهل الطالقان، و هى ولاية بين قزوین و أبهر و هى عدة قرى يقع عليها هذا الاسم.^٣
قال الثعالبي: سمعت ابا بكر الخوارزمي يقول: ان مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، و دب في وكرها، و رضع أفاويق^٤ درها، و ورثها عن ابيه كما قال ابوسعيد الرستمي الاصفهاني:

ورث الوزارة كابرأ عن كابرٍ موصولة الإسنادِ بالإسنادِ
يروي عن العباسِ عبأدُ وزا رتته و أسماعيلُ عن عبأدِ^٥

و اذا رجعنا الى الخصائص الادبية للقرن الرابع نعرف مقدار تأثيرها في تفكير ابن عباد و مقدار تأثره بها، نجد أن النثر و الشعر قد خضعا لسنن الحضارة و الترف و الاختلاط بالامم الاخرى غير العربية و بفلسفاتها و آرائها و آدابها، فكان لهما من مجموع هذه السنن مذهب خاص طبع هذا العصر بطابعه، هو نتيجة تطور القرون بما حملت من عناصر التجديد و التحضر و التدرج المطرد.

كان الصاحب في نثره ملتزماً بالسجع في جميع الرسائل و المكاتبات، وذا تأنقٍ خاص في كتابة الاخوانيات و الفكاهات و صور الحياة العامة و امعانٍ دقيقٍ في المبالغة، و اكثر من التشبيه و الاستعارة، الى ماشاكل ذلك من شؤون و خصائص فنيّة لم يكن يعرفها

١. انظر: اخبار اصفهان ١٣٨/٢؛ البداية و النهاية ٣١٤/١١؛ بغية الوعاة، ص ١٩٦؛ شذرات الذهب

٢/٣ ١١٣ نقلاً عن ديوانه بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص ٢؛ وفيات الاعيان ١/٢٢٨.

٢. ديوان الصاحب، ص ٢؛ معجم الادباء ١٦٨/٦.

٣. معجم الادباء ١٦٨/٦.

٤. الافاويق: ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة و هو يريد ما اجتمع من اللبن.

٥. يتيمة الدهر ٢٢٦/٣؛ وفيات الاعيان ١/٢٢٨.

النثر فيما سبق من عصوره و لاجب في ذلك لانه كان صاحب ابن العميد.
وكان في شعره ملتزماً بالتصنيع و الجناس الشكلي و التلوين البديعي و الزخرفة
اللفظية، و صراحتها في وصف مظاهر الترف و النعيم، الى ماشابه ذلك من نواحٍ لم يتطرق
اليها الشعر في عهده السالفة.

و كان اهتمام صاحب بتضمين قصائده بعض القصص و الحوادث و الروايات و
المناقشات ذا تأثير كبير في شعره بوجه عام، وفيما يرتبط بالنواحي الدينية التي حاول بحثها
و اقامة الادلة على ما اختار منها بوجه خاص، فجاء شعره المتعلق بهذه الشؤون متأرجحاً
يسمو مرة و يهبط مرات.

خلف صاحب تصانيف منها: المحيط باللغة سبع مجلدات؛ و الكافي بالرسائل، و
جمهرة الجماهرة، و كتاب الاعياد، و فضائل النوروز، و كتاب الامامة، و كتاب الوزراء، و
كتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، و كتاب الاسماء الحسنی، و رسائل بديعة، و
ديوان شعر.^١

مدحه لآل البيت (ع)

مدح يضوع عطراً و حباً و اخلاصاً، يطفح بسجاياهم المثالية و يتحول الى تصوير الفضيلة
الدينية فيهم خاصة تصوير فضائل على (ع) تلك الفضائل التي توزعت بين حروبه ضد
المشركين و الكفار و بين احاديث النبي (ص) في حقه و بين آيات الذكر الحكيم. و من
المعاني التي نلّمسها و نحن نقرأ مدحه لهم حقه على اعدائهم و غاصبي حقوقهم.

هناك امران يستغرقان مدحه لهم عليهم السلام، الاول منازع حبههم و الاشادة بهم
في صور رائعة من الفضيلة، و الثاني الحقد المرير على اعدائهم.

قال:^٢

اذا تسراخى مديحي آل يسينا وجدتُ في القلبِ أحزاناً أفانينا
يا طبعُ فِضِّ بديحِ الطاهرين ولا تَغِضُّ و جدّدُ ثناءً لِلْوَصِيِّينا

١. معجم الادباء ١٧٠/٦.

٢. ديوان صاحب، ص ١٠٦-١١١.

الْأَجْمَعِينَ وَوَلَاءِ الطَّالِبِينَ
مَحَبَّةِ السَّادَةِ الْعُرِّ المِيَامِينَا
إِذَا الخَطُوبُ أَسَاءَتْ رَأْيَهَا فِينَا
سَادَ الأَنْفَامَ وَسَاسَ الهَاشِمِيَّينَا
يَرِدُ مَا قُلْتُهُ يُفْعَمُ بَرَاهِينَا
فَدَيْتَ بِالرُّوحِ خَتَامَ النَّبِيِّينَا
وَهَذِهِ الخُصْلَةُ العُرَاءُ تَكْفِينَا
وَقَدْ هُدَيْتَ كَمَا أَصْبَحْتَ تَهْدِينَا
نَفْسُ الوَعْيِ وَأَسَأَلْتُ سَيِّلَهَا حِينَا
عَصَابُ الشُّرِكِ تَغْيِيرًا وَتَعْيِينَا

فَلَسْتُ أَطْلُبُ رُوحَ الخَيْرِ مَجْتَمَعًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمَّا أَنْ هُدَيْتُ إِلَى
حُبِّ النَّبِيِّ وَأَهْلِ البَيْتِ مَعْتَمِدِي
أَيَا ابْنَ عَمِّ رَسولِ اللَّهِ أَفْضَلُ مَنْ
أَنْتَ الإِمَامُ وَمَنْظُورُ الأَنْفَامِ فَن
هَلْ مِثْلُ فَعْلِكَ فِي يَوْمِ الفَرَّاشِ وَقَدْ
هَلْ مِثْلُ سَبْقِكَ فِي الإِسْلَامِ إِنْ عَرَفُوا
هَلْ مِثْلُ عِلْمِكَ إِنْ زَلُّوا وَإِنْ وَهَنُوا
هَلْ مِثْلُ فَعْلِكَ فِي بَدْرِ وَقَدْ حَمَشْتُ
هَلْ مِثْلُ يَوْمِكَ فِي أَحُدٍ وَقَدْ عُرِفْتُ

ويستمر صاحب في بيان مالعلي (ع) من صفات خلقية عالية واعمال مشرفة سامية مبيته مناقبه وفضله مادحا فاطمة الزهراء (ع) والحسن والحسين عليهما السلام ثم يختتمها بقوله:

أَسُوْفُهُ مَا تَلَا تَشْرِيْنُ تَشْرِيْنَا
فَإِنَّ رُوْحِي تَهْوِيْ ذَلِكَ الطَّنِيْنَا
وَمَحْشَرِي مَعَهُمْ آمِيْنِ آمِيْنَا

وَمَا أَمَلُ مَقَالًا فِي مَنَاقِبِهِمْ
يَا رَبِّ سَهِّلْ زِيَارَاتِي مَشَاهِدَهُمْ
يَا رَبِّ صَيِّرْ حَيَاتِي فِي مَحَبَّتِهِمْ

إذا تأخر مدح الشاعر للنبي (ص) وآله (ع) أخذ الحزن سبيله الى قلبه من كل مكان وأستولت الكابة على نفسه من جميع أطرافها، إنه يريد من طبعه ان يفيض حناناً وحباً بمدحهم والثناء عليهم، لأنه لا يطلب الخير كل الخير إلا بصادق الولاء لهم، إنه لا يعتمد على ما قدم ويقدم من صالح الأعمال ولا يطمئن اليها إلا إذا كانت مقرونة بحبهم، إنه يعتمد على حبهم والاخلاص لهم، إنه يذوب حباً وولاءً لأبيهم علي (ع) الذي نذر نفسه للإسلام ولنبيه الكريم (ص)، فبات على فراشه وشهد معه بدرأ وأحداً وغيرهما من معارك الاسلام ضد الشرك والوثنية، إنه لا يمل مدحهم وذكر مناقبهم ويسأل الله تعالى أن يملأ قلبه وضميره من محبتهم ويرزقه زيارة قبورهم في الدنيا ومحشره معهم في الآخرة.

نثره

نثر الصحاب رسائل و كلمات قصار تجرى مجرى الامثال والحكم فن غرر كلمه قوله:
 مَنْ اسْتَحَاحَ الْبَحْرَ الْعَذْبَ، اسْتَخْرَجَ اللَّوْلُوَ الرُّطْبَ. من طالته يده بالمواهب، امتدّت
 اليه السنة المطالب. من كَفَّرَ النَّعْمَةَ، اسْتَوْجَبَ النَّقْمَةَ. من نبت لحمه على الحرام، لم يحصده
 غير الحسام. من غرّته ايام السلامة، حدّثته السن (النّدامة). انجاز الوعد، من دلائل المجد.
 كفران النعم، عنوان النقم. ما كلّ طالب حقّ يعطاه، ولا كلّ شائم مُزِنٍ يسقاه.^١ قد يبلغ
 الكلام، حيث تقصر السّهام. إنَّ السَّنِينَ تُغَيِّرُ السَّنِينَ.^٢

اما رسائله فهي رقاع في الملاطفة والمداعبة والمراسلة، برع فيها وغاص في بطون
 الفاظها واستخرج منها دقايقها وسلك فيها مسلك البديع في المقامات ومنها ما كتبه الى^٣
 ابي على الحسن بن احمد في شأن ابي عبدالله محمد بن حامد، يقول فيها:

كتابي هذا وقد أرخى الليلُ سدوْلَهٗ^٤. و سحُبُ^٥ الظلامِ ذُيُولَهٗ ونحن على الرّحيلِ
 غدأاً إن شاء الله اذا مدَّ الصباحُ غُرْرَهٗ، قبل أن يَسْبَغَ حُجُولَهٗ^٦، و لولا ذاك لأظلمتْهُ كوقوف
 الحجيج^٧ على المشاعر^٨، ولم أقتصر منه على زاد المسافر. فإن المتحمل له وسيع الحقوق
 لديّ، حقيق أن أتعب له خاطري و يدي، وهو ابو عبدالله الحامدي (أعزه الله تعالى) كان
 وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، ابي سعيد الشيببي السعيد، (رفع الله منازلهم)، و قتل قاتله،
 يكتب له فأنتنا بفضلهم، وأنسنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان له فيها من
 القربة، لم يرض غير بابي مشرعاً و غير جنابي مرتعاً، و قطع الى الطريق الشاق مؤكداً حقاً

١. شائم: مترقب و متطلع و ناظر. المزن: السحاب الممطر.

٢. السنن: الاعراف و التقاليد.

٣. يتيمة الدهر ٢٩٢/٣.

٤. أرخى سدوله: ارسل استاره، السدول: جمع السدول: الستار و الغطاء. سدوله: استاره.

٥. سحُب: جمع السحاب: الغيم.

٦. حجول: جمع الحجل: و هو الخدخال: القيد.

٧. الحجيج: جمع الحاجّ.

٨. المشاعر: هنا المشاعر المقدسة و هي عرفات و المشعر الحرام و منى.

لا يشق غباره ولا ينسى على الزمان ذماره،^١ وكنت على جناح النهضة التي لم يستقرّ نواها، ولم تبين حصباها^٢، ولم تلق عصاها، فأمرج الحرّ المبتدأ الأمر، القريب العهد بوطأة الدهر، حامل عليه بالمركب الوعر، فرددته اليك يا سيدي لتسهل عليه حجابك، وتمهدله جنابك، وترصد له عملاً خفيف الثقل، ندى الطلّ، فاذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته اليه، وهو الى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه.^٣ وعندك مربعه ومشتاه، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال، الى أن يأتيه ان شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار ان شاء أقام على ما وليته، وان شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته، وقد وقعت له الى فلان بما يعينه على بعض الانتظار، الى أن تختار له ايدك الله كل الاختيار، فأوعز اليّ بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي افردني بتأميله، ان شاء الله.

٥. ابو هلال العسكري (م ٥٣٩٥هـ)

هو ابو هلال الحسن^٤ بن عبدالله بن سهل العسكري تلميذ ابي احمد العسكري،^٥ فارسي الاصل من اهل اصفهان طوّف في البلاد ثمّ التقى عصا الترحال في البصرة و بغداد و أخذ العلم فيها. لم تذكر المصادر عن ولادته ولا عن وفاته شيئاً إلا أن ياقوت الحموي^٦ ذكر أنه لم يبلغه شيء عن وفاته إلا أنه فرغ من كتابه الاوائل سنة ثلثمائة وخمس وتسعين (٥٣٩٥هـ) و ذكر بروكلمان^٧ أنه فرغ من كتابه الصناعتين سنة ٥٣٩٤هـ. و على هذا فهو من ادباء القرن الرابع الهجري.

١. الذمار: ما يحمى و يدافع عنه كالشرف و الحرم و الملك.

٢. حصباها: هنا قواعدها.

٣. قراه: من قرى يقرى قرى، القرى: طعام الضيف من المأكل والمشرب.

٤. ترجمته في بغية الوعاة ١/٥٠٦؛ معجم الادباء ٨/٢٥٩؛ الاعلام ٢/١٩٦.

٥. هو الحسن بن عبدالله بن سعيد بن اسماعيل العسكري، خال ابي هلال: فقيه اديب رئيس في الإملاء والتدريس في بلاد خوزستان. وُلد ونشأ في عسكر مكرم وهي بلدة من بلدان الأهواز أخذ علمه عن ابن دريد و أقرانه. مات سنة ٥٣٨٢هـ (الاعلام ٢/١٩٦).

٦. معجم الادباء ٨/٢٥٩.

٧. تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان ٢/٢٥٢.

كان ابو هلال العسكري لغوياً نائراً شاعراً، إلا أنه اشتهر في النثر والنقد، ومن آرائه النقدية أن الالفاظ يجب أن تكون وافية بالمعاني كما أن المعاني يجب أن تكون على قدر الالفاظ وأن جودة الشعر راجعة إلى جودة التشبيه والاستعارة والتورية والمطابقة، ثم إلى تحسين اللفظ وتجميل الصورة.

آثاره^١

لابي هلال العسكري آثار ادبية كثيرة منها: ديوان شعر، جمهرة الأمثال، المحاسن في تفسير القرآن (خمسة مجلدات)، ديوان المعاني، الصناعتين (في الكتابة والشعر)، شرح ديوان أبي محجن، كتاب الأوائل، كتاب التلخيص (في اللغة)، اعلام المعاني في معاني الشعر وغيرها لاجمال لذكرها هنا.

مكانته في الادب

ابو هلال العسكري بشهادة من ترجم له كان ادبياً بارعاً متقناً، فقيهاً شاعراً متفوقاً و فوق كل ذلك كان ناقداً ثاقب النظر، لاذعاً في انتقاداته، لا ينثني عن عزمه فيما يراه الحق.^٢

إن أفكاره الادبية والنقدية ماثورة - خصوصاً في كتابتيه: الصناعتين و ديوان المعاني، يجرّض على طلب العلم وتعلم الكتابة، ويشترط لها شروطاً وهي إعداد ما يلزم لها من «معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعنى»، والحساب و علم المساحة و المعرفة بالازمنة و الشهور و الأهلة^٣. فهو يعيرها اهمية ممتازة و يطيل الحديث عنها لأنها ترتبط بالسلطان و عليها مداره، وهي مرتبطة بالخطابة و الخطابة بدورها ترتبط بالدين.

و للشعر عند ابي هلال اهمية خاصة، لأنه يراه خزانة كلمة العرب و مستودع علومهم. فهو كتاب انسابهم و أيامهم و وقائعهم و تواريخهم اضافة إلى أنه من المصادر التي تضبط من خلالها اللغة.

١. ديوان المعاني ٥/١.

٢. انظر: الصناعتين، المقدمة.

٣. المصدر نفسه، ص ١٥١ و ما بعدها.

عناصر الادب العربي عند ابي هلال العسكري تدور حول تقطين مهمتين: اللفظ و المعنى فمن «حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف»^١ و اذا كان المعنى شريفاً ينبغي أن تكون الالفاظ عذبة فحمة سهلة واضحة قريبة من النفس لاتنفر منها الأذواق الصحيحة و لا تمجها الاسماع السليمة. و مع اهتمامه باللفظ والمعنى فإنه لم ينس أن يرغب الكتاب والشعراء في التفاتهم إلى البلاغة و الفصاحة، و أوصاهم أن يسلكوها دون خروجهم عن قوانين اللغة في التركيب.

شعره

كان ابو هلال شاعراً مُفلقاً ذا إحساسٍ مُرهِفٍ، قويّ العاطفة و الشعور، و لذلك شعره قويّ الرصف، حسن الديباجة، عليه طلاوة تجعله محبباً إلى النفس لاتجده الأذن. رأى اديبنا عيوب مجتمعه فنظر اليها نظر الناقد و لذلك ارتبط شعره بعوامل اجتماعية أو طبيعية واقعية، فتراه يصف حاله و هو يجلس في السوق على ما هو عليه من المكانة العلمية و الادبية و يربط ذلك بالمجتمع و يتهمه بالتقصير و يلقي بمسؤولية فقره عليه:^٢

جُلُوسِي فِي سَوْقٍ أُبِيعُ وَأَشْتَرِي دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنَّ الْأَنَامَ قُرُودُ
وَلَاخَيْرَ فِي قَوْمٍ تَذَلُّ كِرَامُهُمْ وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُودُ
وَتَهْجُوهُمْ عَنِّي رَثَائَةُ مَلْبَسِي هَجَاءٌ قَبِيحاً مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ

إنه يربأ بنفسه أن يكون واحداً من بين افراد المجتمع الذين شَبَّهَهُمُ بالقروود. إنه ينظر اليهم نظرة احتقار و ازدراء و سُخرية و استهزاء. إنَّ نفسه مملوءةٌ بحزن مُظلم كثيف، لامنفذ للنور و السرور فيه، قد استولى عليه يأسٌ مُهْلِكٌ يُمَّا يجد في مجتمعه من تجارب مُرَّةٍ و اختلافٍ طبقيٍّ فاحشٍ، مجتمعه مجتمع ضاعت فيه القِيَمُ و فقدت فيه المعنويات حتى صار العالم يَشْتَقِي بعلمه و الجاهل يفرح بجهله، فاضطرَّ الشاعر - مع كونه عالماً واسع العلم اديباً ذاقون - إلى الجلوس في السوق للبيع و الشراء كبقية السوق لافرق

١. المصدر نفسه، ص ١٥١ و ما بعدها.

٢. ديوان المعاني ٧/١.

بینہ و بینہم، و هذا دلیلٌ علی أن الناس لا یعیزون بین الأمور فہم قروءٌ أو کالقروء فی اشکال بشرٍ، فلاخیر فیہم لأنہم یعظّمون التّذلّ السافل و یحقّرون العالم الفاضل. إنّه لا یحتاج إلى أن یہجوہم بلاذع القول و ماضی اللسان، لأنّ حالته الظاہرة الّتی ہو فیہا، تہجوہم ہجاءً قبیحاً لا مزید علیہ.

و للأسباب الّتی ذکرہا فی الایات السابغة نراہ یشکو مرّة أخرى من ظلم المجتمع:^١
 لَا یَعْرُفُ نَکْمَ عُلُوِّ لَئِیمٍ فَعُلُوُّ لَا یُسْتَحَقُّ سَفَالُ
 فَارْتِفَاعُ العَرِیقِ فِیہِ نُضُوحٌ وَ ارْتِفَاعُ المَصْلُوبِ فِیہِ نِکَالُ

یظہر من ہذین البیتین و مما سبقہا أن ادیبنا کان ذا نفسٍ کریمة حرّة، حادّة الحسّ، قویة الشعور، مرہفة العاطفة، رأی حیاة المجتمع الفاسدة و نظر الیہا نظر ناقدٍ، غیر راضٍ منہا، رأی المجتمع یقدّم الاذئاب السّفلة و یؤخّر العلیة و الرّوس، إنّ اخلاق مجتمعه الفاسدة قد نفّست علیہ امورہ و افسدتہا افساداً، فنعتہ من اجتناء ثمرات ما تحمل من تعب و مشقة و نصب، إنّ اللّوماء اذا كانت لہم الصدارة فی المجتمع فلیس معنی ذلك أن لہم کرامة ذاتیة، إنّه علوٌ ظاہری، إنّه فی الحقیقة سفالٌ حقیقی، إنّه طُفُوٌّ کطفو الغریق فیہ دناءةٌ و قُبْحٌ و علوٌ کعلوٌ المصلوب، فیہ نکالٌ و عقوبةٌ.

إنّ علو اللئیم لیس علامة من علامات السّموّ و لا مظهرًا من مظاهر الارتفاع عن الدنیات و لیس دلیلاً من أدلة جودة الأصل و خصب النفس و نزاهة الضمیر و الاستعداد للخیر و حسن البلاء فی الأمور الهامة.

إنّ هؤلاء ذوو نفوسٍ مجدبة لا معنی للخصب فیہا فہم کخضراء الدمن علی حدّ قول النبی (ص).

و من شعرہ ما أنشدہ القاضي ابو احمد الموحّد بشوشتر^٢ (فی محافظة خوزستان)

قوله:

إِذَا كَانَ مَالِي مَالًا مِّنْ يَلْقَطُ العَجَمَ وَ حَالِي فِیکُمْ حَالٌ مِّنْ حَاكٍ أَوْ حَجَمٍ^٣

٢. المصدر نفسه.

١. المصدر نفسه، ص ٨.

٣. العجم: نوى التمر و الزبيب و نحوهما.

فَأَيْسَرَ أَنْتِفَاعِي بِالْأَصَالَةِ وَالْحِجَا وَمَا رِيَحَتْ كَفِّي عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي فِي النَّاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي فَلَا يَلْعَنُ الْقِرْطَاسَ وَالْحَبْرَ وَالْقَلَمَ
إذا كان مالي بعد كدِّ وكدحٍ و تعبٍ و نصبٍ مثل مال لاقطِ النَّوَى (نوى التمر و
الزبيب و نحوهما) و إذا كان حالي بعد جهدٍ مستمرٍّ و سعيٍ متواصلٍ مثل حال الحائك و
الحجَّام (و هذا كناية عن أنَّ حالته المادية بعد كدِّ متواصل و جهد متواصل كحالة من يجمع
النَّوَى، أو كحالة الحائك و الحجَّام، أي إنَّه فقير لا يملك شيئاً).
إذا كانت حالته على هذه الصورة اذن ما هو انتفاعه بعلمه و عقله و ادبه و ما هو
ربحه من العلم و الحكمة؟

و هؤلاء الذين يبصرون فقره و خلويديه من الناحية المادية عالمين بمنزلته العلمية
و الادبية، فسوف يلعنون القرطاس و القلم و يتبرؤون من الكتاب و الدرس و المطالعة.

نموذج من نشره^٢

وقد علمنا أنَّ الانسان إذا أغفل عِلْمَ البلاغة و أخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه
باعجاز القرآن من جهة ما خصَّه اللهُ به من حُسْنِ التَّأْلِيفِ و براعة التَّرْكِيبِ... و ضَمَّنَه من
الحلاوة و جلَّله من رونق الطَّلَاوةِ مع سهولةِ كلمةٍ و جزالتها و عذوبتها و سلاستها، إلى
غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلقُ عنها و تحيَّرت عقولهم فيها... فينبغي من هذه الجهة
أن يُقدِّم اقتباسُ هذا العلمِ على سائر العلوم بعد توحيدِ اللهِ تعالى و معرفةِ عدله و التصديقِ
بوعده و وعيده على ما ذكرنا، اذ كانت المعرفةُ بصحةِ النَّبُوَّةِ تتلو المعرفةَ باللهِ جلَّ اسمه...
فلما رأيتُ تحليطَ هؤلاء الأعلامِ (الذين آتوا في البلاغة و البيان) فيما راموه من اختيار
الكلام، و وقفتُ على موقع هذا العلمِ من الفضلِ و مكانه من الشرفِ و النُّبْلِ و وجدتُ
الحاجةَ اليه ماسَّةً و الكُتُبَ المُصنَّفةَ فيه قليلةً... رأيتُ أن أعملَ كتابي هذا مشتملاً على جميع
ما يُحتاج اليه في صنعة الكلامِ نثره و نظمه و يُستعملُ في محلوله و عقده، من غير تقصيرٍ و

١. الحجا: العقل.

٢. من كتاب الصناعتين، مقدمته.

اخلال و اسهاب و إهذار... و ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين (في الجدال؟)، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء و الكتّاب، فلهذا لم أُطِلّ الكلام في هذا الفصل.

و نحن نفهم رطانة السوق و جمجمة الأعجمي للعادة التي جرت لنا في سماعها (في المدن التي نحافظ فيها السوق و الأعاجم)، لا لأن تلك بلاغة. الأثرى أن الأعرابي (المكانه في البادية بعيدا عن اهل المدن) اذا سمع ذلك لم يفهمه، اذ لاعادة له بسماعه. و ابلغ من هذه المنزلة (التصرف في فنون القول المختلفة) أن يكون في قوّة صانع الكلام أن يأتي مرّة بالجزل و مرّة بالسّهل فيلین اذا شاء و يشتدّ اذا اراد. و من هذا الوجه فضّلوا جريراً على الفرزدق و أبان نواس على مُسلم بن الوليد.

٦. بديع الزمان الهمداني (م ٥٣٩٨هـ)^١

كان القرن الرابع ضعيفاً من الناحية السياسية و كان القرن الخامس اضعف منه ولكنها كانا قويين من الناحية الادبية فقد كان ادباء هذين القرنين اوفر عطاء و اكثر نتاجاً، فقد نسجوا على منوال سابقهم و تفننوا في نتاجهم حتى وصلوا به الى درجة فنية راقية. فالثعالبي في يتيمته يعدد لنا شعراء و كتاباً كثيرين من ابناء القرن الرابع الذين عاشوا في اقاليم مختلفة من بلاد ايران، و قد اّسم اديهم بسمات محيطهم الثقافية والاجتماعية والسياسية؛ و من ابرزها تأثره بالمعاني الفارسية، و التزامه باصطناع المحسنات اللفظية و البديعية، و خاصة النثر، كما سزاه عند اديبنا الذي نريد نجمل القول في نتاجه الادبي. و لكن يجدر بنا قبل ذلك ان نعرف شيئاً موجزاً عن حياته و البيئات التي احتضنته و كونت نتاجه الادبي و اثرت فيه.

احتضنت مدينة همدان قبيل منتصف القرن الرابع اي في سنة ٥٣٤٨هـ طفلاً كان له اثر كبير في الحياة الادبية العربية فيما بعد فقد لمع اسمه في ميدان الادب و خاصة النثر و هو بديع الزمان الهمداني، و كانت هذه المدينة لها قسط وافر من الازدهار العلمي و الادبي ما جعلها

١. أنظر: يتيمة الدهر ٤/٢٩٣ و ما بعدها.

تقدم الى عالم الادب العربي كثيراً من ادباء هذا القرن. امضى بديع الزمان فترة طفولته وريعان شبابه في مسقط رأسه في همدان، ثم استهوته مدينة اصفهان لانها كانت تعجّ بأساطين الكتاب والشعراء مقيمين فيها ووافدين عليها، فقصدها سنة ٣٨٠هـ حيث اتصل بالصاحب بن عباد.

والظاهر ان اقامة البديع لم تطل في اصفهان، فقد غادرها قاصداً جرجان عاصمة الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير. ثم لانبث ان نرى بديع الزمان يترك جرجان ميمماً وجهه شرقاً نحو نيشابور منتدئ العلماء والادباء، ومركز حكومة اسرة بني ميكال المعروفة بالعلم والفضل. وكان يقيم فيها في ذلك الوقت امام اللغة والادب ابوبكر الخوارزمي، الذائع الصيت بين العجم والعرب. وكان البديع طامعاً في فضله راغباً في ادبه. املى البديع على تلاميذه في هذه المدينة اربعائة مقامة اغلبها في الكدية تعتبر من احسن اثاره، و بعد ان اقام ادبنا في نيشابور مدة، وان لم تكن طويلة - نجده يغادرها ايضاً الى سجستان في اقصى المشرق حيث الامير الاديب خلف بن احمد، فيلقى منه البديع كل ترحاب وتكريم ويهدي اليه مقاماته^١.

ربما يكون البديع قد اقام في سجستان مدة غير قصيرة لكنه غضب من الامير فغادر ربوعها قاصداً غزنة عاصمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي، ليعيش عيشة رحية رضية في كنفه. وكان هذا يهوى العلماء والادباء ويشجعهم على الاقامة عنده وقد مدحه بتصيدة مطلعها:

تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني
أفريدون في التاج ام الاسكندرُ الثاني

على ان البديع لم يبق في غزنة ايضاً فحبه للانتقال والارتحال من مكان الى مكان دفعة مرة اخرى الى ان يهجر غزنة ويغادرها الى هرات التي استهوته بطبيعتها وجمالها وكثرة خيراتها، فالتقى عصا الترحال فيها وتزوج هناك. وهكذا نجد ادبنا بعد ان طوّف في بلدان كثيرة انتخب مدينة هرات لتكون دار اقامة له في حياته ومثوى له بعد مماته،

١. بديع الزمان الهمذاني، ص ١٧٤ نقلاً عن دائرة المعارف الاسلاميه ٤/٤٧٢ الطبعة العربية.

فقد اتفق المؤرخون علی انه تُوفي بهرات سنة ٣٩٨هـ.^١
 هكذا امضى حياته هذا الادیب الشاب و هكذا ودّعها بعد ان خلد ذكره بآثاره
 الرائعة من شعر ونثر بين مقامة طريفة اورسالة بليغة.

رسائل بديع الزمان

صورت لنا رسائل البديع شخصيته و عواطفه و وجدانه احسن تصوير و اكمله بحيث
 يستطيع الباحث ان يتخذ منها لوحة فنية واضحة لشخصيته و عواطفه و شعوره و حالاته
 النفسية.

تناول البديع في رسائله غرضين مهمين خاصاً و عاماً فطرق في الاول موضوعات
 المدح و الهجاء و الاعتذار و العزاء و الشكوى و التهنئة و النصح و الارشاد و غيرها
 و بين في الثاني ما يتعلق بالحكام و الحياة العامة و خاصة عيوب المجتمع التي كانت
 منتشرة في زمانه.^٢

فمن رسائله الممتعة في النصح ما كتبه الى الشيخ الوزير ابي العباس الفضل
 الاسفرائيني يصور فيها معايشة الملوك و مجاملتهم تصويراً جميلاً جاء اثر تجربة
 و خبرة يشهد عليها تاريخ البشر الطويل، و قد شبههم في هذه الرسائل تشبيهين جميلين
 شبههم بالشمس مرة و البحر مرة، فالانسان ينتفع بنور الشمس و دفئها من بعيد، اما اذا
 تعرض لها طويلاً فربما اصيب بضربتها التي قد تسبب هلاكه. و الانسان يركب البحر و البحر
 هادى و اذع، و فجأة يمور و يثور و يزد و يردد و يؤدي بحياة الراكبين الى الهلاك جاء في
 رسالته قوله:^٣

«نَهتَ الحكماء - أيدَ اللهَ الشيخ - عن عشرة الملوك، و قالوا ان الملوك إن خدمتهم
 ملكوك، و إن لم تخدمهم أذّوك، فانهم يستعظمون في الثواب، ردّ الجواب، و يستقلّون

١. الكامل ١٠٢/٩.

٢. انظر: بديع الزمان الهمداني، ص ١٧٩.

٣. المصدر نفسه، ص ٢٤١ نقلاً عن الرسائل، ص ١١٧.

في العقاب، ضرب الرقاب، وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمة، فيبنون لها مناراً، ثم يوقدون لها ناراً، ويعتقدونها ناراً، وانهم ليراوحون بجهة الخدمة ويغادون بلطيف التحية، ولا يقيمون لهم وزناً، وقالوا كن مع الملوك مكانك من الشمس، أنها لتؤذيك والسما لها مدار، والأرض لها دار، فكيف لو أسفت قليلاً ودنت يسيراً، وإن العاقل ليتخذ منها مزيد بعد فيتخذ سرباً، لوأذاً منها وهرباً، وبيتغي نفقاً، فراراً منها وفرقاً، وكما ضربوا الشمس للملوك مثلاً، كذلك جعلوا البحر عنهم بدلاً، فقالوا جاور ملكاً أو بحراً، وأحر براكب البحر الا يسلم».

اما رسائله في الشؤون العامة فتعتبر صحفاً شعبية و وثائق تاريخية سجلت الاحداث العامة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية و دوتها، شاهد بديع الزمان آلام الناس في عصره و فقرهم وظلم الولاة لهم وتعسفهم في جباية الضرائب منهم فحاول ان يبين هذه الامور ويطلب رفعها عن كاهل الناس موجهاً تارة، وناقداً ثانية، وناصحاً اخرى في لين مرة، و عنف مرة اخرى. فرساله كانت بمثابة الصحف اليومية او الاسبوعية في عصرنا الحاضر.

قتل احد الحكام في زمانه واسمه ابو عثمان فكتب يستنكر هذه الجريمة المنكرة ويطالب باجراء القصاص قائلاً: ^١ «قتل و الله كما تقتل الكلاب، وشق بطنه كما تشق الجراب، وهريق دمه كما يهراق الشراب، وقطف رأسه كما تقطف الاعناب، وقعد القصاب آمناً لا يصاب.....».

ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل، ليرخص دم المسلم ويراق دم العالم، وليصيرن كل سكين منشور ولاية، ثم ليتسعن الخرق على الراقع، وليس دم المسلمين ييسير عند ربه، ولزوال الدنيا على الله اهون من سببه، اليس الله تعالى يقول: ^٢ «من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً». وكتب يشكو من الضرائب ويصور ارتفاع الاسعار وغلاء المعيشة وتفشي الفقر والفاقة واستيلاء المجاعة

١. بديع الزمان الهمذاني، ص ٢٥٠ نقلاً عن الرسائل، ص ١٢٩.

٢. المائدة، ٣٢.

يقول: «وقد علم الشيخ به اهل هراة من محن الخانية، ثم ما ارهتهم من الحقوق الديوانية، ثم ما يزيد عليهم من علاوة المصادر الحادثة، ثم ما كشف الاستار واطهر العوار، وقبح النوار، من غلاء الاسعار، حقاً لقد أكلت الجيفة وهي خائسة، وطحنت عظام الميتة وهي يابسة، وعدم القوت وثمرته موجود،.... ولقد دخلت الجامع يوم امس فرأيت تحت كل أسطوانة رجلاً عليلًا، وكلمت احدهم فلم يفقه الا قليلا، فيا عباد الله تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، انكم تشرون ثم اليه تحشرون، ومن الواجب على السلطان اعزاله نصره في مثل هذا العام، ان يتعهد الناس بالطعام، ويتخول الرعية بالانعام».

انه في هذه الرسالة «يوضح لنا كيف كان الحكم لايراعون الرحمة في فرض الضرائب تلو الضرائب، في زمن انتشرت فيه المجاعة وارتفعت الاسعار حتى اكل الناس الجيف.... ثم هو بعد ذلك يناشد السلطان ان يتعهد الناس بالطعام لان هذه هي وظيفته وذلك هو واجبه»^١.

هذه الرسائل - وهي بهذه الصورة التي نجدها عليها - تعتبر مرآة للعصر الذي عاش فيه البديع كما تعتبر في نفس الوقت اللبنة الاولى للمقالة الصحفية في عصرنا، واذا اختلفت عنها فالسبب هو طول المسافة الزمنية الذي ادى الى تطور فن المقالة، وعلى هذا يمكن القول انه كان الرائد الاول لهذا الفن.^٢

مقامات البديع

المقامة كما جاء في اللسان بمعنى المجلس والجماعة من الناس، والبديع ايضاً يستعملها بهذا المعنى في المقامة الوعظية، والمقامات الى جانب غرضها الانشائي الرائع واطرافها المضحك «تتخذ موضوعات بعينها من مدح واكتداء ووعظ في صيغة قصة هي في كثير من الاحيان مسبوكة النسيج والهيكل، مربوطة العقد مبسوبة العرض الامر الذي اعترف به الدكتور زكى مبارك.... فذكر أنها نماذج من القصة القصيرة فيها العقدة وتحليل الشخصيات»^٣

١. بديع الزمان الهمذاني، ص ٢٥٢.

٢. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

«وقد تكون قصص جُحا في الآداب الفارسية والتركية والعربية من ملهات بديع الزمان لفن المقامات... اذ ليس من المستغرب أن تكون شخصية جُحا المرحمة المضحكة قد اوجت الى بديع الزمان خلق شخصية ابي الفتح بطل المقامات المغامر المضحك المثير. ومن الجدير بالملاحظة أن شخصية ابي الفتح التي يبدو فيها مظهره غير مخبره، قد تكون انعكاسات للحياة الصوفية التي ذاعت في القرن الرابع، اذ المعروف أن الصوفية لا يهتمون بالمظهر وإنما عنايتهم كلها بالنفس وداخلياتها. فقد يكون الصوفي غنياً موسراً ويبدو أمام الناس فقيراً مُعسراً، وذلك نوع من الحياة اقبل عليه الناس في ذلك العصر هرباً من ظلم السلطان وجور الحكّام، وتلك الحال نلاحظها في شخصية ابي الفتح»^١. فهو بطل في الكدية، مع كونه اعجوبة في الفصاحة والشعر والفكاهة.

اغراض المقامات

ومن العوامل المهمة التي دعت البديع الى انشاء مقاماته هي انتشار الكدية في القرن الرابع. واذا كانت الكدية قد غلبت عليها الا أنها حوت، كما مرّنا، أغراضاً مهمة أخرى:
أولاً: المدح، كما ترى ذلك في المقامة النيشابورية والخلفيّة والناجية التي يمدح فيها خلفاً ابن احمد.

ثانياً: الوصف: نجد ذلك في المقامة الحمدانية التي يصف فيها الفرس بشكل يدلّ على براعته وقدرته وتمكّنه من اللّغة وفي المقامة الخمرية التي يصف فيها الخمر.

ثالثاً: النقد الادبي: يتعرض البديع في بعض مقاماته لنقد الكتاب والشعراء وتحليل أدهم نثراً وشعراً على لسان ابي الفتح الاسكندري: كما نجد ذلك واضحاً في المقامة الجاحظية التي ينقد فيها الجاحظ، والمقامة القريضية التي ينقد فيها الشعراء الأقدمين مُبدياً رأيه في امرىء القيس، والنابغة الذبياني، وزهير، وجري، والفرزدق.

رابعاً: الألفاظ والأحاجي: كان البديع مفتوناً بهذا الفنّ الذي يظهر واضحاً في مقاماته «واغلب الظن أنه مخترع هذا الفن من فنون القول في الكتابة والشعر»^٢.

خامساً: الوعظ والحجاج من الأغراض الثقافية والتعليمية والدينية التي نشاهدها في مقامات البديع هو الوعظ والكلام والحجاج، في المذاهب الدينية، كما نرى ذلك في المقامة المارستانية التي يُسَفِّهُ فيها عقايد المعتزلة ويردّ عليهم بشدّة مفنّداً آرائهم ومذهبهم واحداً واحداً.

سادساً: النزعة الثقافية وتسجيل الحياة الاجتماعية:

لاشكّ أن البديع كان يرمى من وراء الاغراض السابقة الى اشاعة جوّ ثقافي بواسطة اسلوبه العذب والفاظه الحلوة وألغازه التي تُنشِطُ العقل وتشحذُ الفكر، كما أنه كان يرمى الى تسجيل الحياة الاجتماعية في القرن الرابع فهي تصوّر لنا أخلاق الناس واحوال العصر في ذلك الوقت اروع تصوير وأحسنه.

اسلوب المقامات

أمّا اسلوب المقامات فنحن لانجد فرقا كثيراً بين اسلوب البديع فيها واسلوبه في رسائله. فكثير من الجمل مشتركة بينها، والاقتناس فيهما من القرآن والحديث والشعر والمثل كثير ايضا. كما أن نوع البيان فيهما يكاد يكون واحداً حيث تكثر فيهما الاستعارة والجناس والتلاعب بالالفاظ. نعم اذا اردنا أن نسّم اسلوب المقامات ببعض السمات لتمييزه من الرسائل، فأننا نجد فيها الاكثار من الشعر في غرض الكدية خاصة، كما أن أثر الثقافة الفارسية وهو تكرار المعنى بِجُمْلٍ وعبارات مختلفة يبدو فيها واضحاً.

المقامة الاصفهانية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِاصْفَهَانَ أَعْتَزَمُ الْمَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ فَحَلَلْتَهَا حُلُولَ الْيَوْمِ^١.
أَتَوَقَّعُ الْقَافِلَةَ^٢ كُلَّ لَحْظَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ. فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ^٣. نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

١. ألني هو النيء اي الظل.

٢. القافلة: الجماعة من الناس في السفر.

٣. حُمَّ الامر: قُضِيَ.

نِدَاءً سَمِعْتُهُ. وَتَعَيَّنَ فَرَضُ الْإِجَابَةِ^١ فَانْسَلَّتْ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ. أَعْتَمَّ الْجَمَاعَةَ أَدْرِكُهَا. وَأَخْشَى قَوْتَ الْقَافِلَةِ أَثْرُكُهَا. لِكِنِّي اسْتَعْنْتُ بِبَرَكَاتِ الصَّلَاةِ. عَلَى وَعَثَاءِ الْفَلَاةِ^٢ فَصِرْتُ إِلَى أَوَّلِ الصُّنُوفِ. وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ^٣ وَتَقَدَّمْتُ لِامَامٍ إِلَى الْحِزَابِ. فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بِقِرَاءَةِ حَمْرَةٍ. مَدَّةً وَهَمْزَةً^٤. وَبِي الْغَمُّ^٥ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ فِي قَوْتِ الْقَافِلَةِ. وَالْبُعْدُ عَنِ الرَّاحِلَةِ وَأَتْبَعَ الْفَاتِحَةَ الْوَاقِعَةَ وَأَنَا أَنْصَلِّي نَارَ الصَّبْرِ وَأَنْصَلِّبُ^٦. وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْعَيْظِ وَأَتَقَلِّبُ. وَلَيْسَ إِلَّا السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ. أَوْ الْكَلَامُ وَالْقَبْرُ^٧ لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خُشُونَةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ. أَنْ لَوْ قُطِعَتْ الصَّلَاةُ دُونَ السَّلَامِ^٨. فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ. عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ. إِلَى أَنْتِهَاءِ السُّورَةِ. وَقَدْ قَنِطُتُ^٩ مِنَ الْقَافِلَةِ. وَأَيْسْتُ مِنَ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ. ثُمَّ حَنَى قَوْسَهُ لِلرَّكُوعِ^{١٠}. بِنُوعٍ مِنَ الْخُضُوعِ. لَمْ أَعْهَدُهُ مِنْ قَبْلُ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ. وَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. وَقَامَ حَتَّى مَا شَكَّكَتُ أَنَّهُ قَدْ نَامَ. فَضْرَبَ بِيَمِينِهِ^{١١}. وَأَكْبَبَ لِحَيْبِهِ. ثُمَّ أَنْكَبَ لَوَجْهِهِ وَرَفَعَتْ رَأْسِي أَنْتَهَزُ فُرْصَةً. فَلَمْ أَرِ بَيْنَ الصُّنُوفِ فُرْجَةً. فَعُدْتُ إِلَى السُّجُودِ. حَتَّى كَبَّرَ لِلْقُعُودِ وَقَامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. فَقَرَأَ الْفَاتِحَةَ وَالْقَارِعَةَ قِرَاءَةً اسْتَوَفَى بِهَا عَمْرَ السَّاعَةِ. وَأَسْتَنْزَفَ أَرْوَاحَ الْجَمَاعَةِ^{١٢}.

١. تحتمت عليه فريضة اجابة المنادي للصلاة.
٢. وعثاء الفلاة: ما يلحق المسافر من التعب والمشقة في قطعها.
٣. مثل يمثل: انتصب قائماً.
٤. فاتحة الكتاب هي سورة الحمد لله رب العالمين من القرآن وليس فيها من الهمز والمد ما يظهر فيه رواية حمزة ولكنه قصد ان الامام رتلها وأدى كل حرف حقه وبلغ بكل مد طبيعي حده حتى كأنه يتلو برواية حمزة من الآيات ما فيه مد وهمزة.
٥. الغم: اذا اشتد بالمغموم اقلقه فتارة يقيمه وتارة يقعه لا يستقر به على حال.
٦. تصلى النار قاسى حرها وتصلب تشدد وتجلد.
٧. اذا تكلم قتل وحمل الى القبر.
٨. اي قبل ان يسلم الامام فاسلم معه.
٩. القنوط: اليأس.
١٠. اذا انحنى الراكع كان بدنه على هيئة قوس.
١١. ضرب بيمينه: اهوى بها الى الارض ليسجد.
١٢. واستنزف ارواح الجماعة: استخرجها كلها مبالغة في اثقاله عليهم بتطويله كأنه قتلهم.

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ رُكْعَتَيْهِ. وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْمُودِ بِلِحْيَتِهِ. وَمَالَ إِلَى التَّحِيَّةِ بِأُخْدَعِيهِ^١.
 وَقُلْتُ قَدْ سَهَّلَ اللَّهُ الْمَخْرَجَ. وَقَرَّبَ الْفَرَجَ. قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحَابَةَ
 وَالْجَمَاعَةَ. فَلْيُعْرِنِي سَمْعُهُ سَاعَةً^٢. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أَرْضِي. صَيَانَةً لِعَرْضِي.
 فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ غَيْرَ الْحَقِّ^٣. وَلَا أَشْهَدَ إِلَّا بِالصِّدْقِ. قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَشَارَةٍ
 مِنْ نَبِيِّكُمْ لَكِنِّي لَا أُوَدِّيْهَا حَتَّى يُطَهَّرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوَّةَ تَهْ.
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَبَطَنِي بِالْقَيْوُدِ. وَشَدَّنِي بِالْحَبَالِ السُّودِ^٤. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ. كَالشَّمْسِ تَحْتِ الْغَمَامِ. وَالْبَدْرِ لَيْلِ التَّمَامِ. يَسِيرُ وَالنَّجُومُ تَتَّبِعُهُ
 وَيَسْحَبُ الذُّيْلَ وَالْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهُ^٥. ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصَانِي أَنْ أَعْلِمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ. فَكَتَبْتُهُ
 عَلَى هَذِهِ الْاَوْرَاقِ بِخَلْقٍ وَمِسْكِ. وَرَعْفَرَانٍ وَسُكِّ^٥. فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ وَمَنْ رَدَّ
 عَلَيَّ ثَمَنَ الْقِرطَاسِ أَخَذْتُهُ^٦. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدْ انْتَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ حَتَّى
 حَيْرَتْهُ^٦ وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّباً مِنْ حَذْقِهِ بِرَزْقِهِ^٧ وَتَمَحُّلِ رَزْقِهِ. وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ
 عَنْ حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ. وَمِثْكَالَتِهِ فَسَكَتُ. وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتُهُ فِي وَقَاحَتِهِ. وَمَلَاحَتِهِ
 فِي اسْتِمَاحَتِهِ^٨. وَرَبَطَهُ النَّاسَ بِحَيْلَتِهِ. وَأَخَذَهُ الْمَالَ بِوَسِيلَتِهِ. وَنَظَرْتُ فَاذًا هُوَ أَبُو
 الْفَتْحِ الْاِسْكَندَرِيِّ. فَقُلْتُ كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحَيْلَةِ. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

١. والاختدعان عرقان في العنق والمسلم يلتفت بالسلام الى اليمين ثم الى اليسار و في كل ميل باخذه.
٢. إغارة السمع كناية عن الاصغاء.
٣. الحقيق عليه الثابت على ذمته: اي واجب على ذمته ان لا يقول غير الحق.
٤. الحبال السود: حبال الحديد لميل لونه الى السواد وهي السلاسل.
٥. الخلق ضرب من الطيب يدخل في اجزائه الزعفران. والسك بالضم: مادة سوداء يخلطونها بالمسك احياناً.
٦. إنتالت أنصبت عليه الدراهم.
٧. الزرق بتقديم الزاي مصدر زرق الصائد صيده رماه بالمزراق وطعنه به. اي من حذقه في رمي القلوب واصابتها. والتحمل طلب الشيء بالحيلة.
٨. الاستماحة: الاستعطاء.

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوَّزُ وَأَبْرُزُ عَلَيْهِمَ وَبَرِّزُ^١
حَتَّى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ فَفَوَّزُ^٢

شاعرية البديع: اشتهر البديع في الادب العربي بأنه كاتب رسائل ومقامات من الطراز الاول لكنه كان شاعراً ايضاً، يزين كتاباته وخاصة المقامات بشعر كثير اضافة الى شعره المستقل الذي انشأه في الأغراض الشعرية المعروفة مقلداً فيه الكتّاب الذين ارادوا أن يواكبوا قافلة الشعراء ايضاً وألاً يتخلفوا عنها. فقد قال في المدح والرثاء والزهد وشعره فيها قليل، وهو من النوع المتوسط لكنه برع بفنّ الفكاهة والسخرية رغم اقلاله فيه، لقدرته العجيبة على الاضحاك، كما أنه اشتهر في فنّ المعميات التي جُبلت عليها طبيعته.

فن شعره الفكاهي الذي يسخر فيه من بخيل سخرية لطيفة لأنه لا يستفيد من ماله ولا يمتنع نفسه به بل يدّخر، لزوج امرأته بعد وفاته:

قوله: ^٣

عَجِباً مِنْ رَجُلٍ ذِي سَعَةٍ تَأْخُذُ الْيَوْمَ مِنْ مَنَسَاتِهِ
يَحْرُسُ الْمَالَ وَلَا يَأْكُلُهُ نَظَرَ الْبَازِي عَالِي مَرْبَاتِهِ
إِنَّمَا يَجْمَعُ مَا يَجْمَعُهُ رَاغِمَ الْأَنْفِ لَبْعِلِ أَمْرَاتِهِ

ومن قوله في المعميات ما كتبه الى الصاحب بن عباد: ^٤

أَخْوَانٍ مِنْ أُمَّ وَأَبٍ لَا يَفْتَرَانِ عَنِ الشَّعْبِ
مَا مِنْهُمَا إِلَّا ضَنْ يَشْكُو مُعَانَاةَ الدَّأْبِ
وَكِلَاهُمَا حَتَّى الْفُؤَا دِ عَلَى أَخِيهِ بِلَا سَبَبِ

١. جَوَّزَ أَمْرٌ مِنْ جَوَّزَ الْإِبْلَ وَنَحْوَهَا إِذَا قَادَهَا بَعِيرًا حَتَّى تَجَوَّزَ وَتَمُضِيَ فَالنَّاسُ حُمْرٌ فَقَدُّهُمْ إِلَى مَا تَرِيدُ وَلَا تَبَالُ بِهِمْ وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ وَبَرَزَ عَلَيْهِمْ أَي تَفُوقُ وَتَقْدِمُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَزَ عَلَيْهِ فِي صِنْعَتِهِ إِذَا فَاقَهُ وَعَلَاهُ.

٢. فَوَّزَ الرَّجُلُ: مَاتَ. أَي بَعْدَ أَنْ تَنَالَتْ شَهْوَاتِكَ مِنَ النَّاسِ فَهِيَ فَقَدَتْ اسْتَوْفِيَتْ حَظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٤٢؛ ديوان بديع الزمان، ص ١٢.

٤. بديع الزمان الهمداني، ص ٤٤٧؛ ديوان الشاعر، ص ٧ و ٨.

يُغْرِيبُهَا بِالشَّرِّ سَبْطُ
 مَا مِنْهَا إِلَّا بِهِ
 فَلَنَا بِصُلْحِهَا رَدَى
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
 أَخْرَجَهُ إِخْرَاجَ الذِّكِيِّ
 الرِّيحُ وَابْسَنُ أَبِي الْغَشْبِ
 شَرَطَ الْيُسْبُوسَةَ وَالْحَرْبُ
 وَلَنَا بِحَرْبِهَا نَشَبُ
 فِي كَسَلٍ خَطْبٍ يُسْتَدَبُ
 فَقَدْ وَصَفْتُ كَمَا وَجَبُ^١

٧. شمس المعالي قابوس بن وشمكير (م ٤٠٣هـ)

الأمير شمس المعالي، ابوالحسن،^٢ قابوس بن وشمكير حَكَمَ جرجان بعد أخيه ظهير الدولة بيستون المتوفى سنة ٣٦٦هـ. وكان فخرالدِّين قد لجأ من أخيه عضدالدولة إلى قابوس بجرجان، فأجأه هذا فاشتعلت بينه وبين عضدالدولة حربٌ انهزم فيها هو وفخرالدولة، ف لجأ إلى الدولة السامانية (سنة ٣٧٠هـ)، فأقام بنيشابور ثمانية عشر عاماً إلى أن عاد سنة ٣٨٨هـ إلى جرجان واستقرَّ بها ولكن لم يدم فيها أمره فلم يلبث أن خلعه ل سوء سيرته في السياسة.^٣

قال ابن خلكان^٤ فيه: «كان قابوس من محاسن الدنيا و بهجتها، غير أنه كان على ما خصَّ به من المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرَّ السياسة، لا يُسَاعُ كَأْسُهُ، ولا يُؤْمَنُ بِجَالِ سَطْوَتِهِ وبأسه، يقابل زلَّةَ القدم، بإراقة الدم، لا يذكر العفو عند الغضب، فما زال على هذا الخُلُقِ حتى استوحشت النُّفُوسُ عنه وانقلبت القلوب منه، فاجمع أعيان عسكره على خلعه ونزع الايدي عن طاعته...». فَخُلِعَ عن الإمارة وتولَّى الحكمَ ابنه ابو منصور منوچهر، فعاش منزوياً عن السياسة حتى قُتِلَ سنة ٤٠٣هـ و دفن بظاهر جرجان.

١. اراد في هذه الابيات ان في صلح حجرى الرَّحْمَى (اي في توقفها عن الدوران والعمل) ضرراً

له وفي حربها (أى في دورانها و عملها) نفعاً.

٢. الكامل ١٩١/٨؛ دائرة المعارف الاسلامية، مادة قابوس، طبع دارالمعرفة.

٣. الكامل ٢٢٢/٨ و ٢/٩.

٤. وفيات الاعيان ٨٠/٤، طبع دار صادر.

وصفه العوفي في لباب الالباب وصفاً جميلاً و ذكر له فضائل في الاكرام و الانعام و اورده رسائل نظماً و نثراً.^۱

۱. يقول فيه: امير قابوس كه شهاب قابس مقتبس انوار رأی منير او بود و شمس المعالی كه خورشيد خوشه چين خرمن ماه ضمير او، فضلاى روزگار و مردان روزگار از تيغ زبان و زبان تيغ او سر به خط آورده، كرم و مروّت با ذكاء و فطنت در ذات مبارك او جمع آمده:

ليس مسن اللّٰه بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ
 و رسايل تازى و قصايد عربى كه او پرداخته است، ديباچه دفتر فضائل است و مشاعرات او با استاد ابوبكر خوارزمى مشهور و در يثيمة الدهر مستوفى ذكر آورده و گویند وقتى دو امير از امرای دولت او بر وی عصيانى ظاهر كردند و رخس تفرد در معركة ترمذ رانند، دبیر را فرمود تا نزديك ایشان مثالى نويسد و وعظي و نصيحتي كند تا به طاعت گرائيده و رغبة در ريقه اطاعت آرند، دبیر مکتوب در قلم آورده بود و دراز كشيده و اطناب نموده چون بر نظر او عرضه داشت، دوات و قلم خواست و بر بياضى كه بر سر آن مکتوب بود اين بيت تازى بنوشت:

لَا تَغْصِينِ شمس العُلى قابوسا فَمَنْ عَصَى قابوسَ يلقى بؤسا
 تجنيسى بدین لطيفى و لفظى بدین پاكيژگى و در اين يك خط تمامت غرض خود را شرح فرموده و او را شعر پارسی است به غايت لطيف و كمال قدر او از اين يك قطعه كه گفته است واضح و لايح مى شود:

من پيش دل نيارم آزونياز را	كار جهان سراسر آز است يبا نياز
تا هم بدان گذارم عمر دراز را	من بيست چيز را ز جهان برگزيده ام
شطرنج و نرد و صيدگه و يوز و باز را	شعر و سرود و رود و مى خوش گوار را
اسب و سلاح و خود و دعا و نماز را	ميدان و گوى و بارگه و رزم و بزم را

(لباب الالباب ۱/۳۰، طبع ليدن)

از راه انصاف اگر كسى در اين قطعه بنگرد، بر كمال علو ادب و وفور فضل و حسن اعتقاد و بين همت اين امير بزرگوار و قوفى يابد و نيز در شعر ديگرى مى گويد:

شش چيز در آن زلف تو دارد معدن	پيچ و گره و بند و خم و تاب و شكن
شش چيز دگر نگر و وطنشان دل من	عشق و غم و درد و كرم و تيار و حزن

رباعى

گل شاه نشاط آمد و مى مير طرب	زان روى بدین دو مى كم عيش طلب
خواهى كه درين بدانى اى ماه سبب	گل رنگ رخت دارد و مى طعم دولب

(لباب الالباب ۱/۳۰-۳۱)

وَلَهُ نثر جميل ونظم بارع، رسم لنا فيها، ما ينطوي عليه ضميره وبين لنا فيها عواطفه واحاسيسه، جمعها عبدالرحمن اليزدادی في كتاب أشمأه «كمال البلاغة»^١ و اضافه الى ما كان يتمتع به من جمال الفن الادبي كان له خط جميل في نهاية الحسن و روعة، وكان صاحب بن عباد اذا رأى خطه قال: هذه خط قابوس، أم جناح طاووس و ينشد قول المتنبي:^٢

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءُ
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُوَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغْيِبَهُ الْأَقْدَاءُ

وقد وصفه الثعالبي ايضاً في اليتيمة وعده ينوع العدل والاحسان قائلاً قد جمع الله له عزة العلم وبسطة القلم.^٣

لقابوس نظم جميل ونثر يبهز العقل و يملك زمام القلب. فمن مشهور شعره قوله:^٤

قُلْ لِلذَّيِّ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطْرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَ تَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدَّرَرُ
فَإِنْ عَبَثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا وَمَسْنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ
فَإِنِّي السَّمَاءِ نَجْمٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَ لَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

إن الزمان لا يهتم ولا يعبأ إلا بذوي المكانة والمنزلة ولا ينظر إلا الى ذوى الهمم العالية، فهو لا يتصدى إلا الى هؤلاء ولا يحارب إلا ايتاهم، وهؤلاء قليلون دائماً و ابدأ، فإذا ما اختفوا عن العيون و الأنظار بسبب صروف الدهر و نوابه، و ظهر غيرهم ممن لا يستحق الثناء و الإطراء، فليس أولئك بالنسبة الى هؤلاء إلا كددر البحر بالنسبة الى جيفه هذه تطفو فوق الماء و تلك ترسو في الاعماق، و ليس بالنسبة الى هؤلاء إلا كالشمس و القمر بالنسبة الى النجوم، هذه بادية للعيان و ذانكما يطرأ عليها الكسوف و الخسوف و ما ذلك إلا لاهميتها و مكانتها.

١. المصدر نفسه ٣١/١. ٢. وفيات الاعيان ٨٠/٤.

٣. يتيمة الدهر ٦٧/٤.

٤. وفيات الاعيان ٨٠/٤؛ الكامل ٢٦٧/٧؛ ترجمة تاريخ اليميني، ص ٢٢٦، طبع بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

و من شعره^١

بِاللَّهِ لَا تَنْهَضِي يَا دَوْلَةَ السَّفَلِ وَقَصَّري فَضْلَ مَا أَرْخَيْتِ مِنْ طَوْلِ^٢
 أَسْرَفْتِ فَأَقْتَصِدِي، جَاوَزْتِ فَأَنْصَرِي فِي عَنِ التَّهَوُّرِ ثُمَّ أَمْشِي عَلَى مَهْلِ
 مُخَدَّمُونَ وَلَمْ تُخَدِّمْ أَوْ أَيْلُهُمْ مُخَوَّلُونَ وَكَانُوا أَرْذَلَ الْخَوَلِ^٣

انه يدعو على دولة الاوغاد والسفل بالسقوط والافول ويتمنى ان يقصر عمرها و
 ان لا يطول، فهي قد اسرفت وجاوزت الحد فيريد ان تنصرف عن تهورها وتكف عن
 غلوائها وجورها، ان رجال هذه الدولة لم يكن لهم ذكر ولم يكونوا ذوى اصل ونسب، انهم
 الان يتمتعون بنعيم هذه الدولة في حين انهم كانوا اخس العبيد وارذلهم. ونسب اليه بيتان و
 كان يُعنى بهما على ما قال التعالبي وهما:^٤

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَتِيرُ مَوَدَّتِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيئاً^٥
 لَا عُضْوٌ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِفْنَ قُلُوباً^٦

ذكرى الحبيب تثير عواطفه وأحاسيسه، فتدب هذه في قلبه بل في جسمه جميعاً،
 فكأن كل عضو من اعضائه أصبح قلباً فيه حرارة الحب وشوقه وحنينه وعاطفته.
 وكما كان ادينا شاعراً ظريفاً، كان كاتباً مترسلاً ايضاً، لكن الصناعة في شعره أقل
 من الصناعة في نثره وهو يُعرب في الاستعارات خاصة فيأتى بالبارع منها كثيراً، وبغير
 البارع قليلاً وله في نثره اقوال حكيمية موجزة.

نماذج من آثاره الادبية في النثر

من اقواله التي جاءت في رسائله التي جرت مجرى الحكيم والامثال:^٧
 الكَرِيمُ إِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ. وَإِذَا مَهَضَ لِفَضِيلَةٍ لَمْ يَبْف. إِذَا سَمِحَ الدَّهْرُ بِالْحَبَاءِ^٨ فَأَبْشِرْ

١. يتيمة الدهر ٧٠/٤.
٢. الطول: التماذى في الامر.
٣. المخدّمون: السادات. المخوّلون: المتمتعون والمنعمون. الخول: العبيد والخدم، أو الثروة والمال.
٤. يتيمة الدهر، المصدر نفسه؛ الكامل ٢٦٧/٧.
٥. خطرات: ج خطرة؛ ما يخطر في القلب. الدبيب: كل ما يدب على الارض.
٦. الصبابة: الشوق.
٧. يتيمة الدهر ٦٧/٤؛ زهر الآداب ١٤/٢.
٨. الحباء: العطاء.

بوشك الانتضاء. وَإِذَا أَعَارَ فَاحْسِبُهُ قَدْ أَعَارَ. كُلُّ عَمٍّ إِلَى ائِحْسَارٍ^١، وَكُلُّ عَالٍ إِلَى ائِحْدَارٍ. غَايَةُ كُلِّ مُتَحَرِّكِ سُكُونٌ، وَنِهَايَةُ كُلِّ مُتَكَوِّنٍ أَلَّا يَكُونَ، وَآخِرُ الْأَحْيَاءِ فَنَاءٌ. وَالجَزْعُ عَلَى الْأَمْوَاتِ عَنَاءٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلِمَ التَّهَالُكُ^٢ عَلَى هَالِكٍ؟ الْوَسَائِلُ أَقْدَامُ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَالشَّفَاعَاتُ مَفَاتِيحُ الطَّلِبَاتِ. ائِعْفُو عَنِ الْمُجْرِمِ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْكَرَمِ وَقَبُولُ الْمَعْذِرَةِ مِنْ مَحَاسِنِ الشِّيمِ.

قُوَّةُ الْجَنَاحِ بِالْقَوَادِمِ وَالْحَوَافِي^٣، وَعَمَلُ الرَّمَاكِ بِالْأَسْتَةِ وَالْعَوَالِي، الدُّنْيَا دَارُ تَغْرِيبٍ وَخِدَاعٍ وَمُلْتَقَى سَاعَةٍ لَوْدَاعٍ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بَيْنَ كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرِ، وَصَائِرُونَ خَبْرًا بَعْدَ آثَرٍ.

حَسُوْهُ هَذَا الدَّهْرُ الْخَوُّونَ أَحْزَانَ وَهُيُومٌ، وَصَفُوهُ عَنْ غَيْرِ كَدْرِ مَعْدُومٍ. لِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ وَمُنْتَهَى وَانْقِطَاعٌ وَإِنْ بَلَغَ الْمَدَى. هَمُّ الْمُنْتَظَرِ لِلْجَوَابِ ثَقِيلٌ، وَالْمَدَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ قَصِيْرًا طَوِيْلًا. وَمِنْ أَيْنَ لِلصَّبَابِ صَوْبُ السَّحَابِ، وَلِلْغُرَابِ هُوِيٌّ الْعِقَابِ. هِيْمَاتٌ أَنْ تَكْتَسِبَ الْاَرْضُ لَطَافَةَ الْهَوَاءِ، وَيَصِيْرَ الْبَدْرُ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ.

لقابوس رسائل ادبية رقيقة المعنى منها:

ما كتب إلى بعض إخوانه:^٤

كَتَبْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ - وَمَا فِي جِسْمِي جَارِحَةٌ إِلَّا وَهِيَ تَوَدُّ لَوْ كَانَتْ يَدًا تَكَاتِبُهُ وَلسَانًا يَخَاطِبُهُ وَعَيْنًا تَرَاقِبُهُ وَقَرِيحَةً تُغَايِبُهُ بِنَفْسٍ وَهْيُ^٥ وَبصيرةٍ وَرَهْيُ^٦ وَعَيْنٍ عَبْرِي^٧ وَكَيْدٍ حَرِي^٨ مُنَازَعَةٌ^٩ إِلَى مَا يُقَرَّبُ مِنْهُ وَتَمَسُّكَ بِمَا يَتَّصِلُ عَنْهُ وَمُثَابَرَةٌ^{١٠} عَلَى أَمَلٍ

١. الانحسار: من انحسر: إنكشف.

٢. التهالك: الجِدُّ والاستعجال في انجاز أمر.

٣. القوادم: ريش مقدمة الجناح. الحوافي: الريش الذي يليه.

٤. معجم الادباء ١٦/٢٢٢.

٥. وهْيُ: حزينَةٌ.

٦. ورَهْيُ: حيرى.

٧. عَبْرِي: ذات عبْرَة و حزن.

٨. حَرِي: شديدة العطش والمراد التَّلَهُّفُ كالعطشان.

٩. مُنَازَعَةٌ: اشتياقاً وهو مصدر مفعول لاجله.

١٠. مُثَابَرَةٌ: مداومة.

هو غايته وتعلقاً بجبلٍ عهدٍ هو نهايته، وخاطري^١ يميل نحوَه ونفسي تأملُ دُؤوَه وترجو و تقول أترأه، بل لعلّه وعسأه يرقّ لنفسٍ قدّ تصاعدَ نفسُها^٢ و يرحمُ روحاً قد فارقتها رَوْحُها^٣ و مؤنسُها؟ وكيف بقلبه لو عاينَ صورةً هذه صورُتها وشاهدَ مَهجَةً^٤ هذه جُمَلُتها؟ فَليرْفُقُ جَعِلْتُ فِدَاهُ بِنَ عانَدَ^٥ بزحاً عظيماً، وكابد^٦ قرحاً أليماً وليرقّ ليكيدٍ قدّ فَنها البعادُ و عَيْنِ ارْقَها^٧ الشهادُ وأحشاءٍ مُحرّقةٍ بنارالفراقِ وأجفانٍ مقروحةٍ^٨ بدمعها المَهراقِ^٩، و قلبٍ في أوصابه^{١٠} متقلّبٍ ولُبِّ في عذابه معذبٍ. فلَو أني أسعدتُ فأعطيتُ الرضا وخيرتُ فأخترتُ المني، تَمَنَيْتُ أنْ أتصوّرَ صورَتَكَ وَأطالعَ طَلَعَتَكَ وَأُمثِلَ لها مثالي لَترأه. فأخبرها بكنه^{١١} حالي ومعناه، ولترفقُ لإزالة ما أزلته^{١٢} الدهرُ إلىَّ ولتتلطّفَ لإماطة^{١٣} ما أماطه عَلَيَّ وأشكوبعض ما نابني من نوابه وغوائله^{١٤} وَأطلقني من أشراكه^{١٥} وحبائله. وكان قدمنّت عليه نكبةً أخرجه من مقرّ عِزّه و موطنٍ مُلكه فشئتُه عن الأوطانِ، وَالْحَقَّتُهُ بِجُرَّاسانَ، فَأقامَ بها بُرْهَةً مِنَ الزَّمانِ إلى أنْ أسفَرَ^{١٦} صُبْحُهُ وفازَ بعدَ الحُبيبةِ قدْحَهُ^{١٧} وتخرّجَ^{١٨}

١. خاطري: قلبي وهو مجازٌ واصله الهاجس.
٢. قد تصاعدَ نفسُها: هذا كقولهم: تنفّس الصّعداء: أي تنفّساً طويلاً من تعبٍ أو كربٍ.
٣. الروح: بضمّ الراء: ما به حياة الأنفس و الرّوح بالفتح، الراحة والرحمة والنصرة والعدل الذي يريح المشتكى والفرح والسرور.
٤. المهجة: الروح.
٥. عانَدَ: قاوم و البرح: الشدّة، يقال: لقيت منه بزحاً بارحاً: شدةً وأذى.
٦. كابد: قاسى و تحمّل المشاقّ و القرّح بالفتح: الجراحة. وبالضمّ: ألمها، والمناسب هنا الضمّ.
٧. أرقني: أسهرني، والشهاد: الارق بمعنى اليقظة.
٨. مقروحة: مجروحة.
٩. المَهراق: المراق المصبوب.
١٠. اوصاب جمع وصبّ: المرض والوجع الدائم.
١١. الكنه: الحقيقة.
١٢. ما أزلته: ما أسقطه وأزله.
١٣. الإماطة: التنحية والابعاد. وأماطه على: أسدله.
١٤. نوابه: مصائبه جمع نائبه، وغوائله: دواهيهِ و شروره، جمع غائلة.
١٥. اطلقني: ارسلني والأشراك جمع شرّك: وهو حبائل الصيد.
١٦. اسفر صبحه: أضاء والمراد انكشاف منازل به.
١٧. القدح: السهم قبل أن ينصل و يراش و هو ايضاً سهم الميسر والمراد النصيب.
١٨. تخرّج الزمان...: تجنب الحرج أي الأثمّ.

الزمانُ مِنْ جَوْرِهِ عَلَيْهِ، فَرَدَّ مُلْكُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ فِي نَكْبَتِهِ:

قُلْ لِّلَّذِي بَصُرُوا فِي الدَّهْرِ عَيْرِنَا هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَّهُ خَطَرٌ^١

٨. الثعالبي النيشابوري (م ٥٤٢٩هـ)

هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيشابوري؛ قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه: «كان في وقته راعي تلعات العلم، و جامع أشتات النثر و النظم، رأس المؤمنين في زمانه، و امام المصنّفين بحكم قرانه، سار ذكره سير المثل، و ضربت إليه آباط الابل، و طلعت دواوينه في المشارق و المغارب، طلوع النجم في الغياهب و تأليفه اشهر مواضع و أبهر مطالع و اكثر راوٍ لها و جامع، من أن يستوفيهما حدًا أو وصفًا، أو يوفيهما حقوقهما نظمًا أو رصفًا»^٢.

و قال عنه البخارزي صاحب دمية القصر: «هو جاحظ نيشابور، و زبدة الاحقاب والدهور، لم تر العيون مثله و لانكرت الاعيان فضله، و كيف تُنكر و هو المزنُ يُحمدُ بكلّ لسان، او كيف يُستَر و هو الشمس لا تخفى بكل مكان»^٣.

ولد ابو منصور في نيشابور عام ٣٥٠ للهجرة و اليها نُمي و كان في اول حياته فراءً، يخيظ جلود الثعالب فنُسب الى صناعته، و من ثمّ انتقل من حوك الفراء الى حوك الكلم، فاشتغل باللغة و الادب و التاريخ فنبغ و اشتهر، و لم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته و مراحلها و ادوارها، الاّ أنّها أسهبت في ذكر فضله و علمه، فقد ذكره فريق من كبار المؤلفين و أشاروا الى مكانته و مؤلفاته التي بلغت حدًا لا بأس به من الكثرة و الغنى و التنوع. فقال عنه ابن الانباري في نزهة الالباء: كان ادبياً فاضلاً فصيحاً بليغاً، صنّف كتباً كثيرةً و أخذ عن ابي بكر الخوارزمي^٤.

١. قد مضى ذكرُ هذا البيت و مابعده في هذا الدرس.

٢. وفيات الاعيان ١٧٨/٣.

٣. دمية القصر ١٨٠/١ و ما بعدها.

٤. يتيمة الدهر ٤/١؛ وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٤٦/٣ و الذخيرة (القسم الأخير في

تراجم المشاركة)؛ نزهة الالباء، ص ٢٤٩؛ و دمية القصر، ص ١٨٣.

اهم الآثار التي خلفها الثعالبي

خلف الثعالبي كتباً قيمةً أربت على الثمانين كتاباً، تنوعت بين اللغة و السيرة و الاخبار و البلاغة و الادب شعراً و نثراً.

من اهمها: كتابه يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر^١ اكثرها شهرة و تداولاً، جمع الثعالبي فيه كل جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو اقليمهم أو البلاد الذي سلكهم في عدادها، و مثال ذلك ما فعله بشعراء الشام و شعراء مصر من حيث الاقاليم، و بشعراء دولة حمدان و بلاط سيف الدولة في حلب و بني بويه في بغداد و اصفهان.

وله ايضاً كتاب فقه اللغة و سحر البلاغة و سر البراعة و مؤنس الوحيد و من غاب عنه المطرب^٢.

خصائصه في يتيمة الدهر

«والتعالبي في اليتيمة لم يقتصر على ترجمة محضة للشخصيات الادبية و الاستشهاد بالنصوص الشعرية، بل نراه يورد آراء نقدية قيمة و تعليقات ادبية ممتعة تنم عن ذوق ادبي رفيع، كما يعتمد في كثير من الاحيان الى المقارنة و الموازنة بين من يترجم له و بين غيره من الشعراء في الفن الشعري الذي برع فيه و يكشف بلياقة و كياسة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين و المعاصرين و يتعقب بحس ادبي عميق و ذوق مرهف دقيق صورته و معانيه... كما نراه أحياناً يصوب المعنى و يشير الى الاستعمال السليم»^٣.

نموذج من شعره

ما كتبه الى الامير ابي الفضل الميكالي^٤

لك في المفاخر معجزات جمّة
بحران: بحر في البلاغة شأنه
أبدًا لغيرك في الوري لم تُجمع
شعرُ الوليد و حسن لفظ الأصمعي

١. يتيمة الدهر شرحه و حققه الدكتور مفيد محمد قبيحه.

٢. وفيات الاعيان ١٨٠/٣. ٣. يتيمة الدهر ١/٥، ٦.

٤. وفيات الاعيان ١٨٠/٣ و دمية القصر، ص ١٨٣.

و ترسلُ الصّابي يزينُ علوهُ خطُّ ابنِ مقلّةِ ذي المحلِّ الارفعِ
 كالنّورِ أو كالسحرِ أو كالبدرِ أو كالوشي في بُردٍ عليه مُوشعِ
 شكراً فكم من فقرَةٍ لك كالغنى وافي الكسريمِ بُعيدَ فقرٍ مُدّقعِ
 و إذا تفتّقَ نورُ شعركَ ناضراً فالحسنُ بينَ مُرصّعٍ و مُصرّعِ
 أرجلتَ فرسانَ الكلامِ و رُضتَ أف... راسَ البديعِ و انتَ أجمدُ مبدعِ
 و نَقِشتَ في فُصِّ الزمانِ بدائِعاً تُزري بأثارِ الربيعِ المُسرّعِ

لقد جُمعتُ لأبي الفضل الميكالي معجزات جمّة من المفاخر لم تتوفر لغيره، معجزات في البلاغة وفي الشعر والترسل والخطّ، فشعره شعر الوليد وبيانه بيان الأصمعي وترسله ترسل الصّابي وخطّه خطّ ابن مقلّة يوشّي أبراد البيان والشعر ويُرَيّتها، نثره كالغنى في يد الكريم ينثره نثراً ويفرّقه تفريقاً وشعره كالورد حسناً ونضارة وجمالاً، آثاره الأدبية بجهاها الرائع وحسنها الفائق قد اخجلت حسن الربيع وجماله.

نموذج من نثره من مقدمة يتيمة الدهر

أمّا بعدُ، فإن محاسنَ أصنافِ الأدبِ كثيرةٌ، و نكتها قليلةٌ، و أنوارٌ^٢ الأفاويلِ موجودةٌ، و ثمارها عزيزةٌ^٣ و أجسامُ النثرِ و النظمِ جمّةٌ^٤، و أرواحها نزرّةٌ^٥ و قشورَهما معرضةٌ، و لبوبها معوزةٌ^٦. و لما كان الشعرُ عمدةَ الأدبِ، و علمُ العربِ الذي اختصتْ به [عن] سائر

١. المصدر نفسه، ص ٣ (هـ-و).

٢. الأنوار: جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر، أو الأبيض منه خاصة.

٣. عزيزة: نادرة قليلة الوجود.

٤. جمّة: كثيرة.

٥. نزرّة: قليلة.

٦. تقول: عرضت الشيء فأعرض لي، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز، و هو من نوادر اللغة، و نظيره كيبته فأكب. و أنت عارض و الشيء معرض، أي ظاهر بارز. و اللبوب: جمع لب - بضم اللام - و هو من النخل و الجوز و اللوز و نحوها: ما في جوفها، و قد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه.

الأمم، وبلسانهم جاء كتابُ الله المنزَّل، على النبي منهم المرسل، صلواتُ الله عليه وآله و سلم كانت أشعارُ الإسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين، وأشعارُ المحدثين [الطف من أشعارِ المتقدمين، وأشعارُ المولدين أبدع من أشعارِ المحدثين]، وكانت أشعارُ العصريين أجمعَ لنوادرِ المحاسنِ، وأنظَمَ للطائفِ البدائعِ من أشعارِ سائرِ المذكورين؛ لانتهائها أبعَدَ غاياتِ الحسنِ، وبلوغها أقصى نهاياتِ الجودةِ والظرفِ، تكاد تخرج من بابِ الإعجازِ إلى الإعجازِ، و من حدِّ الشعرِ إلى السحرِ، فكان الألفاظُ والمعاني استيفاءً لأقسامِ البراعةِ، وأوفرها نصيباً من كمالِ الصنعةِ، ورونقِ الطلاوةِ.

وكذاكَ قَد سَادَ النبي مُحَمَّدٌ كُلَّ الأَنَامِ وَكَانَ آخِرَ مَرَسَلِ
وقد سبق مؤلفو الكتبِ إلى ترتيبِ المتقدمينَ مِنَ الشعراءِ، وذكرِ طبقاتِهِم
و درجاتِهِم، و تدوينِ كلماتِهِم والانتخابِ من قصائِدِهِم و مقطوعَاتِهِم، فكَم من
كتابٍ فاخرٍ عَمِلُوهُ، و عقدٍ باهرٍ نظَمُوهُ، لا يَشِينُهُ الآنَ إلا نبؤُ العِينِ من إِخلاقِ جِدَّتِهِ،
و بلى بُرْدَتِهِ، و مَجَّ السَّمْعِ لِمَرَدِّدَاتِهِ، و ملائِلَةُ القَلْبِ مِن مُكرراتِهِ. و بقيتُ محاسنُ أهلِ
العصرِ التي معها رِواءُ الحداثَةِ، و لذةُ الجِدَّةِ، و حلاوةُ قَرَبِ العَهْدِ، وازديادُ الجودَةِ
على كَثْرَةِ النَقْدِ، غيرَ محصورةٍ بكتابٍ يضمُّ نَشْرَها، و ينظُمُ شَذْرَها^١ و يشدُّ أزرَها،
ولا مجموعةٍ في مُصَنَّفٍ يقيّدُ شِوارِدَها، و يخلدُ فوائِدَها، و قد كنتُ تصدّيتُ لعمَلِ ذلكِ في
سنةٍ أربعٍ وثمانينَ و ثلاثينَ، و العُمُرُ في إقبالِهِ، و الشبابُ بمائِهِ، فافتتحتُهُ باسمِ بعضِ
الوزراءِ مجرباً إياهُ بحمى ما يتقربُ به أهلُ الأدبِ إلى ذِوي الأخطارِ^٢ والرُتبِ، و مقيماً
ثَمَرَ الورقِ، مقامَ نثارِ الورقِ، و كتبتُهُ في مدَّةٍ تقصُرُ عن إعطاءِ الكتابِ حَقَّهُ، و لا تتسعُ
لتوفيةِ شَرَطِهِ، فارتفعَ كعجالةِ الراكبِ، و قبسةِ العَجَلانِ، و قضيتُ به حاجةً في نفسي.
و أنا لا أحسبُ المستعيرينَ يتعاوَرُونَهُ، و المنتسخينَ يتداوَلُونَهُ، حتى يصيرَ من أنفسي
ما تشحُّ عليه أنفُسُ أدباءِ الإخوانِ، و تسيرُ به الركبُ إلى أقاصي البلدانِ، فتواترتِ
الأخبارُ، و شهدتِ الآثارُ، بحرصِ أهلِ الفضلِ على غَدْرِهِ و عَدَمِ إياهُ مِن قُرْصِ العَمْرِ

١. ينظم: يجمع. والشذر - بفتح الشين وسكون الذال - المتفرق المتبدد.

٢. الأخطار: جمع خطر - بفتححتين - وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة.

وَعُرِّرَهُ^١ واهتزأزهم لزهريه، واقتفأرهم لفقريه،^٢ وحين أعزته على الأيام بصري، وأعدت فيه نظري، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب: أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة؟

٩. الباخرزي

هو ابو الحسن علي بن الحسن الباخرزي نسبة الى باخرز، وهي كورة ذات قرى كبيرة قرب نيشابور. لازم درس الشيخ ابي محمد الجويني امام الحرمين في الفقه الشافعي.^٣ حفظ القرآن الكريم و مال الى الادب وذاب في الادب العربي ذوب الملح في الماء. وصفه الثعالبي والعيوفي بحسن الخلق والخلق، وحسن الشئائل وكثرة الفضائل ورجاحة الادب.^٤

كان احد الادباء المشهورين في العصر السلجوقي اي في القرن الخامس الهجري، و كان ذا لسانين الا ان أدبه في العربية أمتن وأرصن ونتاجه فيها اكثر وأغزر.^٥ قال فيه صاحب شذرات الذهب^٦ «كان اوحد عصره في فضله وذهنه، والسابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره، كما كان رأساً في الكتابة والانشاء والفضل»، «وكان كثير الصحبة والعذراء وافاضل عصره كطغرل بيك وخواجه نظام الملك والكندري والميمندي والجويني، مما يدل على رفعة مكانته وشهرته بينهم ومقامه الادبي والاجتماعي».^٧

١. الفرر - بضم ففتح - جمع غرة.
٢. اقتفأرهم: تتبعهم. تقول: اقتفر فلان الأثر، وتقفره، إذا تبعه. والفقر: جمع فقرة - بالكسر، وبالفتح وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجز، وتستعار للجمله من الكلام البليغ.
٣. وفيات الاعيان ٣/٣٨٧، ٣٨٨.
٤. دمية القصر المقدمة ١/١٤؛ لباب الالباب، ص ٦٦.
٥. تاريخ ادبيات در ايران ٢/١٠٣٨.
٦. شذرات الذهب ٣/٣٢٨؛ وفيات الاعيان ٣/٣٨٧.
٧. دمية القصر ٣/١٥٤٦.

تلقى' الباخري في احد مجالس أنسه التي كان يعقدها مع ندمائه في باخرز طعنة بسكين اردته قتيلاً سنة ٤٦٧ او ٤٦٨هـ ويقول المؤرخون غافله بذلك غلام تركي ولكنهم يضيفون أن دمه ذهب هدراً لأنه لم تعرف هوية القاتل ولا السبب الداعي الى ذلك،^١ لكن الدقة في الامر تظهر لنا ان السياسة او الظروف التي كانت في ذلك الوقت هي التي شاءت ان لا يعرف القاتل وان لا يؤخذ بجريرته والا فكيف يمكن ان يقتل في مجلسه بين الندماء ويعرف القاتل بانه غلام تركي ولا تعرف هويته؟

كان الباخري يعلم أن الهدف الذي عزم عليه وهو تأليف كتابه الدمية يحتاج الى جهد جهيد وتطواف مديد وسفر بعيد، فشر عن ساعديه لتحقيق مبتغاه، وطاف في البلدان ليجمع ما تسنى له من شعر الشعراء في دميته، ومن النظر في الدمية يتضح أن الباخري أديب، شعراً و نثراً ناضج الادب كامل الفن واسع المعرفة والثقافة، تعرف ذلك من خلال قراءة تك لدميته.

لم يكن هدف الباخري في دميته جمع الشعر فقط وإنما نراه يهدف إلى نقده أيضاً لغة وبلاغة وعروضا ونحواً، لفظاً ومعنى، وهو صريح في نقده، فاذا لم يعجبه شعر شاعر يصرح بذلك وإن كان يحب هذا الشاعر ويميل اليه «وأهم ما امتازبه الباخري وقوفه على مواطن المعرفة في شتى المجالات التي تعين على توضيح ما يرمي اليه. ولعل النقد محك ثقافة المرء. ولا يترك الباخري سرقة ادبية او اقتباساً او تضميناً الا وقف عنده وأشار اليه»^٢ ونقده هذا وتنبيهه إلى هذه السرقات الأدبية من الشعراء القدماء ومن المعاصرين له يدل على سعة ثقافته الشعرية وإحاطته بالشعر و دواوينه وحفظه لقديمه وحديثه وحضور بديته. والباخري في دميته يوازن بين الشعراء - قدماء ومعاصرين - موازنة موفقة، ويقف من شعرهم موقف الحكم، وهذه الموازنة - هي الاخرى - تدلنا دلالة قاطعة على حافظته القوية وسرعة انتباهه وحضور بديته من ناحية وعلى ادراكه التام لما حوته الدواوين القديمة والمعاصرة له من ناحية ثانية.

١. المصدر نفسه، ١٥٤٧، وفيات الاعيان ٣/٣٨٨. الموسوعة الاسلامية مادة (باخرز).

٢. انظر: دمية القصر ٣/١٦٠٤ و ١٦٠٦.

نثر الباخري في دميته تنغى عليه الصنعة اللفظية فهو كثير السجع وقلما نجد قطعةً أو اسطرًا من نثره خالية منه.

نموذجٌ من نثره

قال الثعالبي النيشابورى في فضل الباخري و سيطرته على الادب العربي و نثره:

فتى كثر الله فضائله و حسن شئله، فالوجه جميل تصونه نعمة سالحة و الخلق عظيم تزينه آداب راجحة و النثر بليغ تضمه أمثال بارعة و النظم بديع كله أحاسن لامعة و أنا كاتب من نثره ما يربى على الدرّ المنثور و من نظمه ما يأخذ بجامع القلوب، جملةً من الفاظه في كل فنّ:

نعم العادة للانسان إعادة الإحسان، لا تجعل الجزع كسوة فتكون للنسوة أسوة. طوبى لمن عقله يغنيه عما لا يعنيه، من قنع بما يكفيه فرأى كفيه. العذل على البذل فعل التذلل. السعيد من يبديء البر ثم يعيد. الشقى من شكاه التقي. لا تضطرب في محالب المحنة فتمزقنك بأنياب الإحنة. من تزود التقي استمسك بالعروة الوثقى. من دفيء بجمر الحمر عرى من برد البرد. أنزه المناظر و المجالس ما سافر فيه ناظر الجالس. ألوصب^١ نتيجة التصب^٢ و الراحة ثمرة الاستراحة. الصبر على الأوصاب أمر من الصاب. رداءة الملبوس شعار البؤس و جودة البرة علامة العزة. من نكد الدنيا طول حياة الحيات و قصر آجال الرجال. الرحيق على الريق حريق و بعد الطعام برد و سلام. لا يستبدع العبوس من المحبوس. لو كان الهدهد طبيياً لصير بيته طبيياً. من يعدم خيرك يخدم غيرك. الطبع على الرخيص حريص و للغالى قال. فلان لا يمسنى فأقرّ و لا يتركنى فأقرّ. فلان يخلف عداقى و يشمت عداقى. ما شئت من لفظ بارّ و رزق غير دارّ. لا اشتغل بوصف الشوق فقد كبر عمرو عن الطوق و لا بشرح المودة من الجانيين فقد بين الصبح لذى عينين.

و يقول أيضاً: لحي الله زماننا من زمان سقط فيه سعر الشعر و ظهرت كآبة الكتابة و

١. الوصب: الألم الدائم.

٢. التصب: التعب الارهاق.

انخفض علم العلم و نصب نهي النهي و عزّ وجود الجود و انسدّ باب الالباب و انطوى بساط الإنبساط و ارتفع قدر القدر و انتقطعت فائدة المائدة و خابت وسائل السائل و قامت سوق الفسوق.^١

كان الباخريزي ادبياً ذا لسانين يقول الشعر في العربية والفارسية و خليق بنا ان نتحدث عن شعره و ان نطيل هذا الحديث و نوفي الحق فيه الا ان المجال لايسع ذلك فَلُنْحَتَصِرْ اذن.

كان الباخريزي شاعراً أكثر مجيداً لكنه ليس من فحول الشعراء، كان متين اللفظ، رصين الاسلوب، ليس في شعره جفوة ولا غلظة ولا تكلف في المعنى و اللفظ طرق فنون الشعر لكن اكثر شعره يأتلف من المدائح، وهل كانت مدائح نليل الصلات و واسطة للتكسب؟ أنها لم تكن في هذا الشأن و انما كانت مدحاً للاصدقاء و الخلان و الرؤساء الذين كان يعاشرهم لذلك نجد فيها كثيراً من المبالغات و الخيال لانه يريد ارضاء الصديق من جهة و اتقان الصناعة من جهة اخرى.

للباخريزي غزل رقيق ايضاً منه قوله:^٢

أفوت معاهدهم بشطّ الوادي	فبقيت مقتولاً و شطّ الوادي
وسكرت من خمر الفراق و رقصت	عيني الدموع على غناء الحادي
قالت و قد فتشت عنها كل من	لاقيته من حاضر او باد
انا في فؤادك فارم لحظك نحو	تسرفي فقلت لها: و اين فؤادي؟

قطعة شعرية جميلة مؤثرة، فيها حزن عميق و ألم مُضّ على من رحلوا، و معهم محبوبة الشاعر - آخذين فؤاده معهم تاركين مساكنهم بشطّ الوادي فهاجرت نفس الشاعر معهم و بقي الشاعر جسماً بلاروح و بلافؤاد، سكران حيران من خمر الفراق، قد هاجه غناء الحادي فشكى و بكى، و انحدرت دموعه حارة غزيرة، فلما صحا من سكره أخذ يفتش عنهم في كل مكان و يسأل عنهم كل انسان من غير ما جدوى و لا فائدة.

١. نقلاً عن تمة اليتيمة ٢٢١/٥ و ٢٢٢.

٢. دمية القصر ٨٠٤/٢.

ومنه قوله:

يا فالقَ الصبحِ مِن لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ
بصورة الوثنِ استعبدتني وبِها
ولاغرو إن أحرقتُ نارُ الهوى كبدِي
وجاعِلَ الليلِ مِن اصداعِهِ سَكنا
فتنتني وقديما هجَّت لي شَجنا
فالتارَ حقُّ عليّ مَن يعبدُ الوثنا

انه يتغزل بحبويه ذي الوجه الصبيح والصدغ المليح، الذي فتنه واثار شجنه وقد شبهه بالوثن، فلا بأس اذا احترق كبده بنار عشقه وهواه لأن من يعبد الوثن ويهواه يستحق العذاب بالنار.

وله في رثاء عميد الملك ابي نصر محمد الكندري قوله:^١

ما بالُ هذا الفلكِ الجاني
هذا عميدُ الملِكِ وهو الذي
ولا نَضا طاعته مارِدُ
ولا اعتراه القِرْنُ الا رأى
كان في خاتمه حيث ما
شادت يدُ الدولة اركانه
مُفَرِّقاً في الارض اجزأوه
والشخصُ في كندرِ مُسْتَبْطِنُ
ورأسه طارَ فلهني على
خلوا بنيشابور مضمونه
والحكمُ للجبار فيما مضى
نأى ولكن جَوْرُهُ دانِ
لم يَحُلْ منه صدرُ ديوانِ
الا اُكْتَسَى قَرْوَةَ خِذْلانِ^٢
غَضَنْفراً في زيِّ انسانِ^٣
أومى به فصُّ سليمانِ^٤
ثم هوى اعظم بُنيانِ
رهنَ قُرَى شَتَّى وبُلْدانِ
وراء اَرْماسِ وَاكْفانِ^٥
بجشمه في خيرجُمانِ
وقحفه الخالي بكرمانِ
وكلُّ يومٍ هو في شأنِ

١. دمية القصر ٨٠٧/٢.

٢. نضا- نضوا: الثوب؛ نزعته والقاه. مارِدُ: عاصٍ ومتمردٍ. الفروة: الكساء، او الجلدة ذات الشعر.
٣. القِرْنُ للانسان: مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك. الغضنفر: الاسد غليظ الجثة.

٤. الفصُّ: ما يركب في الخاتم من الحجاره الكريمه وغيرها.

٥. الارماس: جمع رمس وهو القبر.

القصيدة لاتعدو مدح الميِّت فليس فيها تفجع له ولا توجع عليه فلا نجد فيها لوعةً
ولا حزنًا ولا ألمًا يفطر الكبد ويؤلم القلب وانما هي وصف أو قُل مدحٌ للكندري عندما كان
وزيراً ذا مقام عالٍ يأمر فيطاع ثم اقل نجمه و هوئ بنيانه فقتل وتفرقت اشلاؤه في البلاد
وهذه هي سنة القضاء والقدر في العباد.

وقوله في الفارسية:^١

بر گردن خوش بسته ای عقدگهر وزگوش بیاویخته ای حلقه زر
گوی غم عشق جلوه کرد ای دلبر زاشگ ورخ من به گردن وگوش تو در
وله اشعار في الفارسية لاجمال لنا أن تأتيها، واذا طالعا كل آثاره الشعرية عربية
أو فارسية نجده شاعراً ذالسانين، مشرفا على كلتا اللغتين ومفكراً في الثقافتين العربية و
الفارسية.^٢

١٠. الزمخشري^٣ (م ٥٣٨)

هو ابوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الامام الكبير في الادب
والتفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان. كان عبقرى عصره، من غير مدافع،
أخذ النحو عن ابي مضر منصور الاصفهاني، وابي الحسن المظفر النيشابوري.
وفي رحلته الى بخارى سقط عن دابته، فكسرت رجله فاضطر الى قطعها، واتخذ

١. باب الالباب، ص ٦٨ وله في الفارسية ايضاً قوله:

چون تو، یارا، گزیده یار که دید؟	همبر روی تو نگار که دید؟
مشک بربرگ تازه گل که شنید	ماه بر سرو جویبار که دید؟
صدفی خردک از عقیق یمین	سربسه سر درشاهوار که دید؟
واوفتاده نگون برآتش تیز	زنگی مست وبی قرار که دید؟
نرگسی ناچشیده هرگز خمر	روز وشب مانده در خمار که دید؟

٢. انظر: باب الالباب، المصدر نفسه.

٣. وفيات الاعيان ١٦٨/٥؛ معجم الادباء ١٢٦/١٩-١٣٥؛ الكامل ٩٧/١١؛ بغية الوعاة،
ص ٣٨٨؛ شذرات الذهب ١١٨/٤، بروكلمان ٣٤٤/١؛ الاعلام ٥٥/٨.

رجلاً من خشب. صنّف تصانيف بديعة منها^١: الكشاف في تفسير القرآن و المحاجاة بالمسائل النحويّة و المفرد و المركب في العربية، و الفائق في تفسير الحديث و اساس البلاغة في اللغة و ربيع الابرار و فصوص الأخبار و النصائح الكبار و النصائح الصغار و المفصل في النحو و له مقامات على مثال مقامات البديع و الحريري و الأنموذج في النحو و شرح ابيات كتاب سيبويه و المستقصى في امثال العرب و سوائر الامثال و ديوان التمثيل و شقايق النعمان في حقايق النعمان و القسطاس في العروض و مقدمة الآداب و ديوان الرسائل و الامالي في كل فنّ و غيرها من الكتب المفيدة العلمية و الادبية.

سافر الى مكة و جاور بها زمناً، فلَقَّب «جار الله» لذلك، فصار هذا الاسم علماً عليه. و رُوي أنّه كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به.^٢

بلغ في الكتابة و اللغة مبلغاً لم يصل اليه احدٌ في عصره من العرب و غيرهم. و مال الى الشعر ايضاً و رغب فيه و خلف لنا ديواناً من الشعر يحوي فنون الرّثاء و الحكمة و الغزل، لكن براعته في النثر طغت على الشعر، اذا استطعنا أن نقارن بينها. فنثره الفنى كثير الصنعة يغلب عليه جفاف القلم و شيء من التكلّف.

كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد - كما مرّ - و كان مفراطاً في اعتقاده بخلق القرآن خلافاً للأشاعرة، و قد تأثر تفسيره بهذا الاعتقاد بشكل واضح فنحن نراه يستفتح خطبة هذا التفسير بقوله:

الحمد لله الذي خلق القرآن.^٣

المختار من شعره

الأقلّ لسعدى ما لنا فيكٍ من وطرٍ^٤ وما تظليلين النجل من أعين البقر
فأنا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهم والله يجزى من اقتصر

١. ربيع الابرار، ص ١٣؛ تاريخ آداب اللغة العربية ٤٧/٢ و ٤٨.

٢. وفيات الاعيان ١٧٠/٥؛ معجم الادباء ١٢٦/١٩؛ إنباه الرواة ٢٧٠/٣.

٣. شذرات الذهب ١٢١/٤.

٤. الوطر: الحاجة

وَلَمْ أَرِ فِي الدُّنْيَا صَفَاءً بَلَكَدَرِ
إِلَى جَنْبِ حَوْضٍ فِيهِ لِلْمَاءِ مُنْحَدَرِ
أَرَدْتُ بِهِ وَرْدَ الخُدُودِ وَمَا شَعَرَ
فَقُلْتُ لَهُ: هَيْهَاتَ مَالِي مَنْتَظِرِ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَنَعْتُ بِمَا حَضَرَ^٢

أَنْتَ أَخُو لَيْلِي فَقَالَ يُقَالُ
يُقَالُ أَخُو لَيْلِي فَقَالَ يُقَالُ^٤
يُقَالُ وَيَسْتَسْقِي فَقَالَ يُقَالُ^٥

و مما قاله، وهو في طريقه الى بيت الله الحرام يريد الجوار هناك، ابياته التي تطفح

إِنِّي إِلَى بَاطِحَاءِ مَكَّةَ سَائِرُ
لِلْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُجَاوِرُ^٧
تُرُ نَعْمَةٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْقَادِرُ
إِنِّي إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ مَسَافِرُ
فَاللَّهُ أَوْلَى مَنْ إِلَيْهِ يُهَاجِرُ
حَتَّى إِذَا صَدَرُوا فَمَا أَنَا صَادِرُ

مَلِيحٌ وَلَكِنْ عِنْدَهُ كَلَّ جَفْوَةٌ^١
وَلَمْ أُنْسَ إِذْ غَازَلْتُهُ قَرَبَ رَوْضَةٍ
فَقُلْتُ: جِئْتَنِي بِوَرْدٍ وَأَنْمَاءِ
فَقَالَ لَهُ: أَنْتَظِرْنِي رَجَعَ طَرَفِي أَجْمَعِ بِهِ
فَقَالَ: وَلَا وَرْدَ سِوَى الخُدِّ حَاضِرُ

ومن شعره في الغزل قوله:^٣

أَقُولُ لِظَبِي مَرَّ بِي وَهَوْرَاتِعُ
فَقُلْتُ وَفِي حُكْمِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى
فَقُلْتُ وَفِي ظِلِّ الْأَرَاكِةِ وَالْحِمَى

بالزهد و التقوى و التمسك بجبل الله:^٦

سِيرِي تَمَاضَرُ حَيْثُ شِئْتِ وَحَدَّثِي
حَتَّى أَنْيخَ وَبَيْنَ أَطْمَارِي فَتِيَّ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ رَحْمَةٍ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ
يَا مَنْ يُسَافِرُ فِي الْبِلَادِ مُنْتَبِئاً
إِنْ هَاجَرَ الْإِنْسَانُ عَنِ أَوْطَانِهِ
سَارُوحُ بَيْنَ وَفُؤُدِ مَكَّةَ وَإِفْدَاءً

١. الجفوة: الغلظة

٢. وفيات الاعيان ١٧٢/٥.

٣. شذرات الذهب ١٢١/٤.

٤. الصبابة: الشوق.

٥. الاراكة: نبات شجري من فصيلة الاراكية. كثير الفروع خوار العود، متقابل الاوراق، له ثمار حمر ذكناؤ تؤكل ينبت في البلاد الحارة. والجمع الاراك، (شجرالمسواك).

٦. ربيع الابراء، ص ٩.

٧. الأطهار: جمع الطمر: الثوب الخلق البالي.

المختار من نثره

مقامة التقوی

يا أبا القاسم: العُمُرُ قَصِيرٌ. وإلى الله المصيرُ. فما هذا التَّقْصِيرُ. إنَّ زَبْرَجَ^١ الدُّنْيَا قَدْ أَضْلَكَ
وَشَيْطَانَ الشَّهْوَةِ قَدْ اسْتَرْكَكَ^٢. لَوْ كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي مِنْ أَهْلِ اللَّبِّ وَالْحِجِيِّ^٣. لَا تَيْتَ بِمَا هُوَ
أَحْرَى بِكَ وَأَحْجَى. أَلَا إِنَّ أَحْجَى بِكَ أَنْ تَلُوذَ بِالرُّكْنِ الْأَقْوَى. وَلَا رُكْنَ أَقْوَى مِنْ رُكْنِ
التَّقْوَى. الطَّرِيقُ شَتَّى فَاحْتَرِ مِنْهَا مِنْهَا مَهْجاً يَهْدِيكَ.

وَلَا تُنْخَطُ قَدَمَاكَ فِي مَضَلَّةٍ تُرْدِيكَ. الْجَادَّةُ^٤ بَيْنَةٌ. وَالْحِجَّةُ نِيرَةٌ وَالْحِجَّةُ مَتَّضِحَةٌ
وَالشَّهْبَةُ مُفْتَضِحَةٌ. وَالْوَجْهُ وَضَاءٌ الدَّلَالَةُ وَالْحَنْفِيَّةُ^٥ نَقِيَّةٌ بِيضَاءً. وَالْحَقُّ قَدْ رَفَعْتَ سِتُورَهُ^٦.
وَتَبَلَّجَ فُسْطَحَ نَوْرِهِ فَلَيْمَ تُغَالِطُ^٧ نَفْسَكَ. وَلَمْ تُكَايِرْ^٨ حِسْكَ لَيْتَ شَعْرَى مَا هَذَا التَّوَانِي
وَالْمَوَاعِظُ سِيرُ السَّوَانِي^٩.

١١. رشيد الدين الوطواط (م ٥٧٣ هـ) ١٠

اسمه محمد، لُقِّبَ برشيد الدين الوطواط لأنه كان حقيراً الجثَّة، نحيف الجسم، والوطواط اسم
طائر صغير وهو الخفاش. اشتهر الوطواط بحِدَّة اللسان ولذعته. كان قوياً في المجادلات
العلمية، التحق ببلاد الخوارزمشاهية زمن آتسز. قيل في حدة ذهنه وبداهة أفكاره: «قال

١. الزبرج الزخرف وهو من أسماء الذهب.

٢. لما كانت الشهوة حاملة للإنسان على الذلَّة، جعل لها شيطاناً يستزل على سبيل الاستعارة.

٣. الحجى: العقل واشتقاقه من حجا إذا ثبت.

٤. الجادة: معظم الطريق وقصده، يقال: فلان ركب الجادة إذا انطلق.

٥. الحنفية: الملة الحنفية وهي ملة الاسلام نسبة الى الحنيف، وهو الذي مال عن جميع الأديان
الباطلة الى دين الحق وتحنف الرجل كما يقال تهوّد وتنصّر.

٦. رفعت ستوره: كشف وبين ولم يبق فيه خفاء.

٧. المغالطة أن تحاول بصاحبك الغلط فيما لا يغلط في مثله الفطن فيقول لك: أتغالطني؟

٨. المكابرة المغالبة بإنكار المعروف وغير المنكر وفي أمثلة كتاب سيبويه: أزيداً أنت.

٩. المواعظ سير السواني، يريد أنها متصلة غير منقطعة لاتزال تدور عليك وفي أمثالهم: «سير

السواني سفر لا ينقطع».

١٠. معجم الادباء ٢٩/١٩؛ بغية الوعاة، ص ٩٧.

الخوارزمشاه: أنا أسمع صوتاً يجيء من خلف المحبرة. فمن هو صاحب الصوت؟ فقام الرشيد من مكانه وقال: المرء بأصغريه قلبه ولسانه^١، فتبين لخوارزمشاه ذكاء الرشيد وفضله، فاحترمه وأكرمه واحتقن به.

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته ووفاته،^٢ والظنّ الغالب أنه ولد سنة ٤٧٦هـ في بلخ وتوفي سنة ٥٧٣هـ على ما ذكره الحموي خلافاً لسائر المؤرخين.

بقى رشيد الدين الوطواط في خدمة آتسز الى نهاية عمره، وكان آنذاك كاتباً للرسائل، بل كان زعيماً لدار الانشاء و وزيراً لديوان الرسائل، كان ملازماً لآتسز يرافقه في السفر والحضر، يعيش في بلاطه بعزّ و اكرام مقدماً على كل الشعراء^٣، مكباً على العلم والادب بالرغم من كثرة اعماله الادارية والديوانية، لم تمنعه اعماله من أن يباحث شعراء عصره مثل الخاقاني الشرواني والأنوري والاديب الصابر و يناظر علماء زمانه مثل الزمخشري والقاضي يعقوب وغيرهما.

اعتزل الوطواط المناصب الادارية في آخر عمره بعد وفاة آتسز، فاشتغل بالعبادة، ونظم اشعاره غالباً في الغزل والمدح وله آثارٌ كثيرةٌ في النثر أيضاً.^٤

اشتهر بشاعر اللغتين الفارسية والعربية و كان من الكتاب المترسلين. أمّا نثره فهو أفضل من شعره،^٥ يقول ياقوت: «كان يُنشىء في حالة بيتناً بالعربية من بحرٍ وبيتناً بالفارسية من بحرٍ آخرٍ ويمليهما معاً».^٦

كان الوطواط معتداً بنفسه كثيراً يتناول على شعراء عصره ويفتخر عليهم، لكنه كان محتاطاً لا يؤذي الناس بلسانه وقلمه بالرغم من اشتهاره بمحذّة اللسان ولذعته، يتبين ذلك من رسائله التي كان يكتبها الى الاعيان والأشراف، حيث يبرىء نفسه من ذلك.

١. تذكرة الشعراء دولتشاه السمرقندي، ص ٨٧؛ روضات الجنات ١/٥٠٧.
٢. بغية الوعاة، ص ٩٧؛ معجم الادباء ١٩/٢٩ و ٣٠؛ مقدمة حدائق السحر لعباس اقبال ص هـ (مقدمة الكتاب)؛ لغت نامه لعلی اکبر دهخدا ٧/٢٧؛ روضات الجنات ١/٥٠٩.
٣. مقدمة حدائق السحر، ص (من مقدمة الكتاب).
٤. ديوان رشيد الدين، قاسم تويسركاني، ص ٧-٩.
٥. تاريخ الادب العربي، عمر فروخ، ٣/٣٦٧.
٦. معجم الادباء ١٩/٢٩.

شعره^١

كان الوطواط شاعراً ذا لسانين، ينظم الشعر بالعربية والفارسية، وشعره بالعربية أقلّ من شعره بالفارسية كمّاً وكيفاً. نهج في اشعاره العربية اسلوب الشعراء الجاهليين والاسلاميين ونظم اكثر قصائده فيها في مدح آتسز الخوارزمشاهي. كما أثنى على بعض الأمراء والوزراء في عصره و مدح موطنه بلخ. ومن قصائده المنسوبة اليه هي قصيدة^٢ الطنطراينة المشحونة بالصناعة اللفظية من الجناس والطباق. وأما شعره بالفارسية فكثير تطغى عليه الصناعة اللفظية أيضاً. وإذا قارنا بين اشعاره باللغة العربية والفارسية وجدنا أن الثانية تتمتع بقوة و انسجام لا ترقى اليها اشعاره العربية.^٣ تتمتع قصائده العربية والفارسية، بحسن المطلع ولطف التشبيب كما أننا نشاهد الوحدة العضوية في قصائده تقريباً.

نموذج من شعره

لرشيد الدين شعرٌ دون نثره جودةً، منه قصيدة كتبها ضمن كتاب الى صدر الدين بن نظام الدين رئيس جرجان هي:

جَنَابِكَ صَدَرَ دِينِ اللَّهِ حَصْنٌ	لَأَهْلِ الْفَضْلِ مِنْ نُوبِ الزَّمَانِ ^٤
وَ صَدْرُكَ فِي الْخُطُوبِ إِذَا أَلَمْتَ	مَحَطَّ رِحَالِ حُفَاظِ الْقُرْآنِ ^٥
و جودك دونه فيض الغوادي	وعزمك دونه حدُّ السِّنَانِ ^٦
وبابك فيه مَسْكَنٌ كُلُّ عَافٍ	وعَفْوُك فيه مَأْمَنٌ كُلُّ جَانِي ^٧

١. انظر: نامه های رشید الدین، ص ١٧.

٢. هذه القصيدة منسوبة الى احمد بن عبدالرزاق معين الدين الذي كان شاعراً معاصراً لحواجه نظام الملك، وزير ملكشاه السلجوقي ومطلعها:

يَا خَلِيَّ الْبَالِ قَدْ بَلَبَلْتَ بِالْبَلْبَالِ بَالُ
بِالنُّوَى زَلْزَلْتَنِي وَالْعَقْلُ فِي الزَّلْزَالِ زَالُ
(آداب اللغة العربية ٢٧/٢)

٣. لغت نامه دهخدا ٢٧/٧؛ مقدمة حدائق السحر؛ لباب الالباب ٧٨/١.

٤. صدر دين: منادی مضاف منصوب وحذف حرف النداء. نُوبُ الزمان: المصائب.

٥. الخطب: البلاء. أَلَمْتَ: انزلت.

٦. الغوادي: جمع الغادية، السحابة تظطر صباحاً.

٧. كُلُّ عَافٍ: اي كل طالب حاجة.

غَدَوْتَ قَرِيحَ فَرَسَانِ الْقَوَافِي
لَقَدْ بُلِّغْتَ قَاصِيَةَ الْمَعَالِي
وَأَعْجَزْتَ الْأَفَاضِلَ فِي التَّحْدِي
يَشْقُ سَنَاكَ جَلْبَابَ اللَّيَالِي
بِكَ الْأَدَابُ أَهْلَةَ الْمَعَانِي
فَمَا لَكَ فِي فُحُولِ الْفِضْلِ نَدُّ
وَحَائِزَ سَبْقِهَا يَوْمَ الرَّهَانِ^١
كَمَا مُلِّكَتَ نَاصِيَةَ الْمَعَانِي^٢
بِمَعْجَزَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ^٣
وَجُنْحُ ظَلَامِهَا مُلْقِيَ الْجِرَانِ^٤
وِدَارُ الْمَجْدِ شَاهِقَةُ الْمَبَانِي^٥
وَلَا لَكَ فِي رِجَالِ الْعِلْمِ ثَانِي^٦

إنَّ صدرالدين موثلاً لأهل الفضل والعلم عند الخطوب والملمات، وبلاطه محطَّ آمال
حملة القرآن وحفاظه في الشوائد والنوائب، انه جواد كريم مسامح شجاع ماضي الارادة
والعزيمة والتصميم، يأوي المساكين ويعفو عن الجناة والمجرمين، انه لم يملك ناصية الحكم فقط
بل ملك ناصية البيان ايضاً فسبق اهل الفضل واعجز ارباب القلم وفاق رجال العلم.

نثره وآثاره

بعد الإطلاع على آثاره المنثورة والمنظومة اتضح لنا أن نثره اقوى من شعره^٧، وكما انه
في الشعر ذولسانين كان نثره ايضاً ذا لسانين، أمّا نثره بالعربية فهو الرسائل التي ألفها

١. غَدَوْتَ: من غدا - غَدُوًّا: ذهب وانطلق وقت الغداء. القريح: السيّد، يقال فلان قريح دهره:
سيد دهره، الرّهان: السباق.

٢. قاصية المعالي: الرفيعة من المكارم. الناصية: مقدم الرأس والمراد من ناصية المعاني: غرضها
وحقيقتها.

٣. التحدّي: من تحدّى الشيء: خداهُ وفلاناً: طلب مباراته في امر. والمراد من التحدى هنا أي
نطقه وكلامه.

٤. سناك: ضوءك. الجلباب: القميص، وثوبٌ واسع للمرأة دون الملحفة، والمراد ظلام الليل،
وجران البعير: مقدم عنقه، والكلام كناية عن شدة الظلام وجملة: وجنح الظلام الخ حال من
الليالي.

٥. المعاني: جمع المعنى: المنزل الذي غنى به أهله. الشاهقة: الرفيعة، أهلة: هنا بمعنى ساكنته
ومستقرّة.

٦. فحول الفضل: الاكابر من الفضلاء. ندّ: قرين.

٧. معجم الادباء ٢٩/١٩ وما بعدها؛ تاريخ الادب العربي ٣/٣٦٨.

في عرائس الخواطر و اباكار الافكار، جمع كل رسائله محمد الفهمى في مجلدين.
رسائله بالعربية مسجّعة و موزونة واسلوبها متين. اما رسائله الديوانية فقد كتبها
على أساس مقتضيات الحال وملاحظة الآداب والعناية بدقائق السياسية وتعتبر من
الرسائل العالية في اللغة العربية. رسائله الاخوانية لا ترتقي الى مستوى رسائل البديع
والخوارزمي.

من اهم آثاره: حقائق السحر في دقائق الشعر بالفارسية تضم اشعاراً عربية
ومجموعة من الاشعار والرسائل هي اباكار الافكار في الرسائل والاشعار و
عرائس الخواطر ونفايس النوادر ويشتمل هذا الكتاب على رسائل عربية وفارسية و
مطلوب كل طالب من كلام على بن ابي طالب (ع) وهو اول كتاب ألفه حول الخلفاء
الراشدين والرسائل العربية التي كتبها لابي القاسم محمود بن ايل ارسلان بن آتسز في اوائل
عمره و عقود اللثالي وسعود اللبالي وهو مائة كلمة ألفه لقاضي القضاة جواد خوارزمشاه
وله آثار كثيرة أخرى.

مختارات من نشره^١

إِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِأَنْ تُصَرَّفَ أَعْيُنُ الْعِنَايَةِ إِلَى تَرْتِيبِ نِظَامِهِ، وَتُقَصَّرَ الْهَمَمُ عَلَى مُهِمَّةِ اتِّمَامِهِ،
أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَبَاتُ الدِّينِ، وَيَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَمْرٌ الْاِحْتِسَابِ، فَانَّ فِيهِ
تَثْبِيتُ الزَّائِعِينَ عَنِ الْحَقِّ، وَتَأْدِيبُ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الْفَسْقِ، وَتَقْوِيَةُ أَعْضَادِ أَرْبَابِ الشَّرْعِ
وَسَوَاعِدِهَا، وَإِجْرَاءُ مَعَامِلَاتِ الدِّينِ عَلَى قَوَائِمِهَا وَقَوَاعِدِهَا، وَيَبْنَعِي أَنْ يَكُونَ مُتَقَلِّدُ هَذَا
الْأَمْرِ مَوْصُوفًا بِالذِّبَانَةِ، مَعْرُوفًا بِالصِّيَانَةِ، مُعْرِضًا عَنِ مَرَاصِدِ الرَّيْبِ، بَعِيدًا عَنِ مَوَاقِفِ
التَّهْمِ وَالْعَيْبِ، لِأَسْأِ مَدَارِعِ السَّدَادِ، سَالِكًا مَنَاهِجِ الرَّشَادِ، وَالشَّيْخُ الْاِمَامُ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ
فَضْلَهُ - مُتَحَلٌّ بِهَذِهِ الْخِصَائِصِ الْمَذْكُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، وَمُسْتَظْهَرٌ فِي دَوْلَتِنَا لِلْحَقُوقِ

١. معجم الادباء ١٩/٣١-٣٤.

٢. أى عن أمكتنها.

٣. مدارع جمع مدرعة: وهى مما يلبس كشعار للزاهدين، وعند اليهود: ثوب من كتان كان يلبسه
عظيم أبحارهم.

المرضية، ومستشعرٌ للصفات المرضية، فقلدناه هذا الأمر الذي هو من مهمات الأعمال ومُعظّيات الأشغال، وأعتدنا في التقليد والتقلد على دينه المتين وفضله المبين، وعقيدته الطاهرة وأمانته الظاهرة، وأمرناه أولاً: أن يجعل التقوى شعاره والزهد دثاره^١، والعلم معلّمه^٢، والدين مناره، ثم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم حدود الشرع على وفق النصوص والخبار ومقتضى السنن والآثار، من غير أن يتسور الحيطان، ويستلق الجدران، ويرفع الحجب المسدولة، ويكسر الأبواب المسدودة ويسلط الأوباش على دور المسلمين وحرّم المؤمنين، فيغيروا على أموالهم، ويمدوا الأيدي إلى نسائهم وأطفالهم، ويظهروا ما أمر الله تعالى بسيره وإخفائه، ونهى عن إشاعته وإفشائه، فإن عبادة الأوثان خير من ذلك الاحتساب، والعقوبة أجدر بمباشر ذلك من الأجر والثواب، وأمرناه أن يبالغ في تعديل المكايل والموازين على وفق احكام الشرع والدين، فإن وجد تفاوتاً في شيء منها سواء وعدلته، وغيره وبدلته، وأدب صاحبه على رءوس الأشهداء، لينزجر عن مثله أهل الخيانة والفساد، وليعلم أنه في عهده ما يطوي وينشر، وينهى ويأمر، يوم ينشر الديوان، ويُنصب الميزان «يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم»، وسبيل الأئمة والعلماء، وكافة الرعايا - حاطهم الله - أن يتوقروا على تعظيم قدره وتفخيم أمره، ويبالغوا فيما يرجع إلى تمهيد قواعد حرّمته، وتشديد أركان حشمته، ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب، فإن ذلك أمانة هو حامليها، ووديعة هو ضامنها والسلام.

١. الدثار: الثوب الذي فوق الشعار، وفي حديث الأنصار: «انتم الشعار والناس الدثار» يعني

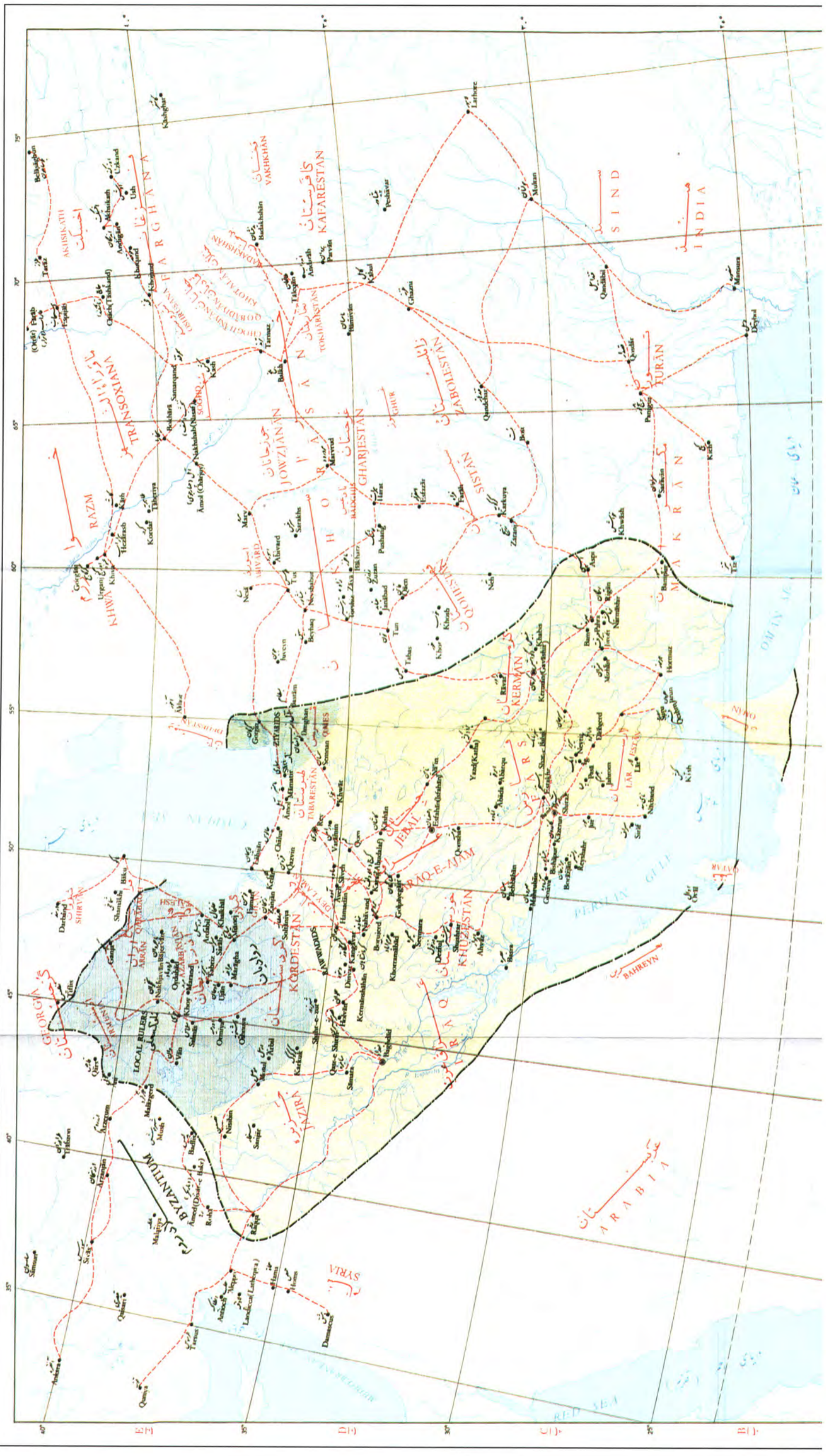
انتم الخاصة، والناس العامة.

٢. المَعْلَم: بفتح الميم الاولى: ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه.

خاتمة المطاف

اللافت للنظر أنّ الباحث في تاريخ الثقافة الإسلاميّة العربيّة بما تضم من علوم في شتى المجالات والميادين كعلوم التفسير والحديث والفلسفة والكلام واللغة والتاريخ والجغرافيا والطب والصيدلة والرياضيات وغيرها، ابتداءً بالقرن الثاني وانتهاءً بالقرن السابع الهجريّين، يجد أنّ جُلّ الأدباء والعلماء الذين خاضوا هذه الميادين وقدموا نتائج بحوثهم باللغة العربيّة كانوا فرساً وبما أنّ هذا السفر المتواضع خاصّ بالأدباء سواء أكانوا شعراء أم كتاباً فإنّ الناظر في تراجمهم يجد أنّ أكثر هؤلاء لم يكونوا أدباء فقط بل كانوا اصحاب مدارس ادبية شعراً و نثراً أرسوا قواعدا وأصولها ومهدوا طرقها وأنهم كانوا فرساً ك بشار و أبي نواس و عبد الحميد وابن المقفّع وابن العميد والطبري و بديع الزمان الهمداني والزمخشري وغيرهم، ولا عجب في ذلك لأنهم قد نذروا أنفسهم لهذه اللغة فسبقوا أهلها في ميادينها.

والناظر في هذا السفر - باعتباراه خاصاً بالادب العربي في ايران في الفترة الآنفة الذكر - يجد أنّ من ترجمنا لهم وقدمنا نماذج من آثارهم الأدبيّة كانوا من الإيرانيين.



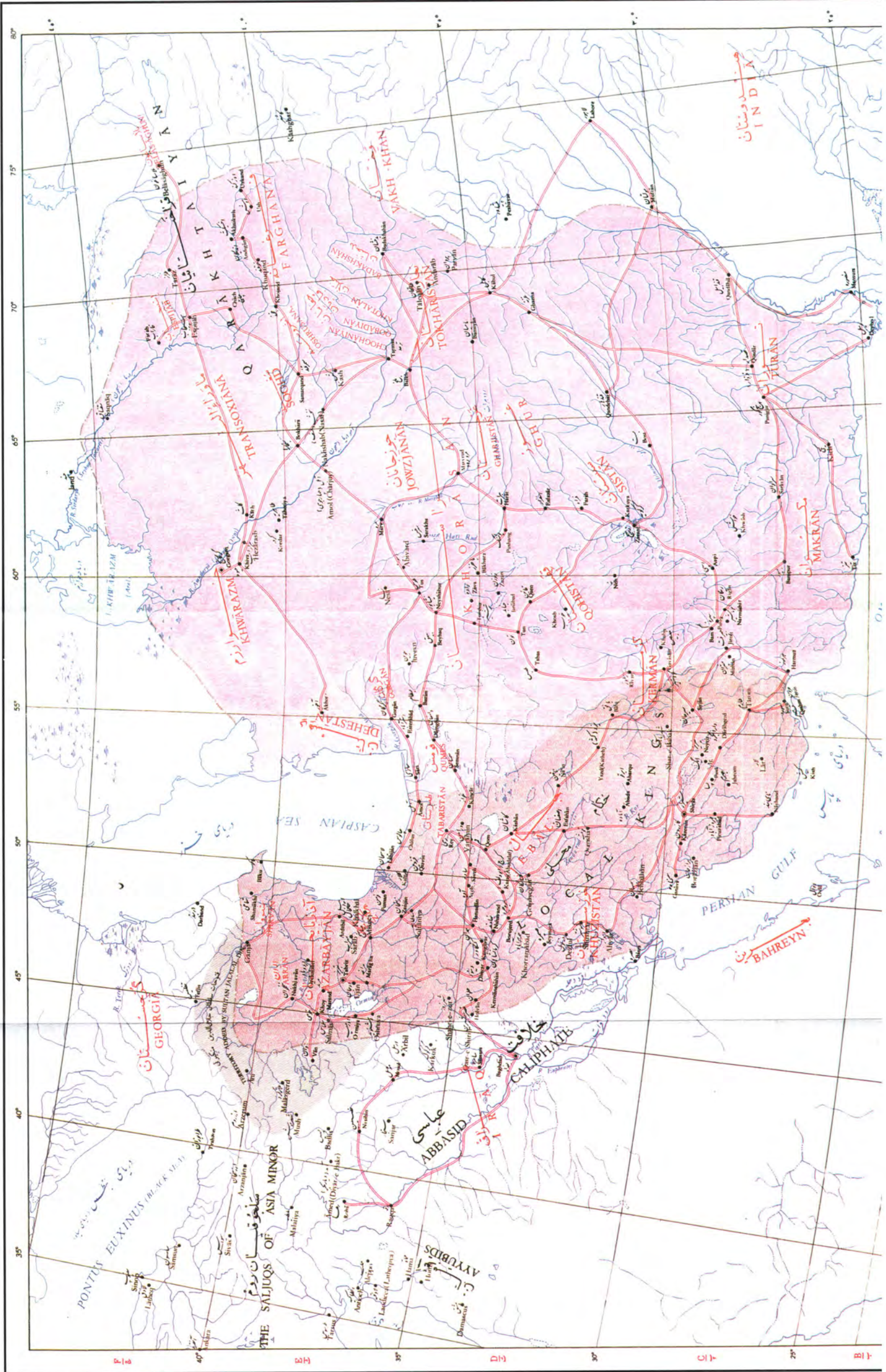
35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75°

30° 35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75°

30° 35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75°

30° 35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75°

30° 35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75°



هندوستان
INDIA

توران
TURAN

مکران
MAKRAN

بهرین
BAHREYN

خلافت
CALIPHATE

عباسی
ABBASID

سلجوقیان
THE SALJUQS OF ASIA MINOR

گرجستان
GEORGIA

شاکر خان
SHAKH-KHAN

تانسکینا
TANSKINA

کوارازم
KHWARAZM

جوزجان
JOWZJAN

سمرقند
SAMARKAND

گتور
GTUR

سیستین
SISTIN

کوشک
KOSHK

کرمین
KERMAN

دهستان
DEHSTAN

تبارستان
TABARISTAN

بامنه
BAMNE

کرمین
KERMAN

زبارستان
ZABARISTAN

فاریان
FARIAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

کرمین
KERMAN

35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70° 75° 80°

60° 65° 70° 75° 80°



ایران
Azerbāyjan

بویلیدس
Buylids

صفاریان
Safarids

سامانیان
Samānids

خوارزم
Khwarizm

قوبستان
Qubestān

کردستان
Kermān

فارس
Fārs

دیلمستان
Deylamān

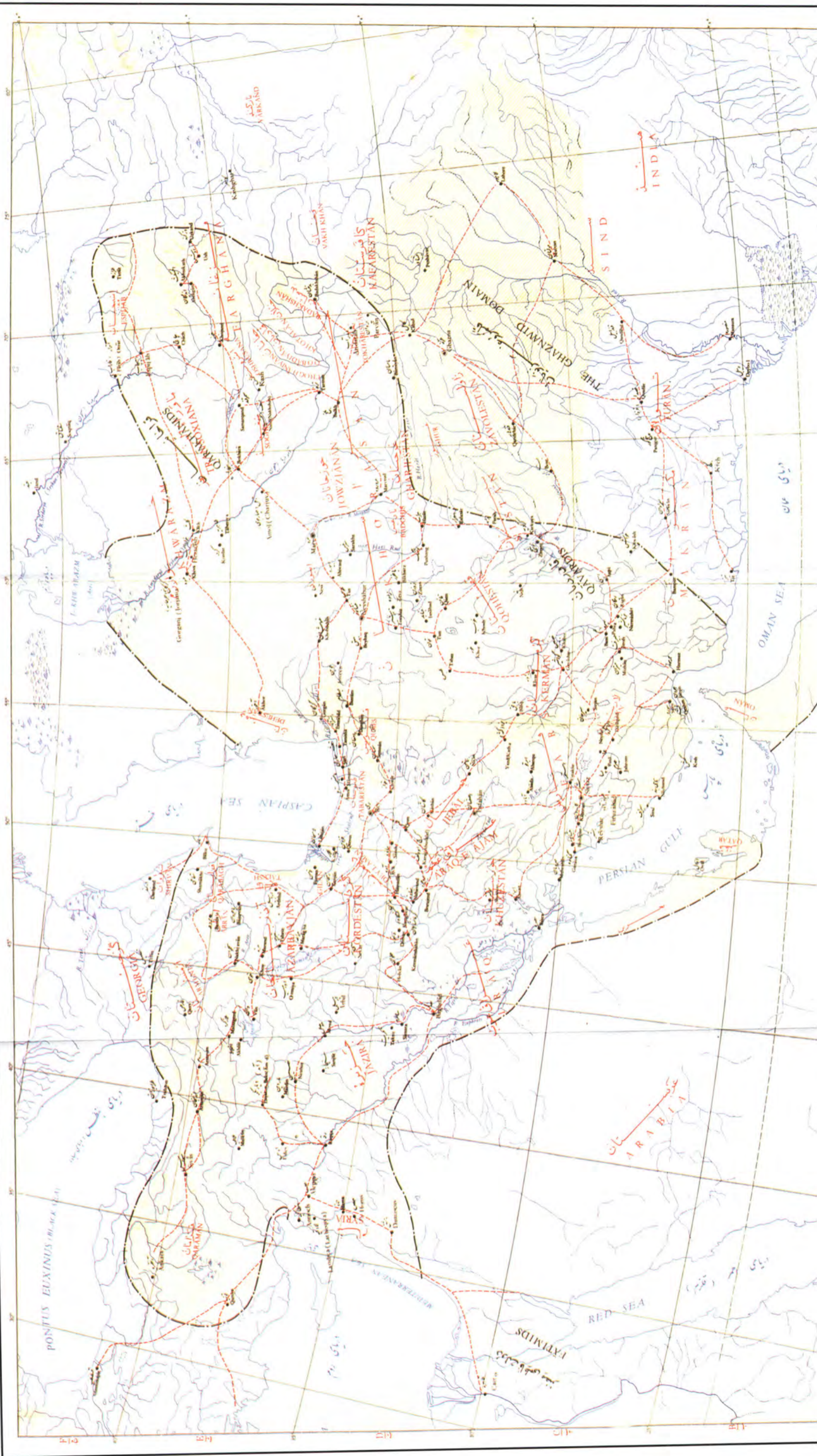
طبرستان
Tabarestān

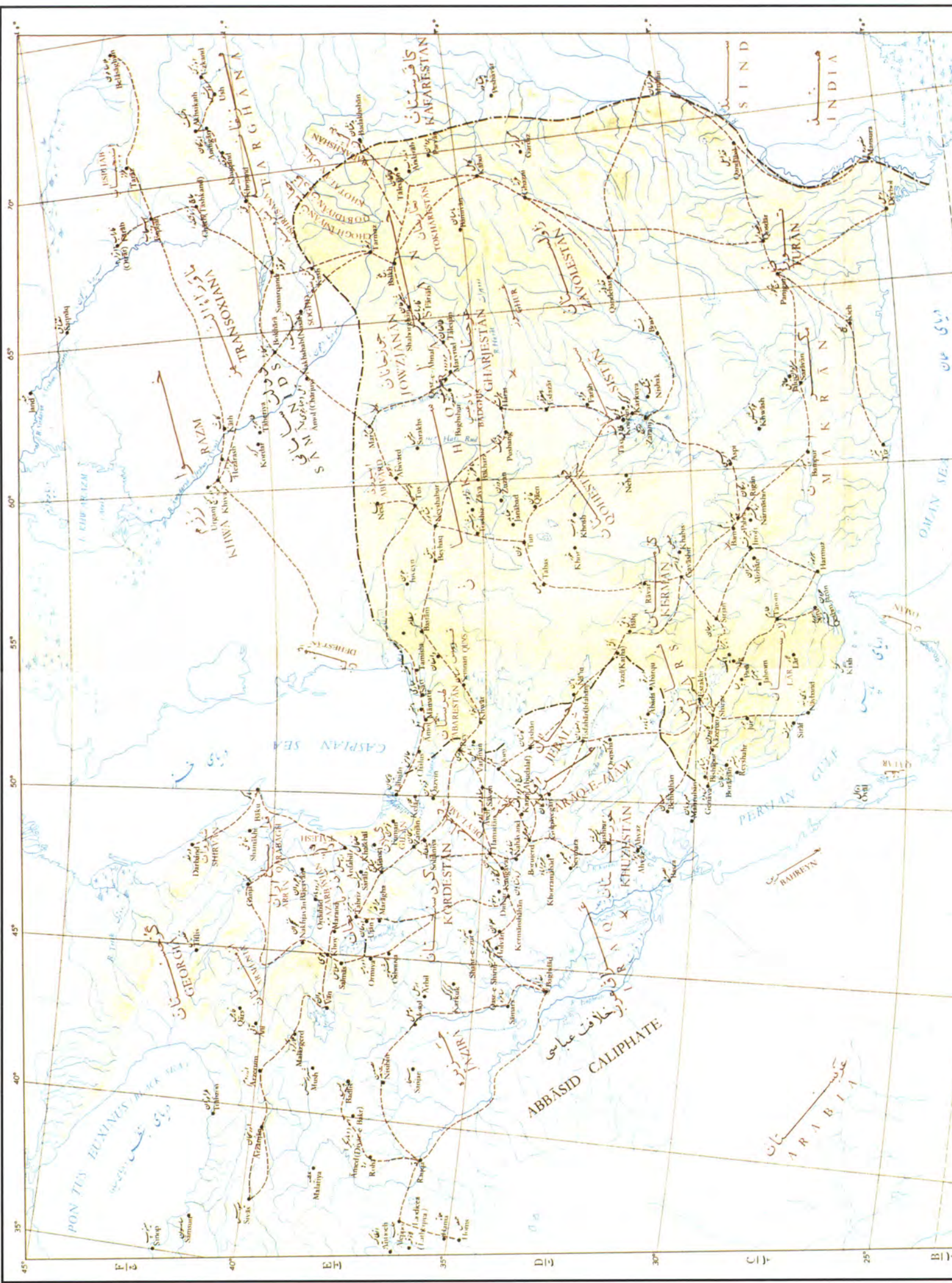
رهمستان
Rūmestān

خوارزم
Khwarizm

کاسپین
CASPIAN SEA

پارسیان
PERSIAN GULF





عراق و خلافت عباسی
ABBASID CALIPHATE

عربستان
ARABIA

خراسان
Khorasan

کرمستان
Kerman

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

کوزستان
Khorasan

35° 40° 45° 50° 55° 60° 65° 70°
E 40° E 35° D 30° C 25° B 1

مسرد المصادر

- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، طبعة بولاق. دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ابن الجوزي، تليس ابليس، طبع مصر، ١٩٢٨م، أو طبع ادارة الطباعة المنيريّه.
- ابن الطقطق، الفخرى في الاداب السلطانية، المطبعة الرحمانية، مصر، بدون تاريخ، ثم بيروت ١٣٨٥هـ ق، ١٩٦٦م.
- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبدالحى، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. بدون تاريخ.
- ابن المقفّع، عبدالله، الادب الصغيرو الادب الكبير، منشورات دارمكتبة الحياة بيروت - لبنان ١٩٨٦م.
- _____، كلية و دمنة، المؤسسة المتحدة للكتاب، مؤسسة الزين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ابن الملقّن، عمر بن على، طبقات الاولياء، حقّقه نورالدين شريبه، دار التاليف، القاهرة، ١٣٩٣هـ ق، ١٩٧٣م.
- ابن النديم، الفهرست، طبع مصر.
- ابن أبى اصيبعة، احمد بن القاسم، طبقات الأطباء، طبع مصر، ١٢٩٩هـ.
- ابن حجة الحموى، تقى الدين أبى بكر، خزانه الادب و غاية الأدب، شرح عصام شعيتو، دار و مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن خلدون، مقدمة، الطبعة الثالثة، المطبعة الادبية بيروت، ١٩٠٠م. أو طبع دارالفكر، ١٩٩٨م.
- ابن خلكان أبو العباس، وفيات الاعيان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، أو مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.
- ابن رسته، الأعلام النفسه، طبعة ليدن، ١٨٩١م.
- ابن شاكر الكتبي، محمد، فوات الوفيات، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، ١٣٨٦هـ ق، ١٩٦٦م.
- ابن كثير، ابوالفداء، البداية والنهاية، بيروت - لبنان: طبعة دارالكتب العلمية.
- ابن مسكويه، تهذيب الاخلاق و تطهير الاعراق، قم: انتشارات بيدار، الطبعة الخامسة، ١٣٧١هـ ش.
- ابن يحيى، عبد الحميد، رسائله، دراسة الدكتور احسان عباس، عمان، اردن، دار الشرق للنشر والتوزيع.
- ابونواس، الديوان، بيروت، لبنان: منشورات الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧م.
- اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا، مصر، ١٩٢٨م.
- الاتابكي، ابوالمحاسن، النجم الزاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية.
- الارزجاني، ديوانه، تصحيح الشيخ احمد عباس الازهرى، بيروت، ١٣٥٧هـ، ١٨٨٩م، أو تصحيح الشيخ عبدالباسط الأنسي، بيروت: مطبعة جريدة، ١٣٥٧هـ.
- اشبولر، برتولد، تاريخ ايران در قرون نخستين، المجلد الاول، ترجمة محمد جواد فلاطوري، تهران شركة انتشارات علمي و فرهنگي، ١٣٦٤هـ ش.
- الاصفهاني، ابوالفرج، الأغاني، بيروت: دار احياء التراث العربي أو دار الثقافة ١٩٥٨م أو الهيئة المصرية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- _____، مقاتل الطالبيين، بيروت - لبنان: منشورات مؤسسة الاعلمي.
- الاصفهاني، الراغب، الذريعة الى مكارم الشريعة، تحقيق، الدكتور سيد علي ميرلوحى، منشورات جامعة اصفهان، ١٤١٧هـ ق - ١٩٩٦م.
- _____، محاضرات الادباء، القاهرة: المطبعة الشرقية.
- الاصفهاني، حافظ ابونعيم، أخبار اصفهان، دار الكتاب الاسلامي.
- _____، حلية الاولياء، بيروت، ١٣٨٧هـ ق.
- الاصفهاني، حمزة، تاريخ سنى ملوك الارض والانباء، منشورات دارمكتبة الحياة.
- الاصفهاني، عماد، خريد القصر، طبع دمشق، ١٣٥٧هـ، ١٩٥٥م.
- الأمين، السيد محسن، اعيان الشيعة، بيروت: طبعة دار التعارف للمطبوعات.
- امين، احمد، ضحى الاسلام، بيروت: دار الكتاب العربي.
- _____، فجرالاسلام، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الاميني، عبدالحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، الطبعة الثالثة، بيروت: دارالكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ ق - ١٩٦٧م.

الاندلسي، ابن عبدربه، العقد الفريد، الطبعة الاولى. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ ق
١٩٩١م.

الباخرزي، دمية القصر، تحقيق و دراسة الدكتور محمد التونجي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٤هـ ق.

البيستاني، أفرام، دائرة المعارف الاسلامية، بيروت - لبنان: دارالمعرفة.

بدوي، عبدالرحمن، مذاهب الاسلاميين، دار العلم للملايين، الطبعة الاولى، ١٩٧١م.

بروكلمان، تاريخ الادب العربي، قم: دار الكتاب الاسلامي.

بشار بن برد، ديوانه، شرح محمد طاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

بلاذري، ابوالحسن، فتوح البلدان، بيروت: دار و مكتبة الهلال، ١٩٨٨م.

بهار (ملك الشعراء)، محمد تقى، سيكشناسي، تهران: انتشارات مجيد، ١٣٦٧هـ ش.

البيروني، ابوريحان، الآثار الباقية في القرون الخالية، طبع زاخاند (لايبزيك ١٨٧٦) ترجمته في لندن

١٨٧٩.

بيهقي، ابوالفضل، تاريخ بيهقي، تصحيح دكتور فياض وتحقيق خطيب رهبر.

تاريخ سيستان، مؤلف غير معلوم. مخطوطات مجلس الشورى الاسلامي، بجامعة طهران.

التونجي، محمد، حول الادب السلجوقي، بنغازي، ليبيا، ١٩٧٤م.

تويسركاني، قاسم، زبان تازي درميان ايرانيان، دانشسرای عالی تهران، ١٣٥٥هـ ش.

_____، عدد من البلغاء في ايران، طهران: ١٣٣٦هـ ش.

الثعالبي النيشابوري، فقه اللغة، بيروت - لبنان: دار احياء التراث العربي ١٤٢٢هـ ق، ٢٠٠٢م.

_____، يتيمة الدهر، دارالكتب العلمية.

الجاحظ، البخلاء، بيروت - لبنان: دارالعالمية.

_____، البيان والنيين، تعليق محمد عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٣٥١هـ ق، ١٩٣٧م. أو دار

احياء التراث العربي.

_____، الحيوان، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٥م.

الجرفادقاني، ترجمة تاريخ يميني، بتحقيق الدكتور جعفر شعار، تهران: طبع «بنگاه ترجمه و نشر

كتاب»، ١٣٥٧هـ ش.

الجهشياري، الوزراء والكتاب، حققه مصطفى السقاو الابياري وحلبي، طبع الحلبي ١٣٥٧هـ ق.

حاجي خليفه، ملامصطفى، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، بيروت، لبنان: دار الفكر.

حسني ناعسه، الكتابة الفنيّة، مؤسسة الرسالة، للطبعة الاولى ١٣٩٨هـ ق، ١٩٧٨م.

خانلرى، پرويز، نقد عروضى فارسى.

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المجلد الحادى عشر، طبع دارالكتب العلمية.

الخوارزمى ابوبكر، رسائل الخوارزمى، بتحقيق محمد قسطنطينيه، طبع قسطنطينيه، ١٢٩٧هـ ق.

الخوانسارى، روضات الجنات، تهران، كتابفروشى اسلاميه.

دهخدا، على اكبر، لغت نامه.

الديلمى، مهيار، ديوان المهيار.

الدينورى، الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر وجمال الدين الشيبالى، القاهرة: منشورات

الشرىف الرضى، ١٩٦٥.

الزركلى، خيرالدين، الأعلام، الطبعة الثالثة.

الزمخشرى، ابوالقاسم محمود بن عمر، ربيع الابرار و نصوص الأخبار.

_____، مقامات الزمخشرى، بيروت - لبنان: دارالكتب العلمية - ١٩٨٢م و ١٩٨٧م.

زيدان، جرجى، تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دارمكتبة الحياة.

_____، تاريخ التمدن الاسلامى، بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الزوين، محمد خليل، تاريخ الفرق الاسلاميه، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات.

سزگين، فؤاد، تاريخ التراث العربى، قم: طبع مكتبة النجفى المرعشى العامّة.

السلمى، محمد بن حسين، طبقات الصوفيه، طبع ليدن، ١٩٦٥م.

سمرقندى، دولتشاه، تذكرة الشعراء.

السيوطى، جلال الدين، بغية الوعاة، مصر: بمطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ .

الشعرانى، عبدالوهاب، طبقات الشعرانى، مصر، ١٢٨٦هـ.

الشكعة، مصطفى، بديع الزمان الهمذانى، عالم الكتاب.

شهرستانى، عبدالكريم، الملل والنحل، منشورات شريف الرضى.

صاحب، ابن عبّاد، ديوان صاحب، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مؤسسه قائم آل

محمد(ص).

_____، رسائل، طبع مصر، ١٩٤٧م.

صدقى، حامد، ديوان أبى بكر الخوارزمى مع دراسة لعصره وحياته و شعره، مرآة التراث، طهران،

ط ١، ١٩٩٧م.

صفا، ذبيح الله، تاريخ ادبيات در ايران، ١٣٣٩.

الصفدى، صلاح الدين خليل بن بيك، فوات الوفيات، باعتناء هملوت ريتز، اشتو غارت (جمعته المستشرقين الالمانيه)، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي.

_____، تاريخ الادب العربي، مصر: دار المعارف.

الظاهر، على جواد، الشعر العربي في العراق وفي بلادالعجم.

الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى)، الطبعة الرابعة، بيروت - لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

_____، جامع البيان عن تأويل القرآن، القاهرة (المطبعة الميمنيّة)، ١٣٢١هـ، ١٩٥٤م.

الطغرابي، مؤيد الدين، ديوان الطغرابي، تحقيق الدكتور على جواد الظاهرو الدكتور يحيى الجبورى. عبدالجواد الاصمعي، محمد، ابوالفرج الاصفهاني وكتابه الأغاني، مصر: دارالمعارف، الطبعة الثانية.

العسكري، ابوהלلال، الصناعتين: الكتابة والشعر، القاهرة: مكتبة صبيح، بلاتاريخ، أوالقاهرة: دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢م.

_____، ديوان المعاني، شرحه وضبطه احمد حسن، بسّج دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ ق - ١٩٩٤م.

عوفى، محمد، باب الالباب، تصحيح سعيد نفيسى، تهران، ١٣٣٥هـ ش.

الغزالي محمد، الاحياء في علوم الدين، الطبعة الثانية مصر: المطبعة الازهرية، ١٣١٦هـ. الفاخورى حنّا، تاريخ الادب العربي.

فروخ، عمر، التصوف في الاسلام، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

_____، تاريخ الادب العربي، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين.

القاضى الجرجاني، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق وشرح محمد ابوالفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى، صيدا، بيروت: منشورات المكتبة العصريه.

القشيري، عبدالكريم، الرسالة القشيريّة، تحقيق واعداد معروف زريو وعلى، عبدالحميد بلطه جي، بيروت: دارالجيل.

القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بيروت: دارالجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

القيرواني، ابواسحق ابراهيم بن على الحصرى، زهر الآداب وثمر الباب، حَقَّقَه محى الدين عبدالحميد، مفصل ومشروح بقلم الدكتور زكى مبارك، بيروت - لبنان: دارالجيل.

كرد على، محمد، كتاب رسائل البلغاء، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
المتنبي، ديوان المتنبي، تأليف عبدالرحمن البرقومي، مصر: المطبعة الرحمانية، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.
المجلسي (علامة المجلسي)، محمداقر، بحار الانوار، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
_____، تحف العقول، طهران: دار الكتاب الاسلامية.

مقدسي، احسن التقاسيم، طبع ليدن، ١٩٠٦.

نظامي عروضي، چهار مقاله، تحقيق علامه قزويني، طبع ليدن، ١٩٠٩م.

ن - فرای، ريچارد، عصر زرین فرهنگ ايران، ترجمه مسعود رجب نيا، تهران: سروش، ١٣٦٣.

الوطواط، رشيد الدين، حقائق السحر، تصحيح عباس اقبال آشتياني، طهران: كتابخانه سنائي -
كتابخانه طهوري، ١٣٦٢هـ ش.

الهمداني، بديع الزمان، مقامات بديع الزمان.

ياقوت الحموي، معجم الادباء، دار الفكر الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م. او مكتبة عيسى البابي الحلبي،
١٩٣٨م.

_____، معجم البلدان، بيروت: دارصادر.

اليزدادی، عبدالرحمن بن علي، كمال البلاغة، اصفهان: نشر ميثم قمار.

فهرست الاعلام والأشخاص

ابن سينا ١٩، ٢٨، ٨١، ١٤٠، ١٦٦	آتسز ٢٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣
ابن عبدربه الاندلسي ٦٥، ٦٢	آدم(ع) ٣٨، ١٨١
ابن فورك الاصفهاني ٤٦	آلب ارسلان ٨٨
ابن قتيبة ٤٢، ٥٧، ٦٠، ١٦٤	آلبتكين ٢٠، ٢١
ابن مسعود ٢١	آل محتاج (الصغانتين) ٧٧
ابن مسكويه ٥٩، ١٦٧، ١٦٩	آل نوبخت ٦٧
ابن ملجم المرادي ١٨٢، ١٨٣	ابراهيم النبطويه ١٨٤
ابن ميادة ٧٢	ابراهيم بن مخلد الباقرجي ١٨٤
ابن نباته ٨٦	ابرويذ ٥٧، ٦٠
ابواسحاق ابراهيم بن ممشاد المعروف بالمتوكلي	ابن ابي الحديد ٣٠
١٦٤، ٧٥	ابن السكيت ٦٨
ابواسحاق الغزني ٩٠	ابن الطيب السرخسي ٤٢
ابوالأسود الدؤلي ١٣٩	ابن العميد ٨٥، ٨٦، ١٦٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١١
ابوبكر الباقلاني ٤٦	٢١٤، ٢٥٦
ابوبكر الترمذي ٤٩	ابن الفارس الرازي ٦٨
ابوبكر الخوارزمي ٨٢، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٣	ابن الفارض المصري ٥٣
ابوبكر بن دُرَيْد ١٨٤	ابن المقفع ٢، ١٢، ١٣، ٦٧، ١٦٢، ١٦٣
ابو تراب النخشي ٤٨، ٥١	١٧٢-١٧٤، ١٧٦-١٧٨، ٢٥٦
ابوجعفر الجامي ٧٦	ابن النديم ٣٧، ١٦٩، ١٨٤، ٢٠٢
ابوجعفر محمد بن عبدالله ٧٧	ابن خالويه ٦٨
ابو جلدة اليشكري ٩٢	ابن خضرويه البلخي ٤٨
ابوحاتم السجستاني ٦٨	ابن خلدون ٣٢، ١٨٢، ١٨٥
ابوحامد الاسفرايني ٤٦	ابن خلّكان ٦٢، ١٢٤، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٢٣٢
ابوحامد الغزالي ٤٩	ابن رسته الاصفهاني ٤٢

- ابو حذیفة البخاری ٤١
 ابوالحسن الاشعری ٤٧
 ابوالحسن علی بن سهل الاصفهانی ٤٩
 ابوالحسین علی بن محمد ١٣٩
 ابو حفص عمرو بن سلمة الحدّاد ٤٩
 ابوحنیفة الدینوری ١٦٥، ١٦٤، ٥٦
 ابوحیان التوحیدی ٢٥٥، ١٦٦
 ابوذر الغفاری ٤٦
 ابوریحان البیرونی ٦٣، ١٩
 ابوزکریا یحیی بن معاذ بن جعفر الواعظ ٥١
 ابوزید احمد بن سهل البلخی ٤٦
 ابوسعید الاسماعیلی ٨٤
 ابو سعید الخزومی ٧٦
 ابوسعید بن ابی الخیر ٥١، ٥٥
 ابوسعید بن اسماعیل الجرجانی ٨٤
 ابوسعید بن مرداس ١٩٥
 ابوشرف ناصح بن ظفر الجرفادقانی ١٦٦
 ابوطالب المأمونی ١٢١
 ابوطالب عبدالسلام بن حسین المأمونی ٧٧
 ابوالعباس الخوارزمی ٢٢
 ابوالعباس الضبیّ ١٩٥
 ابو عبیده معمر بن المثنیّ ٤٢
 ابو علی البلعمی ١٨٢
 ابو علی الفارسی ١٢٤، ٦٨
 ابو عمرو الهروی ٦٨
 ابو عمرو بن العلاء ٦٧
 ابو الفتح البستی ١٢٦، ٨٢، ٧٨، ٧٦
 ابو الفتح بن العمید ٢١١
 ابو الفرج الاصفهانی ١٦٩، ١٥٦، ١٥٥، ٦١
 ابو الفضل البلعمی ٢٨
 ابو الفضل المیکالی ٧٧
 ابوالفضل الهمدانی ١٢١
 ابوالقاسم الاسکافی ٧٦
 ابوالقاسم انزغرانی ١٥٨
 ابوالقاسم الکعبی البلخی ١٦٥
 ابوالقاسم المقانعی الهرمزی الایوردی ٧٦
 ابوالقاسم بن بابک ١٩٥
 ابوالقاسم زیاد الجرجانی ٨٤
 ابوالقاسم غانم بن ابی علی بن ابی العلاء ١٩٥
 ابوالحاسن سعید محمد منصور ٨٤
 ابو محمد عبدالله بن اسماعیل ٧٧
 ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهانی ١٤١
 ابو معشر البلخی ٥٥
 ابو المؤید البلخی ٦٤
 ابونصر العتبی ١٩١-١٩٣
 ابونصر الفارابی ٣٨
 ابونصر المشکان ٧٨، ٦٥
 ابو هلال العسکری ١٦٩، ٦٢، ٢١٧-٢١٩
 ابو یزید البسطامی ٤٩
 ابو یعقوب الهمدانی ٥٥
 ابو یعقوب یوسف بن الحسین الرازی ١٦٥
 ابی علی الفسوی ١٢٥
 ابی محمد الجوینی ٢٤١
 ابی مسلم الخراسانی ٣١
 ابی منصور بختیار ٨٥
 الایوردی الشاعر ١٣٣، ١٣٤
 ابی هلال الصّابی ٨٥
 احمد امین ٢٦، ١٦٦
 احمد بن علویه الکرمانی الاصفهانی ١٦٥
 احمد بن یحیی البلاذری ٦٧
 احمد حسین الخطیب ٨٢
 احنف بن قیس ٦٥

فهرست الاعلام والأشخاص ٢٩٧

الجاحظ ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٦٣، ٢٠١، ٢٠٦	الاختل ٧٣
٢٢٧	الأخفش الصغير ١٨٤
جبلّة بن سالم ١٢، ١٦١	اردشير بن بابك ٦١، ٣٩
جرجى زيدان ١٨١، ٢٠٨، ٢٠٩	الازهرى ٩٢
جرير (الشاعر) ٧٣، ٩٢، ٩٥، ٢٢٧	اسحاق بن يزيد ٦٧، ٤٥
جرير بن حازم ١٠٧	اسماعيل الساماني ٢٨، ١٩
جرير بن عبد الله البجلي ١٦٥	اسماعيل بن يسار ٧٣، ٧١، ٥٨، ٣١، ١٣
جعفر بن قدامة ١٨٤	الاصمعي ١٠٩، ١٠٨
جلال الدين الرومي ٥١	اكرم بن صفي ٦٥
جلال الدين محمد ٨٧	أكيدر دومة ١٥٩
جمال الدين عبدالرزاق ٩٥	امام الحرمين الجويني ٢٤١
الجهشياري ١٦١، ١٧٤	الامام الرازي ١٩٦، ٤١
الحجاج بن يوسف ٣٤، ٤٢، ٢٢٨	الامير فخرالدين خالدربيع ٩٥
حجر بن عدى ١٨٩	الامين ١٧، ١٨، ٢٢
حسن بن سهل ٦٧، ١٦٢	الانصاري الهروي ٥٣
حسن بن علي الأطروش ٤٦	الحافظ الشيرازي ٥١، ٥٥
حسبك وزير ٧٧	باباطاهر العريان ٥٣
حماد الرواية ٦٨	الباخرزي ٢٤٥-٢٤٢، ٢٣٨
حمدون بن احمد القصار ٤٩	بديع الزمان الهمداني ١٦٨-١٦٦، ٨١، ٧٨، ٦٣
حمزة الاصفهاني ٣٩، ١٦٦، ١٦٩	٢٥٦، ٢٣١، ٢٢٧، ٢٢٤-٢٢٢، ٢٠٩
حمزة بن عبدالله ١٠٥	بزرجمهر ٢٠١، ٦٥
حميد الدين النجاشي ١٩٢	بشار بن برد ١١١-١٠٥، ٤٢، ٣٥، ٣١، ١٤، ١٣
الحُرَيْبِي ٣٦	٢٥٦، ٢٥٥، ١٤٥
الحسروي السرخسي ٨٤	بوشنجي ٧٦
خلف بانو ٨١-٨٣	بهرام چوبين ١٦١
خلف بن حيان ٦٨	بهرامشاه قرخ شاه الأيوبي ٩٥
الخواجه نظام الملك الطوسي ٨٧	البيهقي ٨٥، ٦٥
دقيق ٢٨	تاج الدين الحفوظ ١٩٢
الدكتور زكي مبارك ٢٢٦	تكش ٨٧، ٢٢
الدولت شاه السمرقندي ٢٥١	التعالبي النيشابوري ٢٤٤، ٢٣٨، ٢١٣، ١٦٦، ٨٥

الشریف الرضی	١٩٥، ١٣٢، ١٢٩، ٨٥	الراضی بالله	٢٥
شمس الدولة الدیلمی		الراغب الاصفهانی	١٩٨، ١٩٦، ١٩٥
شوقی ضیف	٢٥١، ١٦١، ١٦٥، ١١٤، ١١٢، ١٠٥	الرسول الکریم (ص)	٤١، ١٦
شیرویه	٦٥، ٥٧	الرشید (هارون الرشید)	١١٨، ٧٤، ١٨، ١٦
صاحب بن عباد	٢٨، ٦٣، ٦٨، ٨١، ١٢١، ١٢٦		٢٥٥
	١٨٥، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٣	رشیدالدین الطوطا	١٣، ٨٩، ٩٥، ٢٥٠-٢٥٢
صالح بن عبدالرحمن	١٢، ١٦١	رکن الدولة	٢٥، ٨٥، ١٢٤
صالح بن عبدالقدوس	١٠٧	رودکی	١٩، ٢٨
صلاح الدین الایوردی	٩٥	زکریا الرازی	٢٨
ظاهر بن الحسین	١٧، ١٨	زحشری	٢٤٧، ٢٤٨
ظاهر بن الحسین بن مصعب	١٦٥	زیاد الاعجم	١٣، ١٤، ٥٨، ٧٢، ٩١-٩٤
ظاهر بن عبدالله	٧٥	زیاد بن أبیه	٦١
الظفرانی الاصفهانی	٩٥، ١٣٩-١٤١	زید بن علی بن الحسین (ع)	٤٧
طغرل بیگ	٢٠، ٢١	زینب بنت علی (ع)	٩٣
عباس الأعمی	١٠٢	سابور الساسانی	٣٩
عباس بن عبدالله بن ابی جعفر المنصور	٣٥، ١٧٣	سبکتکین	٢٠، ٢١، ٨٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٦٨، ١٩١
عبدالحمید الکاتب	١٢، ٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٧٥		١٩٢، ٢٢٣
	١٧١	سعید بن خالد	١٥١
عبدالرحمن القوّال	٨٥	سعید بن مشجّع	٦١
عبدالرحمن بن الاشعث	٣٤	السلطان سنجر	٨٧
عبدالرحمن فضل الشیرازی	٨٥	سلیمان الفارسی	٤٦
عبدالقادر الجیلانی	٥٥	سمره بن جندب	١٩٥
عبدالقیس	٩١، ٩٢	المهروردی	٣٧، ٥٥، ١٥٣، ١٥٤
عبدالکریم بن ابی العوجاء	١٠٧	سهل بن شاپور الاهوازی	٥٤
عبدالله بن الزبیر	٩١، ١٥٤	سهل بن عبدالله التستری	٤٩
عبدالله بن جعفر	٩٣	سهل بن هارون	١٦٢، ١٦٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤
عبدالله بن ظاهر	٣٢، ١٦٤	سیبویه	٤٢، ٦٧، ٢٤٨، ٢٥٥
عبدالله کلّه	١٦٧	سید حسن الغزنوی	٩٥
عبدالؤمن بن الحسن الصاغانی	١٦٣	السیوطی	١٩٨
عبدالواسع الجبلی	٩٥	شاپور اردشیر المهلّی	٨٤
عبیدالله بن خردادبه	٤١	شاپور بن سهل	٥٤، ٥٦

- عبيد الله بن عبد الله
عبيد الله بن معمر ٤٢
عثمان ثالث خلفاء الراشدين ١٦٥، ٣٨، ٢٥، ١١
عضد الدولة ٢٠، ٨٥، ٨٦، ١٢٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٣٢
- الفرزدق ٩٢، ٩٣، ١٠٦، ١٣٦، ٢٢٢، ٢٢٧
فضل بن احمد الاسفرايني ٢٨
الفضل بن الحباب الجمحي ١٨٤
فضل بن سهل ١٦، ٣٢
فؤاد سزكين ١٠٣
الفيروزآبادي ٦٨
قابوس بن وشمكير ٨٣، ١٦٦، ١٦٨، ٢٢٣، ٢٣٢
قاسم بن حسين الخوارزمي ١٩٢
قاسم تويسركاني ٣، ٢٥٠
القاضي ابوالمحمد الموحد ٢٢٠
القاضي التتوخي ١٦٩
القاضي المجرجاني ١٢٠، ١٢١
القاضي حميد الدين البلخي ١٦٥-١٦٧
القاضي عبدالجبار المعتزلي ٤٦
قطب الدين محمد ٨٧
قليج ارسلان ١٥٣
الكرماني ١٦٥
الكسائي ٦٨
كسرى انوشيروان ٣٩، ٦٠، ٦١
المافروخي ١٩٧
ماكان كاكى ٢٠، ٨٣، ١٦٧، ٢٠٥
المأمون (العباسي) ١٦-١٨، ٣٢، ٤٥، ٧٤، ٧٦
١١٣، ١٦٣، ١٦٤
المنتبي ١٢٠
المتوكل العباسي ١٦٤، ٧٥
مجد الدين الجبلي ١٠٥
مجد الدين الكرماني ١٩٢
محمد بدر الدين العلوي ١٩٩
محمد بن الجهم البرمكي ٦٧
محمد بن الحنفية ١٨٢
- الطار النيشابوري ٥١
علي اكبر الفياض ٢٢
علي بن احمد الززاز ١٨٤
علي بن احمد القهستاني ٨٨
علي بن حسن القهستاني ٨٠
علي بن حمزه الكسائي ٦٨
علي بن سهل ٥٤، ٥٥
علي (ع) ٣٠، ٦٠، ١٢٤، ١٢٥، ٢١٤
عماد الدولة ٢٠، ٢٨
عماد الدين الكاتب الاصفهاني ٩٠
عمر الخطاب ٦١
عمر الحيام ٥٣، ٩٠
عمر بن فرخان ٦٧
عمر فروخ ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٤٥، ١٥٣، ٢٠٢
٢٠٨، ٢٠٩، ٢٥٠
عمرو بن حريث ١٩٠
عمرو بن عبيد ٤٥
عميد الملك الكندي ٢١، ١٤٠
العنصرى البلخي ٧٨
العوفي ١٦٨
عيسى بن هشام ٢٢٨
الفائق بالله (العباسي) ٧٦
فاطمة الزهراء سلام الله عليها ٢١٥
فخر الدين المارديني ١٥٣
فردوسي الشاعر الحماسي صاحب شاهنامه ٣٠

- ملکشاه السلجوقی ٨٧، ٨٩، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٠
 منصور الخلاج ٤٩
 منصور بن نوح السامانی ٧٦، ١٨٢، ٢٠٩
 موسی المبرقع بن محمد ٤٦
 موسی بن یسار المدنی ١٠٠
 موسی شهوات ٥٨
 موسی (ع) ٦٧، ١٩٦
 المهدي العباسی ١٠٧
 المهلب بن ابی صفره ١٠٥
 مهبیار الدیلمی ٨٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤
 المیکالیین ٧٧
 المیمندی ٢٨
 ناصح الدین الأرجانی ٩٠، ١٥٠
 ناصر الدین خسرو القبادیانی ٩٠
 الناصر لیدین الله ٨٧
 نافع بن عبدالرحمن ٦٧
 النبی (ص) ٤٢-٤٤، ١٦٠، ٢١٥، ٢٢٠
 نصر بن احمد ١٩، ٧٦، ٧٧
 نصیر الدین الطوسی ٤٦
 نظام الملك الطوسی ٢١، ٨٧، ٨٨، ٢٤٢
 نیکلسون ٥٠
 الواثق ٤٥
 واصل بن عطاء ١٠٧، ١٠٨
 الولید بن عبدالملك ٩٥-٩٧، ٢٣٩
 هشام بن عبدالملك ٣١، ٩١، ٩٥، ٩٨، ١٨٤
 یاقوت الحموی ١٢٠، ١٣٤، ١٨٤، ١٨٥، ٢١٧
 یحیی معاذ الرازی ٤٩، ٥١
 یزید بن حنیاء الضبی ٩٢
 یعقوب اللیث الصفاری ١٨، ٧٥
 یونس الكاتب ٧١
 محمد بن جریر الطبری ١٨١، ١٨٤
 محمد بن سعید الوریانی ٤٩
 محمد بن عاصم بن یحیی الاصفهانی ١٦٥
 محمد بن عروة ٩٧، ٩٨
 محمد بن فضل البلخی ٤٩
 محمد بن کرام ٤٥
 محمد بن منذر الحافظ الاصفهانی ٤١
 محمد بن موسی الخوارزمی ٤١
 محمد بن موسی الرازی ٤١
 محمود الغزنوی ١٩، ٢٢، ٦٥، ٦٦، ٧٨، ٨٠، ٨٤
 ١٤١، ١٦٨، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٣
 مرداویج ٨٣
 مروان ابن ابی حفصه ٧٣
 مروان بن محمد (خلیفه المروانی) ٦٢، ١٧٢، ١٨٣
 المستظهر بالله ١٣٩
 مسعود السلجوقی ٨٩
 مسعود (الغزنوی) ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٧
 مسعود سعد سلمان ٩٥
 مسلم بن محرز ٧١
 المسیح (عیسی (ع)) ١٩٤
 مصطفی الشکعة ٦٣، ١٦٨
 معاویه: ٢٥، ٣٨، ٦١، ١٦٠، ١٨٩-١٩١
 المعتمد العباسی ٣٢، ٤٥، ٥٤
 المعتضد بالله ١٨٣
 المعتمد العباسی ١٨، ٧٥
 معز الدولة ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٨٥
 معین الملك ١٣٩
 المنیره ٩٢، ٩٤
 المقداد بن الاسود ٤٦
 الملك الظاهر بن صلاح الدین الأیوبی ١٥٣